متحف
بلا
حدود

أركيولوجيا
ARCHEOLOGY

الأمويّون

نشأة الفنّ الإسلاميّ



ARCHEOLOGY أركيولوجيا

الفنّ الإسلاميّ في منطقة البحر المتوسّط

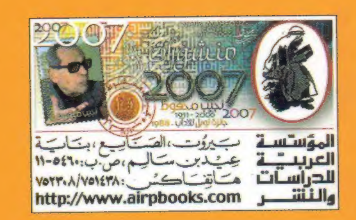
معـارض متحـف بــلا حــدود : طـريقــة جـديـدة للعــرض

يقدّم كتاب (الأمويّون .. نشأة الفنّ الإسلاميّ)، ومن خلال التنوّع في الأعمال الّتي يطرحها، المفاتيح اللازمة من أجل فهم أفضل للحضارة الأمويّة .

فهذه الحضارة تمثّل بزوغ لغة فنيّة خلاّقة تتمظهر فيها التأثيرات الخفيّة الأرمنيّة، والهيلينيّة، والبيزنطيّة، والفارسيّة، وينبثق عن ذلك نظام معماريّ وزخرفيّ هو بمثابة الولادة للأسس الّتي يقوم عليها الفنّ الإسلاميّ.

إنّ هذه السلسلة من الكتب، الّتي يصدرها "متحف بلا حدود" ، تتّسم بأنّها أدلّة علميّة ومرجعيّة، فهي حقًّا بمثابة مراجع مزوّدة برسومات رائعة، والّذين وضعوا هذه الكتب هم من الباحثين والدارسين من أهل البلاد الّتي جرى اكتشافها بأعين أبنائها .

إنّ "متحف بلا حدود" يقيم المعارض المعماريّة والأثريّة دون أن يتمّ ذلك في مساحات مغلقة، وإنّما يتمّ عرض الأنصاب والمواقع والمعروضات، في بلدها الأصليّ، من خلال سياقها التاريخيّ والحضاريّ.



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
هاتفاكس: ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨
http://www.airpbooks.com


ISBN 9953-36-626-8
9799953366264

نحت حجري من
القسطل، البادية

الأردنّ

سلسلة مسارات عرض (متحف بلا حدود) العالميّة

الفنّ الإسلاميّ في منطقة البحر المتوسّط

الأمويّون

نشأة الفنّ الإسلاميّ







الاتحاد الأوروبي
برنامج التراث
اليورو-متوسطي

تم تمويل معرض متحف بلا حدود "الأمويون: نشأة الفن الإسلامي" من قبل الاتحاد الأوروبي ضمن إطار برنامج ميدا-التراث اليورو-متوسطي

وتلقى الدعم من المؤسسات الأردنية والعالمية التالية:



وزارة السياحة والآثار، دائرة الآثار العامة، عمان، الأردن.

وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

وزارة التعليم والثقافة والرياضة الإسبانية التي مولت التنسيق العلمي لسلسلة المسارات العالمية "الفن الإسلامي في حوض المتوسط" وشاركت في المنهجية العلمية لمعارض مختلفة، بالاشتراك مع:

وزارة الخارجية الفدرالية، النمسا

وزارة التراث الحضاري والبيئي (المتحف الوطني للفن الشرقي، روما)، إيطاليا

وزير الدولة للسياحة، البرتغال

متحف آثار البحر المتوسط والشرق الأدنى، السويد

تصميم الغلاف : زهير أبو شايب

ISBN: 9953-36-626-8

طبع في المطبعة الوطنية - الاردن

الموقع الإلكتروني: www.discoverislamicart.org

الاتصال في الأردن:
دائرة الآثار العامة
ص.ب. 88
عمّان 11118
الأردن
هاتف: 4644336 6 962 +
فاكس: 4615848 7 962 +
البريد الإلكتروني: relations.doa@nic.net.jo

جمعية أصدقاء الآثار
ص.ب. 2440
عمّان 11181
الأردن
هاتف وفاكس: 593082 6 962 +
البريد الإلكتروني: foa@nets.com.jo
الموقع الإلكتروني: www.foa.com.jo

السكرتيريا:
Museum With no Frontiers / Musée Sans Frontières
Rue des Boers 59
Brussels, Belgium 1040
Phone: +32 2 7375100
Fax: +32 2 7375109
mwnfbooks@museumwnf.net

فكرة ومفهوم برنامج متحف بلا حدود
إيفا شوبرت

رئاسة المشروع
د. فواز الخريشه
مدير عام دائرة الآثار

منسق المشروع
رابحة الدباس، عمان

منسق اللجنة العلمية
د. غازي بيشه، عمان

اللجنة العلمية
د. غازي بيشه، عمان
د. فوزي زيادين، عمان
د. محمد الأسد، عمان
إينا كيربرج، سيدني
لارا طعمه، بيروت

الكتالوج
المقدمات
د. محمد الأسد، عمان
د. غازي بيشه، عمان

تقديم المسارات
اللجنة العلمية

بالتعاون مع
عبد القادر الحصان، عمان
ألان والمزلي، كوبنهاغن

النصوص التقنية
لبنى هاشم، عمان

ترجمة الطبعة العربية
د. خيرية عمرو
د. فوزي زيادين

مراجعة النص العربي
د. غازي بيشه
د. محمد الأسد

التصوير
بيل ليونز، عمان

الخريطة العامة والرسومات
عطاالله للتصميم، عمان

المخططات
صوفي فاتيوني، دمشق (المعهد الفرنسي للشرق الأدنى)

المقدمة العامة
«الفن الإسلامي في حوض المتوسط»

النص
جميلة بينوس، تونس
محمود هواري، القدس
مانويلا مارين، مدريد
غونول أوني، إزمير

المخططات
شاكر تشكمك، إزمير
يكتا دميرالب، إزمير
إرتان داش، إزمير

المونتاج والتصميم
اغوستينا فرنانديز، مدريد

الانتاج
Electa (Grijalbo Mondadori, S.A.)

التنسيق التقني

إدارة الإنتاج
لبنى هاشم، عمان

التنسيق الدولي
لدورة مسارات "الفن الإسلامي في حوض الموسط"

إدارة المشروع
إيفا شوبرت، فيينا–مدريد–روما

اللجان الفنية، الترجمات، التحرير وانتاج الكتالوجات
سكينه ميسوم، مدريد

المحاضر الإدارية والتوثيق
سيلفا فكتوريا رونزا، روما

شكر

نشكر المؤسسات التالية لدعمها للمشروع:
البعثة الأثرية في القسطل
مكاتب الآثار ومتاحف دائرة الآثار العامة في كافة محافظات الأردن
متنزه مأدبا الأثري ومدرسة مأدبا للفسيفساء
البنك المركزي الأردني
دارة الفنون
المعهد الفرنسي للشرق الأدنى
جمعية أصدقاء الآثار الأردنية
المعهد البروتستنتي الألماني للآثار في عمان
هيئة تنشيط السياحة
وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية
أمانة عمان الكبرى
نبو تورز
المركز الجغرافي الملكي الأردني
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي
معهد الدراسات الفرنسيسكاني، القدس
البعثة الأثرية السويسرية في الأردن (مؤسسة ماكس فان بيرشيم)
مركز المعلومات السياحية في أم الجمال
يونسكو
جامعة اليرموك (كلية الآثار والأنثروبولوجيا)

إضافة إلى:
معالي عقل بلتاجي، وزير السياحة والآثار الأسبق
عطوفة الدكتور فواز الخريشه، مدير عام دائرة الآثار
معالي المهندس نضال الحديد، أمين عمان الأسبق

كما يشكر متحف بلا حدود وزارة الخارجية الإسبانية لدعمها كل مراحل المشروع عبر الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي والسفارات الإسبانية في دول حوض المتوسط المشاركة بالمشروع، وحكومة تيرول المحلية (النمسا) – حيث ابتدأ مشروع متحف بلا حدود – لدعمها المادي في تدريب مديري الإنتاج المسؤولين عن التنسيق التقني للمعارض في البلدان المشاركة بدورة عرض "الفن الإسلامي في حوض المتوسط".

مراجع الصور

أنظر ص5، إضافة إلى:
عبد القادر الحصان (قطع أموية غير منشورة)
انتونيو الماغرو واغناسيو اركيه (قرص مدمج عن القصر الأموي في قلعة عمان)
جين تايلور (أم قيس)
الأب ميشيل بتشريلو (مأدبا وأم الرصاص)
د. نايف القسوس (عملة أموية)
سالم الدعجه (المغطس "وادي الخرار")
زهراب

المقدمة العامة "الفن الإسلامي في حوض المتوسط"
آن وبيتر جوسيف (لندن)، ص20 (حلب)
أرشيف صور أورونوز (مدريد)، ص23 (الحمراء، غرناطه)

مراجع المخططات

المعهد البروتستنتي الألماني (أم قيس)
جاك بوجارد (مخططات إعادة تصور أم الوليد)
روبرت بيولي (جرش)

المقدمة العامة "الفن الإسلامي في حوض المتوسط"
R. Ettinghaussen and O. Grabar (Madrid, I, 1997), page 26 (Damascus Mosque)
Z. Sonmez (Ankara, 1995), page 27 (Mosques of Divrigi & Istanbul) and page 28 (Mosque of Sivas)
Sergio Viguera (Madrid), page 28 (Minarets type)
R. Ettinghaussen and O. Grabar (Madrid, II, 1999), Page 29 (Sultan Hassan Madrasa)
R. Ettinghaussen and O. Grabar (Madrid, I, 1997), Page 30 (Qasr al-Hayr al-Sharqi)
A. Kuran (Istanbul, 1986), page 31 (Sultan Khan Aksaray)

كما نود أن نشكر كل الذين أعطوا دعمهم اللامحدود وإرشاداتهم الصائبة خلال الإعداد لهذا المشروع.

تقديم

هذا الكتاب الموجود بين يديك الآن هو نوع جديد من الكتب، إذ يجمع ما بين ثلاث ميزات: فهو كتالوج معرض، وبنفس الوقت هو دليل سياحي ومرجع علمي يدعوك لاكتشاف الفن والعمارة الأموية في الأردن، ولاستكشاف المتحف الكبير المفتوح عبر رقعة الأردن الجغرافية. معروضات ما نسميه "مسار العرض" هي المعالم والمواقع، إضافة إلى القطع الفنية في المتاحف، وبعكس المعارض المعتادة حيث تعرض القطع في مكان مغلق ولفترة محدودة من الزمن، فإن مسارات عرض "متحف بلا حدود" تقدم الأعمال الفنية في أمكنتها الأصلية حيث تحيط بها بيئتها الطبيعية. وهكذا، فإنك ستكتشف تاريخ وفن وتراث البلد في ذات وقت تعرفك على أهله وثقافته المعاصرة.

تقدم كتالوجات "متحف بلا حدود" التاريخ من وجهة النظر المحلية. إننا نؤمن بأن من يريد زيارة بلد ما أو قراءة تاريخه والتعرف على تراثه الحضاري، يجب عليه أولاً التعرف على وجهة نظر أهله. هذه المعرفة ستساعد على فهم الثقافة الحالية والوضع الاجتماعي وستسهل الاتصال مع السكان المحليين. استكشافك للأردن بهذا الكتالوج يعني اكتشاف هذا البلد بعيون وأحاسيس الأردنيين.

من الأمور الهامة بالنسبة لـ "متحف بلا حدود" الفترة الزمنية والانتباه الذين يوليهما السائح عادة عند زيارة بلد ما، إذ تختصر آلاف السنوات من التاريخ في زيارة قصيرة مدتها عدة أيام. مع مسارات العرض والكتالوجات المصاحبة لها، نحن نقترح تخصيص كل زيارة من زياراتك لموضوع وفترة زمنية معينة ونشجعك على العودة مرات عدة لتكتشف كل مرة ناحية مختلفة من فن البلد وتاريخها. "نحن نقدّر فقط ما نراه ونفهم فقط ما نعرفه": من منطلق هذه الفكرة صمم زملاؤنا الأردنيون هذه الزيارات لاكتشاف الآثار الأموية في الأردن، وكتبوا النصوص آخذين بعين الاعتبار تزويدك بالعديد من المعلومات التي لا تصل السائح في العادة.

أخيراً بعض الكلمات حول أفضل سبل استخدام هذا الكتاب. صممت كتالوجات "متحف بلا حدود" كي تقرأها مرتين: الأولى قبل زيارتك لتتعرف على الفترة التاريخية المعنية، والثانية خلال زيارتك لمسارات العرض. يبدأ هذا الكتاب بتقديم الفن الإسلامي في حوض المتوسط بشكل عام ويتبعه تقديم مختص بخلفيات الفن الأموي في الأردن وتاريخه. تركز الشروحات التفصيلية للمعالم والمواقع الأثرية خلال كل مسار زيارة على موضوع المسار، كما توجد معلومات عملية لمساعدتك على تنظيم زيارتك في بداية الشروحات الفنية. وبما أن كتالوجاتنا لا تحتوي على معلومات عن أماكن الإقامة والمطاعم والخدمات بشكل عام، فنحن نقترح أن تحصل على منشورات أخرى تحوي هذه المعلومات أو أن تحصل عليها من مكاتب السياحة الأردنية.

باسم كافة أفراد فريق "متحف بلا حدود"، أتمنى أن تستمتع بزيارتك وأتطلع قدماً إلى لقائك مجدداً في جزء آخر من متحفنا الأورو-متوسطي بلا حدود.

إيفا شوبرت
مديرة "متحف بلا حدود"

نصائح

التقويم الهجري

ابتدأ التقويم الهجري بهجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب، التي سميت فيما بعد بالمدينة (أو مدينة الرسول). بهذا الحدث، بهجرة الرسول الكريم مع سبعين من أتباعه المسلمين، ابتدأ عهد جديد غير شكل العالم.

تاريخ الهجرة هو اليوم الأول من شهر محرم عام 1 هجري، والذي صادف يوم 16 يوليو / حزيران من عام 622 ميلادي. تتكون السنة الهجرية من 12 شهراً قمرياً، وكل شهر من 29 أو 30 يوم. تكون كل ثلاثين سنة دورة كاملة فيها 11 سنة كبيسة هي السنوات رقم 2، 5، 7، 10، 13، 16، 18، 21، 24، 26، 29 حين يكون طول السنة 355 يوماً بينما طول السنين الأخرى 354 يوم.

السنة القمرية (الهجرية) أقصر بعشرة أو أحد عشر يوماً من السنة الشمسية (الميلادية)، ويبدأ اليوم في التقويم الهجري عند غروب الشمس وليس عند منتصف الليل.

التواريخ

التواريخ في هذا الكتاب حسب التقويم الهجري يتبعها ما يوافقها في التقويم الميلادي، على سبيل المثال:
206 / 822 تعني عام 206هـ الموافق 822م.
بالطبع لا يمكن أحياناً إعطاء التاريخ الدقيق إن لم يذكر باليوم والشهر في المصادر. في حال وقوع التاريخ الهجري ما بين قرنين ميلاديين، يذكر كلا القرنين.

نصائح عملية

أفضل فترة لزيارة الأردن هي من أبريل / نيسان حتى أكتوبر / تشرين الأول، وتقام معظم المهرجانات الثقافية والفنية خلال أشهر الصيف مثل مهرجان جرش والفحيص وشبيب والأزرق وغيرها. أما أشهر الشتاء فهي متقلبة وقد يمنع سوء الطقس من أمطار غزيرة أو حتى الثلوج من زيارة المواقع الأثرية.

بإمكان الزائر الاطلاع على البرامج الثقافية في الأردن في الصحف المحلية العربية والإنجليزية والنشرات السياحية الدورية، ولمزيد من المعلومات يمكن الاتصال بالأرقام التالية:
وزارة السياحة والآثار، دائرة العلاقات العامة، عمان. هاتف: 06-4642311.
وزارة الثقافة، دائرة العلاقات العامة والأنشطة الثقافية، عمان. هاتف: 06-5696218.

هنالك خصوصية لشهر رمضان الفضيل، إذ تقفل معظم المطاعم والمقاهي خلال النهار كما تغلق المؤسسات بما فيها المتاحف مبكراً.

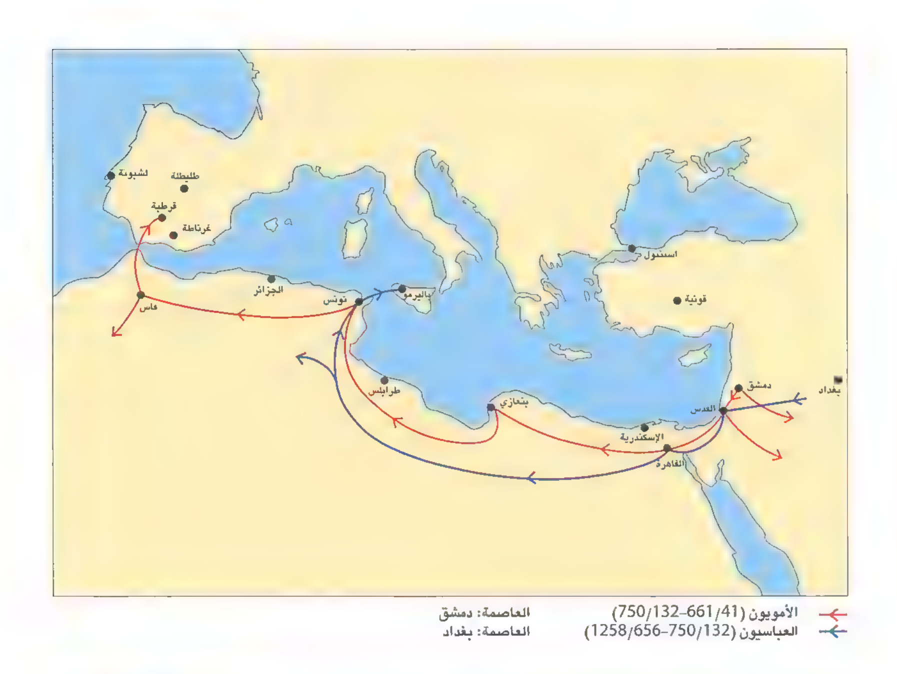
هنالك وسائط نقل عام من المدن الرئيسة إلى القرى خلال ساعات الدوام الرسمي، لكن من الصعب أحياناً العودة بنفس الوسيلة من القرى النائية مساءً، لذا ننصح وبشدة استئجار سيارة لزيارة الأماكن النائية. كما أن ساعات فتح أبواب المتاحف والمواقع الأثرية ورسوم الدخول إليها قد تتغير، مع مراعاة أن كافة الرسوم نقدية وبالعملة الأردنية.

جميع مكاتب دائرة الآثار العامة بما فيها المتاحف ومراكز الزوار وفي جميع المحافظات هي نقاط استعلامات ومساعدة للزوار.

لبنى هاشم
مديرة الإنتاج

الفهرس

الدول الإسلامية في حوض المتوسط



الأمويون (41/661-132/750) العاصمة: دمشق
العباسيون (132/750-656/1258) العاصمة: بغداد



الفاطميون (296/909-567/1171) العاصمة: القاهرة
المماليك (648/1250-923/1517) العاصمة: القاهرة


لشبونة
طليطلة
قرطبة
غرناطة
فاس
الجزائر
تونس
باليرمو
طرابلس
بنغازي
إدرنه
استنبول
بورسة
قونية
دمشق
بغداد
القدس
الإسكندرية
القاهرة
السلاجقة (1318/718-1075/571) العاصمة: قونية
العثمانوين (1922/1340-1299/699) العاصمة: استنبول


لشبونة
طليطلة
قرطبة
غرناطة
فاس
الجزائر
تونس
باليرمو
طرابلس
بنغازي
استنبول
قونية
دمشق
بغداد
القدس
الإسكندرية
القاهرة
المرابطون (1147/541-1036/427) العاصمة: مراكش
الموحدون (1269/667-1121/515) العاصمة: مراكش



قصير عمره، لوحة جدارية في
قاعة الاستقبال، بادية الأردن.

الفن الإسلامي في حوض المتوسط

جميلة بينوس
محمود هواري
مانويلا مارين
جونول أوني

التراث الإسلامي في حوض المتوسط

منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، انقسم تاريخ حوض البحر المتوسط بالتساوي تقريباً ما بين الحضارتين الإسلامية والغربية المسيحية، حين اتسم بالصراع لكن أيضاً بالالتقاء ما بين الحضارتين، ونتج عنهما انتشار الأساطير في المخيلة الجماعية لشعوب المنطقة، والتي اعتمدت على صورة "الآخر" كعدو غريب لا يلين، وبالتالي لا يمكن فهمه. نشبت المعارك بين الحضارتين منذ خروج المسلمين من شبه الجزيرة العربية وسيطرتهم على الهلال الخصيب ومصر، وفيما بعد شمال إفريقيا وصقلية وشبه الجزيرة الأيبيرية، ووصولهم أوروبا الغربية حتى جنوب فرنسا في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حين خضع البحر المتوسط للسيطرة الإسلامية.

كان الدافع وراء التوسع الإسلامي الذي قل مثيله في التاريخ البشري باسم الدين، الذي اعتبر أتباعه أنفسهم ورثة الديانات التوحيدية السابقة: اليهودية والمسيحية. لكن تفسير الفتوحات الإسلامية على أنها دينية محضة هو تبسيط جسيم للحقيقة. إحدى الصور المنتشرة في الغرب عن الإسلام هي أنه انتشر على أيدي محاربين أشداء خرجوا من الصحراء حاملين القرآن على حد سيوفهم، ولا تأخذ هذه الصورة بالاعتبار التعقيد الذهني في الرسالة الدينية التي غيرت العالم منذ لحظة بدايتها.

بدأت دول حوض المتوسط التي أدخلت تدريجياً في العالم الإسلامي رحلتها من نقاط متباينة، ولذلك بدأت أشكال الحياة الإسلامية فيها بالتطور على مسارات مختلفة ضمن الوحدة الناتجة عن اعتناق رسالة دينية جديدة. كانت القدرة على مزج عناصر الحضارات السابقة (الهلنستية، الرومانية، الفارسية وغيرها) ضمن الحضارة الجديدة إحدى مميزات المجتمعات الإسلامية الرئيسة. وإن حصرنا ملاحظاتنا على المنطقة الجغرافية لحوض البحر المتوسط التي كانت متنوعة الثقافات عند بروز الإسلام، نرى أن تلك اللحظة لم تشكل قطعية تامة مع المرحلة التاريخية السابقة، كما أنه من المستحيل تخيل عالم إسلامي نمطي بلا جذور ولا حراك.

إن كان علينا اختيار موضوع أو مظهر مميز لمنطقة حوض المتوسط، فهو تنوع التعبير الممزوج بتناسق الأحاسيس، وهي أحاسيس ثقافية أكثر منها دينية. في شبه الجزيرة الأيبيرية – في الطرف الغربي من حوض المتوسط – نتج عن التواجد الإسلامي الذي بدأ بالسيطرة العسكرية مجتمعاً يختلف بوضوح عن المجتمع المسيحي وإن كان دوماً على اتصال به. واستمر الإحساس بأهمية التعبير الحضاري لهذا المجتمع الإسلامي هناك حتى بعد زواله، ونتج عنه أحد أهم مكونات الحضارة الإسبانية وهو "فن

المدجنين" (Mudejar Art). أما في البرتغال فقد بقيت التقاليد المعروفة بـ"المستعرب" (Mozarab) عبر الفترة الإسلامية وما زال العديد من تأثيرات تلك الفترة واضح حتى يومنا هذا. وفي المغرب وتونس تم دمج التراث الأندلسي في أشكال الفنون المحلية المستمرة حتى الآن. في النتيجة، انبثقت في غرب المتوسط أشكال تعبيرٍ مبتكرة عكست تضارب وتعددية تطوره التاريخي.

يزخر البحر المتوسط أيضاً بالجزر والمساحات التي تربط بين الشرق والغرب، مثل جزيرة صقلية التي تحوي مواقع تاريخية هامة تعود لقرون عدة. فتح العرب صقلية من تونس، واستمرت الجزيرة بالحفاظ على ذاكرة الإسلام الثقافية والتاريخية بعد قرون من زوال تواجده السياسي هناك. إن وجود أشكال الفن الصقلي-النورماندي الذي يمكن ملاحظته في المعالم العمرانية يدل بوضوح على أن تاريخ هذه المناطق لا يمكن تفسيره دون فهم تنوع التجارب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ازدهرت على أراضها.

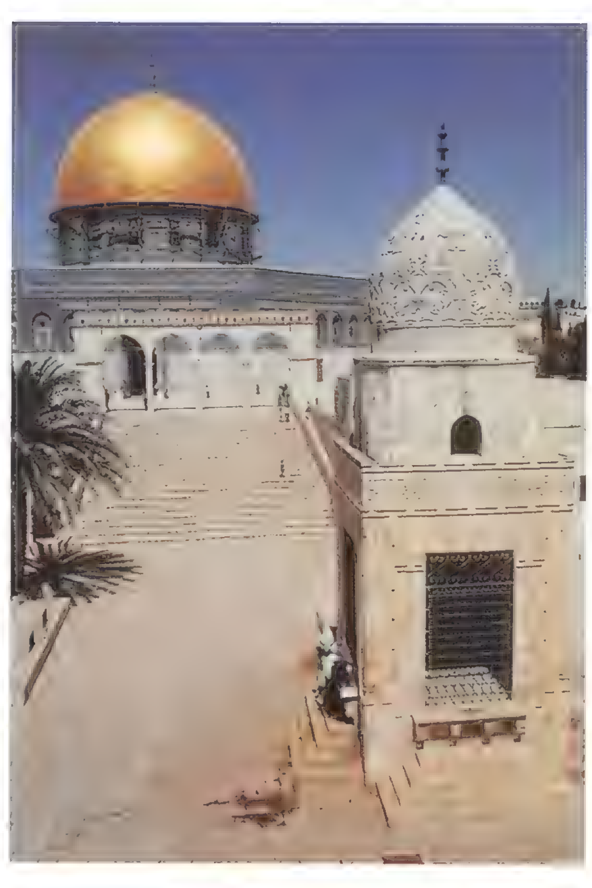
إذن فإن تاريخ الإسلام في حوض المتوسط قد تميز بالتنوع الكبير الذي صنعه مزيج من الشعوب والأجناس، من الصحارى والأراضي الخصبة. كما كان الإسلام الدين الرئيس في المنطقة منذ القرون الوسطى، إلا أنه وجدت أيضاً أقليات دينية أخرى كان لها حضورها التاريخي. وعاشت لغة القرآن العربية الفصحى جنباً إلى جنب مع اللغات الأخرى، ومع اللهجات العربية المحلية. تطور كل مجتمع وتجاوب مع تحديات التاريخ بطريقته الخاصة داخل إطار من الوحدة لا يمكن نكرانه (الدين الإسلامي واللغة والثقافة العربية).

ظهور وتطور الفن الإسلامي

برز فن جديد تتخلله صور من العقيدة الإسلامية عبر بلاد حوض المتوسط ذات الحضارات القديمة والمتنوعة، وذلك في نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، ونجح في أن يفرض نفسه خلال أقل من مائة عام. وبطريقته الخاصة، أنتج هذا الفن ابتكارات وأشكال على أساس توحيد الصيغ المحلية والأساليب المعمارية والزخرفية، وفي نفس الوقت استوحى من التراث الفني السابق له: من اليوناني-الروماني، والبيزنطي، والساساني، والقوطي الغربي، والبربري، وحتى فن آسيا الوسطى.

كان هدف الفن الإسلامي أصلاً خدمة الحاجات الدينية ومظاهر الحياة الاجتماعية-الاقتصادية المختلفة. أنشأت المباني الجديدة للأغراض الدينية مثل المساجد والجوامع، ولهذا السبب لعبت العمارة دوراً رئيساً في الفن الإسلامي إذ اعتمدت فنون عدة عليها. وعدا عن العمارة، وجدت الفنون الصغرى في مواد متنوعة، مثل الخشب والفخار والمعادن والزجاج والمنسوجات والورق. في الفخار، استخدمت أساليب تزجيج متنوعة ومن المجموعات المميزة في الفن الإسلامي الفخار ذي البريق المعدني والفخار المزجج متعدد الألوان. أما الزجاج فقد صنع بجمال أخاذ، ووصل الامتياز حين زخرف بالذهب والميناء الملونة. وفي المعادن، كان أكثر الأساليب تطوراً تعشيق البرونز بالفضة أو النحاس. وصنعت المنسوجات وأنواع السجاد الفاخر مزخرفة بعناصر هندسية وأشكال حيوانية وبشرية. كما صورت المخطوطات بالمنمنات أو الرسومات الدقيقة التي تعتبر إنجازاً رائعاً في فن الكتب. وتعتبر هذه الفنون شاهداً على عبقرية الفن الإسلامي.

استثنى فن نحت ورسم الأشكال البشرية والحيوانية من المجال الديني، إلا أنه ظهر في التعبيرات الدنيوية للحضارة الإسلامية، فزخرفت القصور بمنحوتات الأشكال الآدمية والحيوانية الجصية وزينت الآنية المعدنية المطعمة والفخاريات الملونة والعاجيات المنحوتة بصور حياة البلاط وتصاوير الحيوانات التي ترمز للملوك والأمراء. كما احتوت المخطوطات الإسلامية على رسوم البشر والحيوانات، التي استخدمت بشكل خاص لتصوير كتب العلوم والفلسفة إضافة إلى الأعمال التاريخية والأدبية. إلا أن ثراء الزخارف الخالية من التصاوير هو ما يميز الفن الإسلامي، ومن أبرز معالم هذا الفن زخارف لوحات الجص والخشب والبلاط والفسيفساء، إضافة إلى المقرنصات الرائعة والمرتكزة في تصاميمها على فهم عميق للتناسق الهندسي والتعددية في ضمن الوحدة. وحورت العناصر الزخرفية المستوحاة من الطبيعة مثل أوراق النباتات وأزهارها وأغصانها وتشابكت بتعقيد يصعب معه ربطها بأصولها أحياناً، كما جعل من تداخل ومزج الأشكال الهندسية مثل المعين



قبة الصخرة المشرفة، القدس.

والأشكال المتعددة الأضلاع شبكات معقدة غطت السطح بالكامل، ونتج عنها أشكال عرفت بـ"الأرابيسك". كان أحد التحديثات على العناصر الزخرفية إدخال الخط في زخرف الأبنية والأثاث وغيرها من القطع المختلفة، إذ استغل الحرفيون المسلمون جمال الخط العربي، لغة القرآن الكريم، ليس فقط لكتابة السور القرآنية بل أيضاً كعناصر زخرفية لتزيين اللوحات الجصية وحواف الإطارات.

كان الفن أيضاً في خدمة الحكام، فبنى المعماريون القصور بالإضافة إلى المساجد والمدارس والمستشفيات والحمّامات والخانات والأضرحة، والتي كانت أحياناً تعرف بأسماء الحكام. يعتبر الفن الإسلامي فن الدول والسلالات التي حكمت العالم الإسلامي، إذ ساهمت كل دولة في خلق اتجاهات فنية كانت تضيف وتجدد الأشكال الفنية السائدة، معتمدة على الظروف السياسية ودرجة الثراء والتقاليد المتوارثة. سمح الفن الإسلامي رغم وحدته النسبية بالتنوع الذي أنتج أساليب مختلفة، عرف كل منها بإحدى السلالات التي حكمت العالم الإسلامي.

تمثل دولة بني أمية (41 / 661-132 / 750) التي نقلت عاصمة الخلافة إلى دمشق، بعض أهم الإنجازات في تاريخ الإسلام، ففي ظل الحكم الأموي دمج الإرث الهلنستي والبيزنطي بطريقة أعادت صياغة تراث حوض المتوسط الكلاسيكي في قالب جديد ومبتكر. بهذا تم تكوين الفن الإسلامي في بلاد الشام، واستمرت العمارة الإسلامية الجديدة، بشخصية مؤسسيها، حاملة قرابتها للفن الهلنستي والبيزنطي في ذات الوقت. ومن أهم الأبنية التي شيدت في هذه الفترة قبة الصخرة المشرفة في القدس، أقدم الأبنية الإسلامية التي وصلتنا، والجامع الأموي في دمشق الذي أصبح نموذجاً لعمارة المساجد، ثم "القصور الصحراوية"

في سوريا والأردن وفلسطين.
عندما قامت الخلافة العباسية (132/ 750-656/ 1258) بعد الأموية، انتقل مركز الإسلام السياسي من حوض المتوسط إلى بغداد في بلاد الرافدين. أثر هذا الانتقال على تطور الحضارة الإسلامية وكافة مكوناتها الثقافية، والفن الذي كان لا بد أن يتأثر بهذا العامل. تأثر الفن والعمارة العباسية بثلاثة تقاليد فنية رئيسة: الساسانية، ووسط آسيا، والسلجوقية. كان تأثير وسط آسيا موجوداً في العمارة الساسانية، لكن هذا التأثير ظهر في سامراء حيث بدا واضحاً في زخرفة الجص بالأرابيسك والذي ما لبث أن انتشر سريعاً عبر العالم الإسلامي. بالإمكان رؤية تأثير المعالم العمرانية العباسية في المباني التي أنشأت خلال تلك الفترة في مناطق متعددة، خاصة في مصر وإفريقيا. يعتبر جامع ابن طولون في القاهرة (262/ 265-576/ 879) تحفة فنية لروعة مخططه وتناسق معالمه، وقد بني على نموذج الجامع العباسي الكبير في سامراء، وبخاصة مئذنته الملوية. وفي القيروان، عاصمة إفريقيا، قام الأغالبة (184/ 800-296/ 909) حلفاء العباسيين بتوسعة جامع القيروان الكبير، وهو أحد أهم جوامع المغرب، وغطي المحراب فيه ببلاطات الخزف المستوردة من بلاد الرافدين.
تمثل فترة حكم الفاطميين (297/ 909-567/ 1171) مرحلة هامة في تاريخ بلدان

محراب جامع القيروان، تونس.

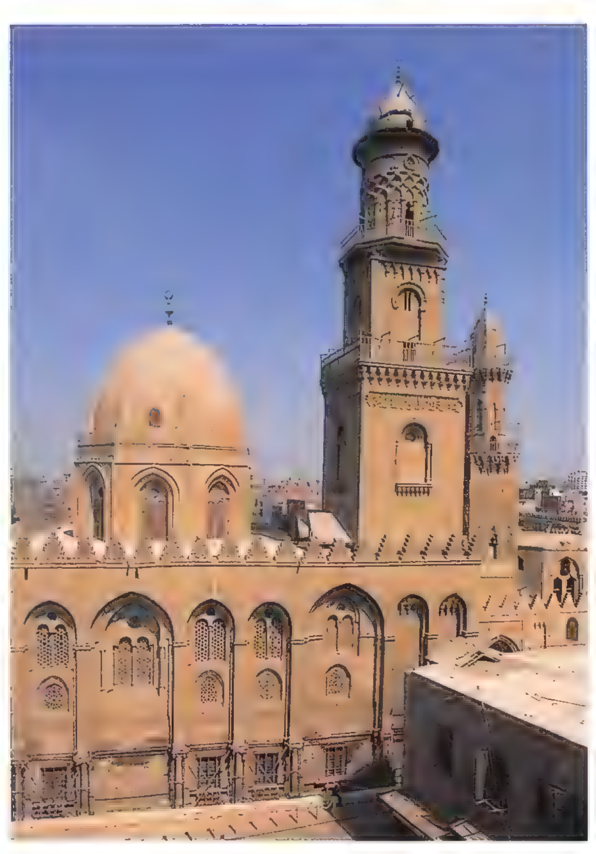


مئذنة جامع القيروان، تونس.

مدخل قلعة حلب، سوريا.

جامع السلطان قلاوون، القاهرة، مصر.





حوض المتوسط الإسلامية: شمال إفريقيا، وصقلية، ومصر، وبلاد الشام. لم تبق سوى أمثلة قليلة على عمارة تلك الفترة لكنها شواهد على عظمة ذلك الماضي. ففي وسط المغرب توجد قلعة بني حماد وجامع المهدية؛ وفي صقلية هنالك "القبة" و"العزيزة" في باليرمو والتي بناها الحرفيون الفاطميون خلال حكم الملك النورماندي وليام الثاني؛ أما في القاهرة فيعتبر الأزهر أبرز أمثلة العمارة الفاطمية في مصر.

كان الأيوبيون (567/ 648-1171/ 1250) الذين أطاحوا بحكم الفاطميين في القاهرة وأسسوا عاصمة جديدة لهم في دمشق، رعاة فن وعمارة وشجعوا التطوير الحضري في مصر والشام. كما أسسوا المعاهد الدينية من مدارس وخانقات لنشر المعارف الدينية والنهوض بالتعاليم الإسلامية الموحدة، وبنوا الأضرحة واهتموا بالمشاريع الخيرية، إضافة إلى التحصينات العسكرية التي استوجبتها حروبهم مع الفرنجة، وتعد قلعة حلب في سوريا مثالاً بارزاً على عمارتهم العسكرية.

نجح المماليك (648/ 932-1250/ 1517) خلفاء الأيوبيين في التصدي للفرنجة والمغول، وحققوا وحدة بلاد الشام مع مصر وأسسوا بذلك إمبراطورية مهيبة. شجع ثراء وبذخ البلاط السلطاني المملوكي في القاهرة الفنانين والمعماريين على إنجاز أسلوب عمارة فائق الروعة، فكانت الفترة المملوكية فترة نهضة وبعث جديد في العالم

الإسلامي. وبفضل حماسهم في تأسيس المؤسسات الدينية وإعادة إعمار المؤسسات السابقة، يعتبر المماليك من أعظم رعاة الفن والعمارة في التاريخ الإسلامي. من أبرز الأمثلة على العمارة المملوكية جامع السلطان حسن (757 / 1356) الذي ضم ضريحه، واتخذ في تخطيطه شكلاً متصالبا تتقدم أذرعه الأربعة إيوانات محيطة بساحة مركزية، وتعتبر عمارته مميزة لتلك الفترة.

كانت الأناضول مهد دولتين إسلاميتين كبيرتين: السلاجقة (571 / 1075-718 / 1318) الذين أدخلوا الإسلام للمنطقة، والعثمانيين (699 / 1299-1340 / 1922) الذين قضوا على الإمبراطورية البيزنطية عندما احتلوا القسطنطينية، ونشروا حكمهم في إمبراطورية شاسعة.

ازدهر أسلوب فن وعمارة سلجوقية مميز بتأثير من آسيا الوسطى وإيران وبلاد الرافدين والشام، وامتزج مع عناصر من التراث الأناضولي المسيحي والقديم. وعمرت قونية عاصمة السلاجقة الجديدة وغيرها من المدن بالمباني التي اتبعت الأسلوب السلجوقي الجديد المتطور، فوصلتنا من هذه الفترة مبانٍ عدة من مساجد ومدارس وترب وخانات غُطيت جدرانها بالزخارف الجصية والبلاط المزجج الذي اشتمل على أشكال كائنات متنوعة.

عندما تفككت إمارات السلاجقة وضعفت بيزنطة، وسع العثمانيون أراضيهم ونقلوا عاصمتهم من إزنيك إلى بورسة ومن ثم إلى إدرنه. أعطى احتلال السلطان محمد الثاني للقسطنطينية عام 858 / 1453 الدافع لتحول دولة ناشئة إلى إمبراطورية واسعة امتدت حدودها إلى فيينا لتشمل البلقان في الغرب وإيران في الشرق، إضافة إلى شمال إفريقيا من مصر إلى الجزائر، وبذلك تحول البحر المتوسط إلى بحر عثماني. وللتفوق على عظمة الكنائس البيزنطية، الممثلة بكنيسة أيا صوفيا، تم بناء جوامع ضخمة



جامع السليمية، إدرنه، تركيا.



بلاط من قصر قباد أباد، متحف قرتيه، قونيه، تركيا.

في استنبول أهمها جامع السليمانية الذي أنشئ في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على يد المعماري العثماني الشهير سنان، وهو يجسد قمة التناسق المعماري في الأبنية ذات القباب. كانت معظم الجوامع العثمانية الرئيسة جزءاً من مجمعات معمارية سميت بـ"الكلية" التي ضمت، إضافة للجامع، عدة مدارس، ومدرسة للقرآن، ومكتبة، ومستشفى (دار شفاء)، ونزل (طبخانه)، ومطبخ عام، وخان، وأضرحة (ترب). ومنذ بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، خلال ما يعرف في تاريخ الفن بـ"فترة الخزامى" (Tulip)، عكست العمارة العثمانية وأساليب زخرفها تأثير الباروك والركوكو الفرنسي، وابتدأت فترة التغرب في الفن والعمارة.

شهدت الأندلس في الجزء الغربي من العالم الإسلامي ميلاد أسلوب رائع في الفن والثقافة. أسس عبد الرحمن الأول خلافة أموية مستقلة في الغرب (138 / 750- 422 / 1031) عاصمتها قرطبة؛ نلاحظ في جامع قرطبة الكبير بداية إبداعات فنية مثل العقود المزدوجة المقامة على دورين فوق بعضهما البعض والمبنية بلونين أبيض وداكن، واللوحات ذات الزخارف النباتية التي أصبحت جزءاً من الأشكال الفنية الأندلسية.

في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، تفككت خلافة قرطبة إلى

محراب جامع قرطبة الكبير، إسبانيا.



مدينة الزهراء، دار الجند، إسبانيا.



عدة إمارات لم تتمكن من الصمود في وجه الدول المسيحية في شمال غربي شبه الجزيرة الإيبيرية. إلا أن ملوك الطوائف، المرابطون في 479 / 1086 والموحدون في 540 / 1145، قاوموا المسيحيين الإسبان وأعادوا نوعاً من الوحدة في الأندلس، ومن خلال دخولهم الأندلس، احتك المرابطون (427 / 1036-541 / 1147) بحضارة جديدة وجذبهم تطور الفن الأندلسي فنقلوه إلى عاصمتهم مراكش، حيث بنوا جامعاً كبيراً وعدة قصور. عكست المعالم العمرانية التي بناها المرابطون في شمال إفريقيا، من تلمسان إلى الجزائر وفاس، عمارة قرطبة والعواصم الأندلسية الأخرى مثل إشبيلية.

بلغ الفن الإسلامي الغربي أوجه في ظل حكم الموحدين (515 / 1121 - 667 / 1269) الذين وسعوا دولتهم لتصل تونس. وتجدد في تلك الفترة الابتكار الفني الذي بدأ خلال حكم المرابطين، فصنعت روائع جديدة من الفن الإسلامي مثل الجامع الكبير في إشبيليه، والكتبية في مراكش، وجامع الحسن في الرباط، وجامع تنمال في جبال أطلس المغربية.

عند تفكك دولة الموحدين، حكمت الأسرة الناصرية غرناطة (629 / 1232 - 897 / 1492) التي مرت بفترة ازدهار في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. أصبحت حضارة غرناطة مثالاً يحتذى في القرون اللاحقة في إسبانيا (الفن الإسباني



منظر جوي لجامع تنمال، المغرب.

الإسلامي المعروف بفن المدجنين)، وشاع هذا التقليد الفني في المغرب حيث استمر حتى وقتنا الحالي في العمارة والزخرف والموسيقى وحتى في المطبخ المغربي، ويعتبر قصر وقلعة الحمراء الشهيرة في غرناطة قمة ما توصل إليه الفن الأندلسي، وتضم الحمراء جميع مظاهر هذا الفن.

في نفس الوقت في المغرب، خلف المرينيون (641 / 1243-876 / 1471) المرابطون،



برج النساء والحديقة، الحمراء، غرناطة، إسبانيا.

مرتولا، البرتغال.



وحكم بنو عبد الوديد الجزائر (633/ 1235 - 922/ 1516) وكان الحفصيون في تونس (625/ 1228 - 941/ 1534). رعى المرينيون الفن الأندلسي وأثروه



زخارف، مدرسة أبو عنان، مكناس، المغرب.

بمظاهر جديدة، وبنوا في عاصمتهم فاس العديد من المساجد والقصور والمدارس التي زخرفت بالبلاط المزجج واللوحات الصغيرة المزججة (الزلج) واعتبرت زخارف جدران أبنيتهم أكثر أعمال الفن الإسلامي كمالاً. استمرت الأسر المغربية اللاحقة، السعديون (933/ 1527 - 1077/ 1659) والعلويون (1077/ 1659 - إلى وقتنا الحاضر) برعاية التقاليد الفنية الأندلسية التي انتقلت من أرضها الأصلية في 897/ 1492، فاستمروا بتشييد المعالم العمرانية وتزيينها بنفس الطرز والأساليب التي استخدمت خلال فترات حكم الأسر السابقة، وأضاف الفنانون المغاربة اللاحقون لمسات جديدة



مئذنة قلعة بني حماد، الجزائر.



ضريح من فترة السعديين، مراكش، المغرب.

مميزة لإبداعاتهم. في بداية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، سكن مهاجرون من الأندلس مدن شمال المغرب، وأدخلوا معهم مظاهر عدة من الفن الأندلسي. المغرب اليوم هي إحدى الدول القليلة التي حافظت على التراث الأندلسي في العمارة والأثاث، وطورته بامتزاج الأساليب والطرز المعمارية الحديثة.

العمارة الإسلامية (ملخص)

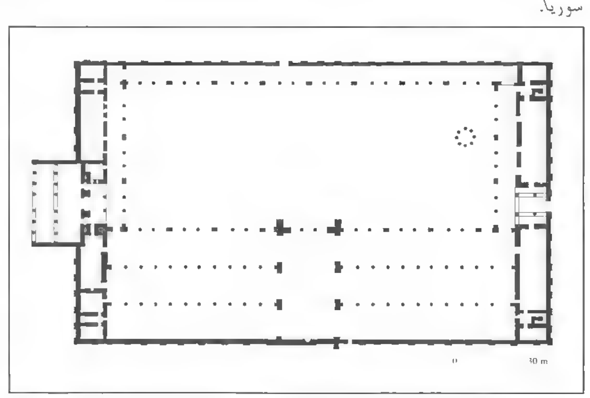
بالإمكان تصنيف العمارة الإسلامية بشكل عام إلى قسمين: العمارة الدينية مثل المساجد والمدارس والأضرحة، والعمارة المدنية مثل القصور والخانات والقلاع وغيرها.

العمارة الدينية

المساجد

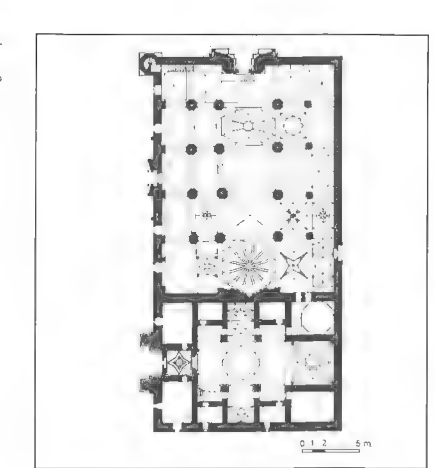
يحتل المسجد مركز القلب في العمارة الإسلامية، فهو رمز الإيمان، وفهم المسلمون هذا الدور الرمزي الذي لعب منذ البداية دوراً هاماً في استحداث علامات بصرية للمبنى مثل المئذنة، والقبة، والمحراب، والمنبر وغيرها.
كانت ساحة بيت الرسول الكريم في المدينة، التي اتسمت بالبساطة، أول مسجد في الإسلام. وكانت المساجد التي بناها المسلمون عند بداية الفتوحات بسيطة كذلك. تطور المسجد الجامع من هذه الأبنية، وبقيت مظاهره الرئيسة بدون تغيير حتى يومنا هذا أي طيلة حوالي 1400 عام. يتكون مخطط المسجد الجامع الأساسي من ساحة كبيرة تحيط بها الأروقة المعمدة، ويكون عدد الأروقة أو صفوف الأعمدة أكبر في جهة القبلة المواجهة لمكة المكرمة. أصبح الجامع الأموي الكبير في دمشق، والذي تبع مخطط مسجد الرسول، مثالاً للعديد من الجوامع التي بنيت في أرجاء العالم الإسلامي.
تطور طرازان آخران من المساجد في الأناضول وفيما بعد في لإمبراطورية العثمانية وهما: الطراز البازيليكي، والطراز المقبب. يتكون الطراز الأول من قاعة بسيطة مقسمة إلى أروقة بصفوف من الأعمدة أو "بازيليكا" تبعاً للتقاليد الشامية منذ الفترة الرومانية المتأخرة والبيزنطية، أدخل هذا الطراز مع بعض التعديلات في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. أما الطراز الثاني فتطور خلال الفترة العثمانية، وفيه وزعت المساحات الداخلية حول قبة واحدة. ابتكر المعماريون العثمانيون هذا الطراز الجديد من المباني المقببة بمزج تقاليد المساجد الإسلامية بتقاليد الأبنية الأناضولية المقببة، وفيه ترتكز القبة الرئيسة على نظام ارتكاز سداسي، بينما تغطي القباب الأصغر حجماً المساحات الجانبية، ويعتبر هذا التركيز على الفضاء الداخلي الذي

مخطط الجامع الأموي في دمشق، سوريا.



تعلوه قبة واحدة بداية لطراز أدخل في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. خلال تلك الفترة، أصبحت المسجد مجمعاً متعدد الأغراض، فاحتوى على "زاوية" ومدرسة، ومطبخ عام، وحمّام، ونزل أو خان، إضافة إلى ضريح مؤسس المسجد. أكبر المعالم المعمارية من هذا الطراز هو جامع السليمانية في استنبول الذي بناه المعماري الكبير سنان عام 965 / 1557.

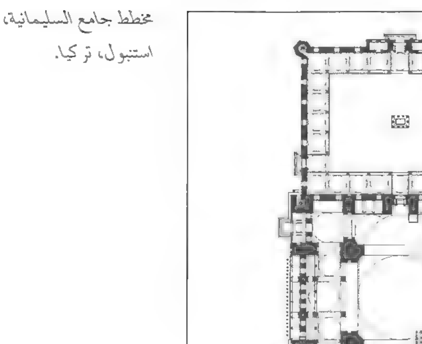
أبرز علامات المسجد هي المئذنة، التي من فوقها ينادي المؤذن المسلمين للصلاة. تتكون المئذنة التقليدية في بلاد الشام من برج مخططه مربع الشكل مبني بالحجارة. في مصر المملوكية، قسمت المآذن إلى ثلاثة نطاقات: قسم مربع في الأسفل، فوقه قسم ثماني الأضلاع وفي الأعلى قسم دائري تعلوه قبة صغيرة. زينت جدران المآذن وغطيت الوصلات ما بين الأقسام الثلاث بالمقرنصات. أما المآذن في شمال إفريقيا وإسبانيا، والتي تشارك المآذن الشامية في كونها أبراج مربعة، فقد جعل فيها نوافذ مزدوجة أحيطت باللوحات الزخرفية. خلال الفترة العثمانية، استبدلت المآذن المربعة بأخرى ثمانية الأضلاع أو أسطوانية الشكل، وكانت في الغالب طويلة ومدببة القمة، ورغم أن لمعظم المساجد مئذنة واحدة إلا أن جوامع المدن الرئيسة كان لها مئذنتين، أو أربع مآذن، وأحياناً وصل عدد مآذنها إلى ستة.



مخطط الجامع الكبير، ديفريغي، تركيا.

المدارس

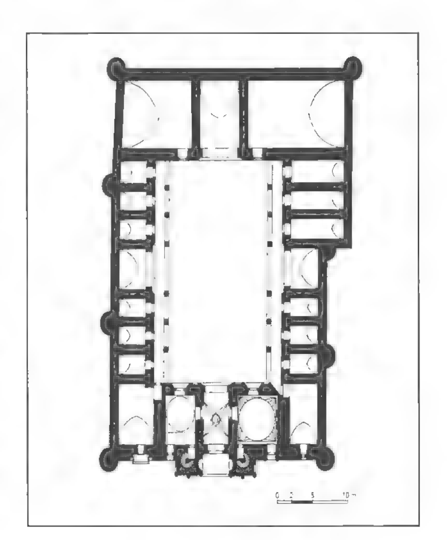
من المحتمل أن السلاجقة كانوا أول من بنى المدارس في بلاد فارس في بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وكانت عندئذ أبنية صغيرة ذات ساحة مقببة وإيوانين جانبيين. وفي مرحلة لاحقة ظهر نمط كان يتألف من ساحة مفتوحة



مخطط جامع السليمانية، استنبول، تركيا.


طرز المآذن.

وإيوان في الوسط محاط بالأروقة. خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي صارت المدرسة في الأناضول تؤدي أغراضاً متعددة، فاستعملت لتعليم الطب، واحتوت على مصح عقلي، ومشفى ملحقاً به مطبخ عام لإطعام الفقراء، وضريح. وصل نشر تعاليم الإسلام السنية أوجه في بلاد الشام ومصر خلال حكم الزنكيين


مخطط مدرسة سيفاز غوك، تركيا.

والأيوبيين (القرن السادس – بداية السابع الهجري / الثاني عشر – الثالث عشر الميلادي)، وشهدت هذه الحقبة بناء المدارس من قبل القادة المدنيين أو السياسيين لتعزيز لتعزيز دراسة الفقه الإسلامي. كانت هذه المدارس تمول من أموال وقفية، وخصصت لها في الغالب إيرادات أراض أو مزارع، أو حوانيت تجارية، أو حمّامات. اتبعت المدرسة التقليدية النظام الذي يتكون من أربعة إيوانات متعامدة على هيئة صليب حول بهو أو ساحة متوسطة، وشاع مخطط المدرسة هذا فيما بعد حتى استخدم في عمارة المساجد. فقدت المدرسة بالتدريج دورها السياسي واتخذت دوراً مدنياً أكثر شمولية فضمت جامعاً للصلاة بالإضافة إلى ضريح باني المدرسة.

تسارع إنشاء المدارس في مصر وبخاصة في القاهرة مع مجيء المماليك. كان النموذج لمدارس القاهرة في ذلك العهد يتألف من بناء ضخم له أربعة إيوانات متعامدة تتقدمه واجهة رائعة الزخرف فتحت فيها بوابة تعلوها المقرنصات. مع مجيء العثمانيين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، انتشرت الأبنية التي تضم الجامع والمدرسة وقام السلاطين برعايتها وتمويلها، واختفى الإيوان تدريجياً واستبدل بقاعة كبيرة تعلوها قبة عالية. هذا وتتميز المدارس العثمانية بكثرة عدد الغرف المقببة التي استخدمها التلاميذ.

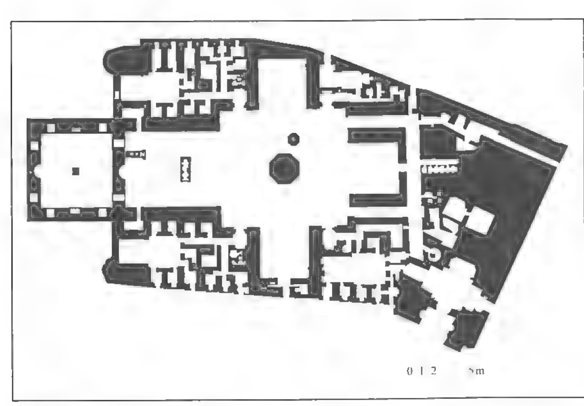
من الأنماط المعمارية المتعددة التي يمكن



ربطها بالمدرسة من حيث التخطيط والوظيفة هي "الخانقاه"، رغم أن كلمة "خانقاه" تشير إلى مؤسسة لأتباع الطرق الصوفية في الإسلام وليس إلى نوع معين من المباني. استخدم المؤرخون المسلمون مصطلحات عدة للإشارة إلى "الخانقاه": في المغرب سميت "زاوية"؛ وأطلق العثمانيون عليها اسم "تكية"؛ وبشكل عام استخدم مصطلح "رباط" للإشارة إلى "الخانقاه". سيطرت الصوفية على الخانقاه التي يعود أصلها إلى شرقي بلاد فارس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. كانت الخانقاه في أبسط أشكالها مجرد بيت يجتمع فيه التلاميذ حول شيخ الطريقة، واحتوت أمكنة للاجتماع والصلاة والمعيشة. ازدهر إنشاء الخانقات في ظل حكم السلاجقة خلال القرنين الخامس والسادس الهجري / الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، واستفادت هذه المؤسسات من ارتباط الصوفية بالمذهب الشافعي، الذي كان مذهب الحكام.

الأضرحة

تختلف تسميات هذا الصنف المعماري في المصادر الإسلامية. يشير تعبير "تربة" إلى استعمال المبنى للدفن، بينما يشير الاسم "قبة" إلى العنصر المعماري الأكثر وضوحاً في البناء، والذي كان في الغالب قد شيد لتخليد ذكرى الأنبياء والصحابة ومشاهير القادة الدينيين أو العسكريين. لم يقتصر دور الضريح على كونه مكاناً للدفن والاستذكار، بل لعب دوراً هاماً في "الديانة الشعبية"، فاكتسبت بعض الأضرحة قدسية لدى عامة الشعب، كمدافن "الأولياء" التي أصبحت مزارات دينية. كانت الأضرحة تزين في العادة بالآيات القرآنية وفيها محراب للصلاة، وفي بعض الأحيان كان الضريح جزءاً من مؤسسة أكبر وأوسع. اختلفت أشكال أبنية الأضرحة الإسلامية، إلا أن النموذج الغالب كان يتكون من غرفة مربعة تعلوها قبة.



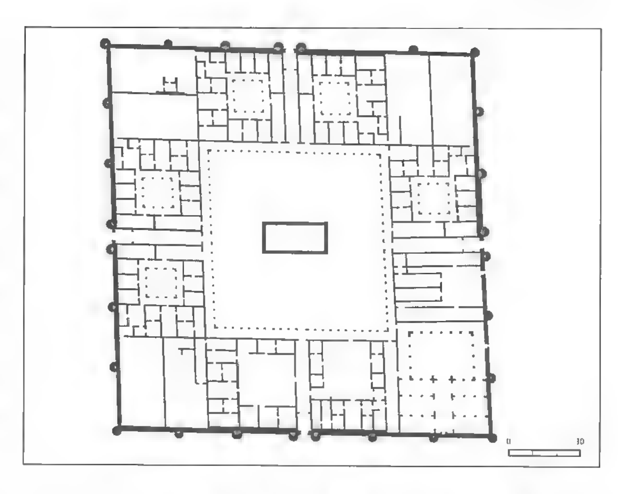
جامع ومدرسة السلطان حسن، القاهرة، مصر.

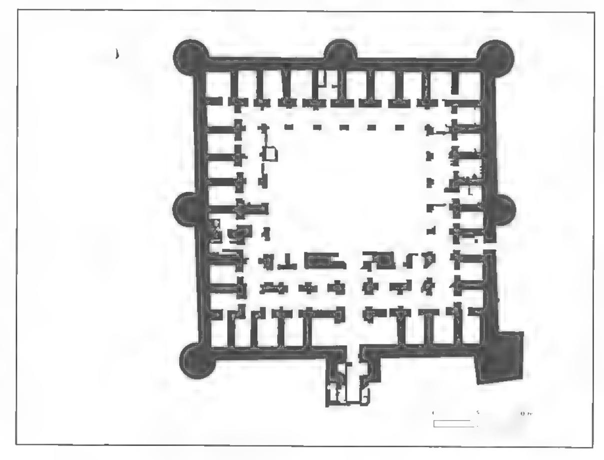
العمارة المدنية

القصور

تتميز الفترة الأموية بالقصور والحمّامات الفاخرة المبنية في مناطق صحراوية نائية، واتبعت مخططاتها الرئيسة النماذج

مخطط قصر الحير
الشرقي، سوريا.





مخطط رباط سوسه،
تونس.

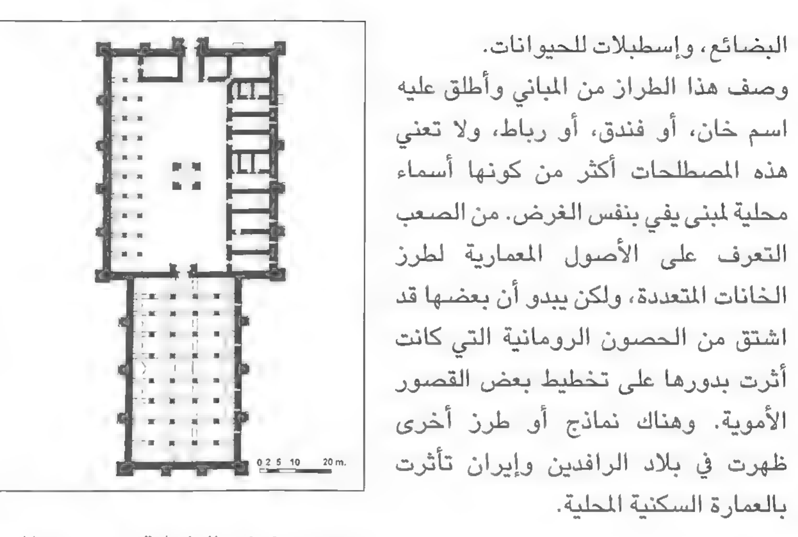
العسكرية الرومانية. ورغم أن عناصرها الزخرفية منتقاة من مصادر عدة، إلا أنها تعتبر أفضل الأمثلة على الطراز الزخرفي الإسلامي في بدايته إذ استخدمت فيها الفسيفساء، والرسومات الجدارية، ومنحوتات الحجر والجص التي أضفت عليها تنوعاً في المواد والعناصر الزخرفية.

اتبعت القصور العباسية، مثل تلك الموجودة في سامراء والأخيضر، نفس مخططات سالفتها الأموية لكنها تميزت بكبر حجمها ووجود الإيوان الكبير والقباب والساحات، إضافة إلى كثرة استخدام الزخارف الجصية المنحوتة. ظهر طراز جديد من القصور في فترة حكم الأيوبيين، حين ابتدأ بناء القصور داخل أسوار القلاع. وهكذا أصبحت مساكن الأسرة الحاكمة، بما فيها الحمامات الخاصة والمساجد، جزءاً من مجمع القلعة. تطورت القصور في الفترات الإسلامية اللاحقة فظهر طراز مميز اعتمد ثراء الزخارف أكثر من كبر الحجم، وتعتبر الحمراء في غرناطة أفضل الأمثلة على القصور الملكية أو الأميرية الإسلامية، حيث قسمت مساحة القصر الشاسعة إلى مجموعة وحدات منفصلة: الحدائق، والسرادقات، والساحات أو الأفنية. إلا أن أكثر ما يؤثر في النفس في الحمراء هو الزخارف الكثيفة التي تضفي جواً خاصاً على داخل البناء.

الخانات

يشير مصطلح "خان" بشكل عام إلى مبنى يؤمن المنامة للمسافرين والتجار. كان مخططه في العادة مربعاً أو مستطيلاً، وله مدخل وأبراج تبرز عن سمت الجدران المحيطة. كان للمبنى ساحة مركزية محاطة بالأروقة والغرف لسكن المسافرين وتخزين

البضائع، وإسطبلات للحيوانات.
وصف هذا الطراز من المباني وأطلق عليه اسم خان، أو فندق، أو رباط، ولا تعني هذه المصطلحات أكثر من كونها أسماء محلية لمبنى يفي بنفس الغرض. من الصعب التعرف على الأصول المعمارية لطرز الخانات المتعددة، ولكن يبدو أن بعضها قد اشتق من الحصون الرومانية التي كانت أثرت بدورها على تخطيط بعض القصور الأموية. وهناك نماذج أو طرز أخرى ظهرت في بلاد الرافدين وإيران تأثرت بالعمارة السكنية المحلية.



مخطط خان أقصري سلطان، تركيا.

التنظيم المدني

زودت جميع المدن الهامة منذ حوالي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بأسوار محصنة وأبراج وبوابات منيعة وقلعة (أو قصبة) شامخة للدلالة على القوة. كانت تلك منشآت ضخمة بنيت بالمواد المحلية: الحجارة في الشام وفلسطين ومصر، أو الآجر والحجر والطين المدكوك في الأندلس وشمال إفريقيا. "الرباط" هو مثال متميز في العمارة العسكرية، ومن الناحية التقنية هو قصر محصن صمم للمحاربين المسلمين الذين كانوا يتطوعون بشكل دائم أو مؤقت للدفاع عن حدود الدولة. من أبرز الأمثلة على هذا النوع من البناء رباط سوسه في تونس الذي يشبه في تخطيطه القصور الإسلامية المبكرة، لكنه يختلف عنها بتوزيع غرفه الداخلية، ووجود المسجد والمئذنة فيه.

اعتمد تقسيم المدن الإسلامية الرئيسة إلى حواري / أحياء على أصول السكان القبلية وانتماءاتهم الدينية، وساهم هذا النظام في لتسهيل إدارة السكان وشؤونهم. كان كل حي أو حارة يحتوي على مسجد بالإضافة إلى المنشآت الأخرى كالحمّام وسبيل الماء والمخبز ومجموعة حوانيت. كانت الحارة تتكون من شبكة شوارع وأزقة ومجموعة بيوت، وبالاعتماد على المنطقة أو الفترة التاريخية، هذا وقد اتخذت البيوت مظاهر مختلفة حسب الطبيعة الجغرافية والظروف التاريخية ومواد البناء المستعملة.

كانت السوق عصب الاقتصاد المحلي وأبرز مظاهر المدن الإسلامية. كان لبعد الأسواق عن الجامع تأثير على التوزيع الفضائي لأسواق الحرف والتجارة المتخصصة،

فعلى سبيل المثال كانت أسواق الحرف "النظيفة" (مثل الكتّاب والعطارين والخياطين) في محيط الجامع المباشر، بينما جعلت الحرف التي يصدر عنها الضجيج والروائح المنفرة (مثل الحدادين والدباغين والصباغين) على مسافات أبعد. كان هذا التوزيع الجغرافي على أساس تقني بحت.



أم قيس
إربد
طبقة
جرش
فحل
عمان
جبل نبو
القسطل
مأدبا
أم الوليد
القناطر
أم الرصاص
البحر الميت
غور الصافي
أذرح
الحميمة
العقبة
أم الجمال
المفرق
الحلابات
الصراح
عمره
الموقر
الخرانة
المشتى
N



خربة المفجر، الأرضية الفسيفسائية
قرب قاعة الاستحمام، أريحا (عن
Ettinghausen, 1977).

مقدمة تاريخية وفنية

محمد الأسد

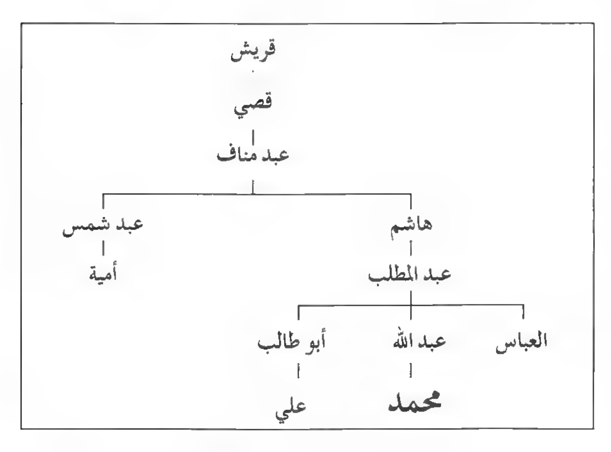
استمر حكم الخلافة الأموية أقل من 90 عاماً (41-132هـ/661-750م)، لكن خلال هذه الفترة القصيرة نسبياً تم تغيير الخرائط السياسية والثقافية في حوض البحر المتوسط وغرب ووسط آسيا. وتحت لواء الدين الإسلامي الجديد تمكن الأمويون من تكوين إمبراطورية ضخمة امتدت من جنوب فرنسا في الغرب إلى الهند وحدود الصين في الشرق وكانت أكبر إمبراطورية حتى ذلك التاريخ، أكبر من إمبراطورية الرومان ولم تفوقها حجماً سوى الإمبراطوريتين البريطانية والروسية في العصر الحديث. ورغم أن الأمويون كونوا إمبراطوريتهم في زمن قصير جداً إلا أن تأثيرها كان طويل الأمد وما زالت معظم الأراضي التي شملتها الإمبراطورية الأموية الإسلامية في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي جزءاً من العالم الإسلامي اليوم.

ارتبطت نهضة الخلافة الأموية بنهضة الإسلام ارتباطاً وثيقاً، إذ أتت بعد أقل من 40 عاماً على تأسيس النبي محمد صلى الله عليه وسلم (570م – 11هـ/632م) لأول دولة إسلامية عام 1هـ/622م. ولد الدين الإسلامي في مكة عام 611، عندما تلقى النبي محمد الوحي. اتبعه في البداية عدد قليل جداً من المؤمنين الذين اضطهدهم أهل مكة لأسباب عدة منها أنهم رأوا في رسالة محمد بوحدانية الله خطراً على طريقة معيشتهم ومصالحهم الاقتصادية عبر خسارتهم الفوائد الناجمة عن كون المدينة مركزاً للوثنية العربية. وكان أهل يثرب/المدينة الواقعة على بعد حوالي 400كم شمال شرق مكة هم أول مجموعة كبيرة تقبلت الرسول والدين الإسلامي. عانت المدينة من الصراع بين قبيلتي الأوس والخزرج العربيتين، ورأى سكانها في محمد رجل نظام وقوة وروحانية تمكنه من توحيد مدينتهم، وتقبلوه بالتالي بصفته زعيماً روحانياً وسياسياً ودعوه إليهم من مكة، فهاجر إلى المدينة مع عدد قليل من أتباعه عام 1/ 622.

هذا الحدث الهام هو الهجرة التي بدأ بها التقويم الإسلامي، ولم يتوقع أحد أن تخرج من تلك المدينة الصغيرة تحت راية الإسلام إحدى أعظم القوى العسكرية والسياسية والحضارية في التاريخ البشري.

ومن المدينة المنورة، نشر النبي وأتباعه الإسلام في الجزيرة العربية، وفي عام 8/630 دخل مكة فاتحاً منتصراً، وعند

علاقة نسب الأموين بالرسول محمد.



وفاته في 10/ 632 كانت الجزيرة العربية بأكملها تحت راية الإسلام.

الخلفاء الراشدون

كان لا بد من اختيار خليفة للرسول بعد وفاته، وأجمع عدد من الصحابة على اختيار أبي بكر الذي كان أكبر الصحابة عمراً وأقربهم لرسول الله، وبهذا أصبح أبو بكر أول خليفة في الإسلام. وقد برهن على كونه أقدر الناس على الخلافة إذ عرف بحلمه وتواضعه وكفاءته القيادية. ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام عند وفاة الرسول إلا أن أبو بكر استطاع فرض سيطرته على هذه القبائل وبذلك أنقذ الدولة الإسلامية حديثة العهد من التفكك المبكر، وخلال فترته القصيرة في الخلافة التي لم تتعدى العامين، بدأت القوات المسلمة بالزحف على أراضي الإمبراطورية البيزنطية في سوريا وأراضي الإمبراطورية الساسانية في العراق وفارس، وقبل وفاته عام 13/ 634 نسّب أبو بكر الصحابي عمر بن الخطاب للخلافة ووافق مسلمو المدينة على الخليفة الجديد.

برهن عمر أيضاً على أهليته للقيادة، وعرف عنه تقواه وبساطته وعدله، واستمر التوسع الإسلامي خلال فترة خلافته التي استمرت عشرة أعوام إذ تم القضاء على الإمبراطورية الساسانية وقهرت قوى الإمبراطورية البيزنطية بخسارتها بلاد الشام ومصر. أسس عمر نظاماً إدارياً فاعلاً (أنظر "نظام الإدارة الأموي") مما أتاح للعرب المسلمين حكم المجتمعات المتقدمة التي خضعت لهم. عبر هذا النظام، تم إعطاء المجموعات المسيحية واليهودية والزردشتية التي عاشت في ظل الإسلام حرية كبيرة في إدارة شؤونهم، إلا أنه كان عليهم دفع الجزية للخزينة الإسلامية، ورحب معظم سكان هذه المناطق التي رزحت تحت الحكم البيزنطي والساساني الظالم بالحكام العرب المسلمين الجدد.

اغتيل عمر عام 23/ 644 وبويع الصحابي وصهر الرسول عثمان بن عفّان خليفة للمسلمين. استمرت الفتوحات الإسلامية قوية في الأراضي البيزنطية ووسط آسيا خلال سنوات حكم عثمان الإثني عشر، وعرف الخليفة بدماثة خلقه وتقواه إلا أنه وبعكس أسلافه لم يستطع الحفاظ على وحدة النخبة العربية المسلمة، واتهمه البعض بتفضيل أقاربه للمراكز العليا في الدولة مما أدى إلى عدد من النزاعات التي تسببت بمقتله عام 35/ 656.

بويع علي بن أبي طالب لخلافة عثمان، وكان مسلماً تقياً ورعاً إضافة إلى كونه ابن عم النبي وصهره. ولكن كما في خلافة عثمان تصاعدت النزاعات بين نخب العرب المسلمين تحت خلافته، وهاجمه خصومه السياسيين لعدم عقابه المسئولين عن مقتل عثمان، وخالف عدد منهم جهراً أحقيته بالخلافة.

كان أخطر مناوئي علي هو معاوية بن أبي

سفيان، والي بلاد الشام وأحد أفراد بني أمية، الأسرة المكية الثرية التي انتمى إليها عثمان. اتهم معاوية علياً بالتغاضي عن مقتل عثمان ورفض الاعتراف بسلطته، والتقى الغريمان في عام 36/657 في معركة صفين على ضفاف الفرات إلا أن المعركة انتهت دون حسم، واستمر النزاع بينهما حتى اغتيال علي عام 41/661 على يد أحد الخوارج، الذين كانوا أصحاب مذهب إسلامي متشدد عارض كل من علي ومعاوية. قبل الحسن الابن الأكبر لعلي الخلافة على مضض وفي ذات الوقت تمت مبايعة معاوية خليفة على المسلمين.

توصل معاوية إلى اتفاق مع الحسن لترك الخلافة، وبذلك أصبح معاوية حاكم الدولة الإسلامية الأوحد ونودي به خليفة في احتفال في القدس عام 41/661، واختار دمشق عاصمة لخلافته، بينما كان علياً قد نقل عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة في جنوب العراق. وبهذه الأحداث ولدت الخلافة الأموية.

تعتبر خلافة الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الفترة الذهبية في الإسلام، إذ كانوا جميعاً من صحابة الرسول الكريم وعرفوا بالتقوى والإيمان، وتمت مبايعتهم جميعاً من قبل قادة وكبار المسلمين. أما معاوية، الذي لم يعتنق الإسلام إلا بعد فتح مكة في 8/630، فقد استبدل نظام نظام توريث الحكم بنظام البيعة المتبع خلال فترة حكم الخلفاء الراشدين.

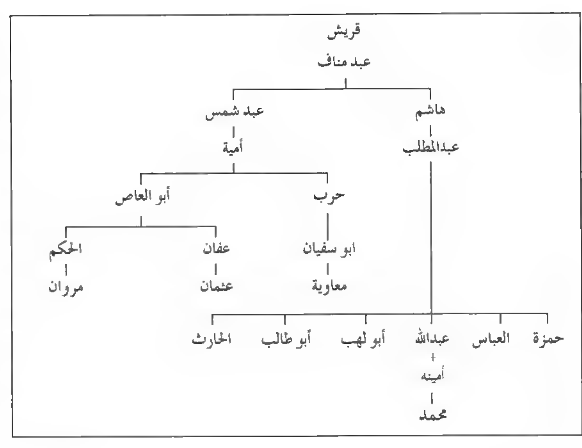
قريش
عبد مناف
هاشم — عبد شمس
عبد المطلب — أمية
عمر — أبو بكر — عبدالله — أبو طالب — العباس — الخلفاء الأمويون
41 / 661 – 132/ 750
316 / 929 – 422/ 1031
حفصه — عائشة + محمد
+
محمد
الخلفاء العباسيون
132 / 750 – 656 / 1258
رقية + عثمان — علي + فاطمة
الحسين — الحسن
الأئمة
الخلفاء الفاطميون
297 / 909 – 567 / 1171

علاقة الخلافة.

الأمويون

كان معاوية قريشي مكيّ مثله بذلك مثل كافة الخلفاء الراشدين، إلا أنه لم يكن قريباً للنبي محمد بنفس قرب علي ابن عم الرسول الكريم. ويعود نسب معاوية إلى نفس عائلة عثمان. وقد لعبت روابط الدم هذه دوراً كبيراً في رفعة بني أمية وأيضاً إلى سقوط حكمهم بعد تسعة عقود من الزمن.

كان أحد أهم اعتراضات معاوية على خلافة علي فشله في معاقبة قتلة عثمان، إلا أن غالبية المسلمين رأت أن علي، ابن عم الرسول وصهره، وأولاد علي أحفاد رسول الله، هم المرشحون الشرعيون الوحيدون لمنصب الخلافة. وبذلك اعتبروا معاوية معتدياً على الخلافة، ومن هنا نشأت طائفة الشيعة الإسلامية (أو "شيعة علي" بمعنى "حزب



نسب الرسول محمد والأمويين.

علي")، وتطورت فيما بعد لتصبح قوة هامة ساعدت في القضاء على حكم بني أمية.

إلا أن معاوية سيطر بقوة على زمام حكم الدولة الإسلامية خلال عقدي حكمه، فكان سياسياً محنكاً فضل المفاوضات على استخدام القوة. كذلك حكم معاوية بلاد الشام حوالي 20 عاماً قبل توليه الخلافة، وخلال تلك الفترة حوّل تحت قيادته مقاتلي القبائل العربية غير المنظمين إلى جيش نظامي منضبط استطاع مواجهة القوات البيزنطية في الشمال بكفاءة عالية. وخلال خلافته أسس نظاماً إدارياً فاعلاً على غرار النظام البيزنطي، وأحاط نفسه بمستشارين وإداريين مسلمين ومسيحيين أكفاء. وحكم من خلال التشاور مع شيوخ القبائل العربية ونظم مجلساً للشورى ضم هؤلاء الشيوخ.

ولكن أكثر أفعال معاوية إثارة للجدل كان إدخاله نظام الوراثة في الخلافة وذلك بتنصيب ابنه يزيد خلفاً له، إذ كان مبدأ الارتقاء للملك بداعي أحقية الوراثة غريباً عن التقاليد العربية القبلية والإسلامية المبكرة التي اعتمدت انتخاب الخليفة، لكن معاوية نجح في إقناع شيوخ القبائل بتقبل ابنه يزيد خلفاً له، ولضمان قبولهم أعطاهم حق التصديق على اختياره، ولكن عملية المصادقة هذه أصبحت مجرد إجراء شكلي فيما بعد.

توفي معاوية عام 60 / 680 وخلفه ابنه يزيد الذي كان قائداً قديراً إلا أن حكمه لم يخل من الإشكاليات، إذ فند الحسين، ثاني أبناء علي، شرعية حكم يزيد، وفي عام 60 / 680 سار مع مجموعة صغيرة من عائلته ومناصريه إلى الكوفة لمواجهة يزيد. ولكن قطعت قوة من الجيش الأموي الطريق على المجموعة في كربلاء، وعندما رفض الحسين الاستسلام (وتقول بعض الروايات أنه أمر بالعودة إلى المدينة) قام الأمويون بذبح الحسين وجميع من معه. لم تكن لهذه الحادثة أهمية عسكرية في ذلك الوقت، ولكن مع الزمن أصبحت حدثاً في غاية الأهمية للمسلمين الشيعة، وأصبحت ذكرى المعركة (يوم عاشوراء) لهم يوم حداد، وأصبحت كربلاء موقعاً مهماً جداً. وكان تصميم الشيعة على الانتقام لمقتل الحسين أحد أسباب دحر الأمويين فيما بعد.

كما فند عبد الله بن الزبير، وهو ابن أسماء بنت أبي بكر، أيضاً شرعية حكم يزيد، فأرسل يزيد قوة لمحاربته إلا أن الحملة انتهت بسبب موت يزيد المبكر في دمشق،

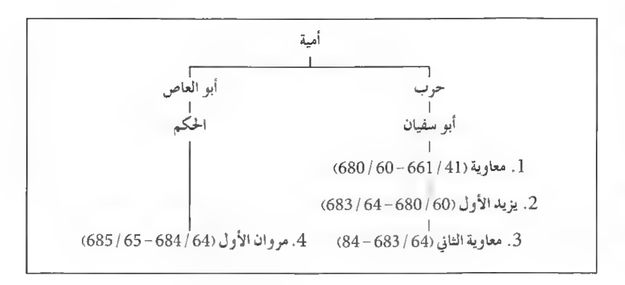
فعاد قائد جيشه إلى بلاد الشام لمواجهة القلاقل المتوقعة هناك، وبالفعل اشتعل بعض القتال. كان معاوية الثاني بن يزيد ضعيفاً وشابت الاضطرابات السياسية حكمه مما أعطى ابن الزبير الفرصة للمضي في طلب الخلافة، وبويع بها في الجزيرة العربية والعراق وإيران ومصر وحتى في أجزاء من بلاد الشام معقل الأمويين.

إلا أن الرجل المتقدم بالسن مروان بن الحكم والمنتمي للفرع المرواني من بني أمية تمكن من إنقاذ الحكم الأموي وأحكام سيطرته على بلاد الشام قبل وفاته. خلفه ابنه عبد الملك الذي كان أهم الحكام الأمويين بعد معاوية والذي تمكن بعد صراع طويل من إخماد ثورة ابن الزبير بواسطة قائد جنده الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي هزم ابن الزبير وقتله في مكة عام 73/692، وكرس بذلك حكم بني أمية.

تعدت أهمية حكم عبد الملك عن مجرد إعادة ترسيخ سيطرة الأمويين واستقرار الدولة، إذ أكمل بعد ذلك توسع الدولة الإسلامية على جميع الجبهات، كما بدأ مهمة تعريب الدواوين التي كانت حتى ذلك الوقت يونانية في بلاد الشام وفارسية في العراق وإيران، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة للدولة، وقام بسك أول نقود عربية بحتة (أنظر "النقود الإسلامية المبكرة").

حكم بعد عبد الملك أربعة من أبنائه إضافة إلى ابن أخيه، عمر بن عبد العزيز. كانت فترة هؤلاء الخلفاء الخمس التي انتهت بموت هشام بن عبد الملك فترة زاهرة في الحكم الأموي، إذ اتسعت حدود الدولة في ثلاث قارات، وكانت فترة بناء وعمران، خاصة في زمن خلف عبد الملك الأول ابنه الوليد الأول الذي أنشأ ثلاثة مساجد رائعة في المدينة والقدس ودمشق. وكان الوليد بن عبد الملك أيضاً أول من بنى المؤسسات الوقفية لرعاية مرضى الجذام والعرج والعميان.

كان هشام بن عبد الملك آخر الخلفاء الأمويون العظام، وساءت أحوال الدولة الأموية سريعاً بعد وفاته. كانت المعارضة للحكم الأموي تنمو، خاصة بين المجموعات غير العربية التي اعتنقت الإسلام والتي توقع أفرادها مساواتهم سياسياً واقتصادياً بالعرب المسلمين، إلا أنهم وفي معظم الأحيان لم يتلقوا أي من ذلك. وفي العادة، كان أفضل ما يمكن أن يحصل عليه هؤلاء، ومعظمهم كانوا من الفرس، هو أن يكونوا تابعين لإحدى القبائل العربية، أي مواطنين من الدرجة الثانية. كذلك اضطر الكثيرون منهم الاستمرار بدفع الجزية، مثلهم بذلك مثل غير المسلمين. وقد ازدادت



الفرع السفياني من بني أمية وعلاقته بمؤسس الفرع المرواني.

أعداد الشيعة المناوئين للحكم الأموي في العراق وبلاد فارس، ولم يغفروا للأمويين معاملتهم لعلي والحسين، وكذلك اعتبروهم غير جديرين بحكم الأمة الإسلامية بسبب حبهم لمتاع الدنيا وبعدهم عن تقوى الله.

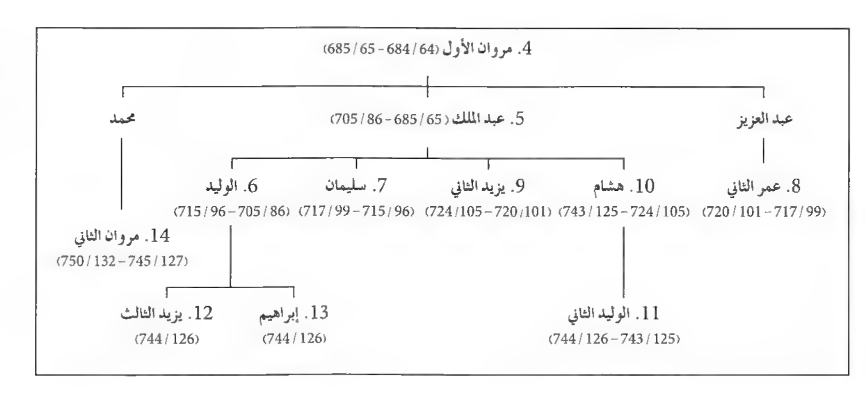
اتحدت الجماعات المعارضة للأمويين لأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية وسياسية تحت زعامة بني العباس، عم النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وبما أن علياً كرم الله وجهه كان ابن أبي طالب شقيق العباس، شعر العباسيون بأنهم أقرب للرسول من الأمويين وبالتالي أكثر أحقية بتولي الخلافة.

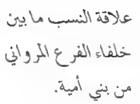
لم يتمكن الأمويون من مواجهة التحالف ضدهم بقيادة العباسيين. ومن الأسباب التي أدت إلى ذلك هو أن القبائل العربية في بلاد الشام التي كانت الحليف الرئيس للأمويين انقسمت إلى مجموعتين متناحرتين من عرب جنوب الجزيرة أو اليمن وعرب شمال الجزيرة، وتحاربت المجموعتان خلال الفترة الحرجة التي صعّد فيها العباسيون حملتهم ضد الأمويين.

ومما زاد الأمر سوءً هو أن الخلفاء الثلاث الذين تولوا الحكم بعد هشام كانوا ضعفاء ولم يستمر حكمهم مجتمعين مدة العام الواحد. فعلى سبيل المثال، كان اهتمام الوليد الثاني بالخمر والشعر والموسيقى أكثر من اهتمامه بشؤون الدولة، وحينما وصل للحكم مروان الثاني بن محمد، الذي كان أكثر قدرة من سلفه، كانت الأمور قد ساءت إلى حد لم يمكن إصلاحه، وأمضى مروان سنين حكمه الست في حرب خاسرة لا محالة.

قاد أبو العباس، وهو أحد أحفاد العباس عم الرسول، الدعوة العباسية. ابتدأت الثورة العباسية المسلحة في خراسان من بلاد فارس عام 126/ 744 وتولى قيادتها عامل فارسي لبني العباس اسمه أبو مسلم. سقطت الكوفة في 131/ 749 ونصب أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين، وهزم مروان الثاني في معركة بالقرب من الفرات عام 132/ 750 سقطت بعدها دمشق. وهرب مروان بن محمد إلى أن امسك به العباسيون وقتلوه في مصر بعد ذلك بأشهر قليلة ضمن حملة منظمة للقضاء على جميع الأمويين. ولكن الأمير الأموي عبد الرحمن، أحد أحفاد هشام، تمكن من الهرب إلى الأندلس حيث أنشأ دولة أموية مزدهرة. أما في قلب العالم الإسلامي، فقد انتهت الخلافة الأموية نهاية دموية ومأساوية.

يعتقد معظم الباحثين أن أحداث التاريخ الأموي الرئيسة كما تم سردها هنا هي أحداث صحيحة، إلا أن هنالك فجوات هامة وصعوبات عديدة تحول دون التمكن من الوصول إلى تاريخ شمولي للفترة الأموية، إذ لم تصلنا أية كتابات معاصرة لتلك الفترة، بينما تعود أقدم النصوص التاريخية إلى أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، أي بعد سقوط الأمويين بحوالي قرن من الزمان. وبما أن هذه النصوص




علاقة النسب ما بين خلفاء الفرع المرواني من بني أمية.

كتبت في ظل الحكم العباسي فلا بد من توخي الحذر عند قراءة ما كتب عن الأمويين فيها. وبالرغم كل ذلك فقد وفرت لنا تلك المصادر فكرة جيدة عن التاريخ الأموي وصدر الإسلام الذي نتج عنه تغيرات طويلة الأمد، منها توسع الدولة الإسلامية، وتأسيس إمبراطورية ذات إدارة كفؤة دينها الإسلام ولغتها العربية، ونقود جديدة ونظام بريد كفء ربط أرجاء البلدان الإسلامية المتباعدة. ولتحقيق ذلك استبدل الأمويون نظام الانتخاب بنظام توريث الخلافة. وقد ورث الأمويون ما قبلهم وأسسوا حضارة ساهمت بالكثير في كافة ميادين المعرفة خلال القرون اللاحقة، وخاصة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين، ونشرت المعرفة وعززت الفنون عبر ثلاث قارات.

مثلت المناطق التي خضعت للحكم الأموي مجموع التراث الحضاري اليوناني والروماني (في بلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر وشمال إفريقيا) والأشوري والبابلي والأخميني والبارثي والساساني (في العراق وإيران وآسيا الوسطى)، وأضفيت إلى هذه "الحضارة الجديدة" التي أسسوها عوامل وحدتها التي تمثلت بالدين الإسلامي واللغة العربية. وتمكن الأمويون بصفتهم الحكام الجدد من توفيق تلك الحضارات بالحضارة الإسلامية الجديدة بسرعة وفاعلية، وتطوير نتاج حضاري متميز تحت حكمهم ورعايتهم.

اختار الأمويون بلاد الشام مركزاً سياسياً لهم، وجعلها مؤسس الدولة الأموية معاوية قاعدة قوتّه، إذ كان حاكم الشام لحوالي 20 عام قبل خلافته. كانت بلاد الشام ولاية غنية بمواردها الزراعية أثبتت أهميتها للإمبراطوريات اليونانية والرومانية والبيزنطية، إلا أنها وجدت منافساً لها في العراق الذي ظهر تدريجياً خلال الفترة الأموية بصفته أكثر مناطق الدولة الإسلامية أهمية، وبعد استعادة الاستقرار في زمن عبد الملك بن مروان، ابتدأ استغلال ثروات العراق الزراعية إذ كانت بعض مناطقه

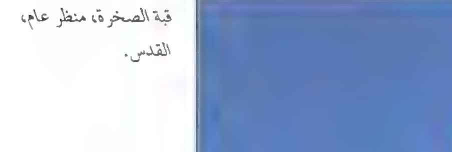
مهملة قبل مجيء الإسلام بسبب وقوعها على الحدود ما بين الدولتين البيزنطية والساسانية المتحاربتين. ومنذ زمن عبد الملك، أصبحت تلك المناطق في قلب الدولة وقام والي عبد الملك على العراق الحجاج بن يوسف (الذي كان قد قضى على ثورة ابن الزبير في الحجاز) ببناء نظام شبكات ريّ ضخم لاستغلال المناطق الزراعية في العراق مما رفع من موارده المالية التي ما لبثت أن فاقت موارد الشام، وجعل منه المركز الاقتصادي للدولة الأموية. ومما يؤكد أهمية العراق نقل مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية عاصمته من دمشق إلى حرّان ما بين الرافدين. إن اتخاذ العباسيين من العراق مركزاً لهم، بداية في الكوفة ومن ثم في بغداد التي قاموا بتأسيسها، هو نتيجة التوجه والسياسات الجديدة التي أسسها الأمويون.

كانت مناطق الأردن بوصفها جزءاً من بلاد الشام ذات أهمية كبيرة للأمويين، خاصة وأنها الصلة الجغرافية ما بين دمشق ومنطقة الحجاز الهامة دينياً وسياسياً. ويعتبر العدد الكبير من القصور والممتلكات التي ابتناها الأمويون في البادية الأردنية بحد ذاته دلالة على أهمية المنطقة بالنسبة لهم. وقد نشأ الكثير من الجدل بخصوص هذه الأبنية سيتم التطرق إليه في الفصول اللاحقة.

يتمثل دور الأردن في الفترة الأموية بالأحداث التي جرت في بلدتين صغيرتين في جنوبه هما أذرح والحميمة، إذ لعبت الأحداث في أذرح دوراً في وصول معاوية إلى الخلافة وبالتالي تأسيس الدولة الأموية، بينما ساهمت الأحداث في الحميمة في الإطاحة بتلك الدولة.

لم تكن معركة صفين عند الفرات حاسمة بين علي ومعاوية، وتشير المصادر إلى أن معاوية أقنع علي باختيار حكم يمثل كل منهما لحل النزاع حول الخلافة. أقيمت واقعة التحكيم الشهيرة علناً في أذرح، لكن عدد من المؤرخين في العصر الحديث شككوا بدقة الروايات المتضاربة التي ذكرتها المصادر التاريخية وذلك بسبب انحياز المؤرخين العباسيين ضد معاوية، ولكن يبدو على أي حال أن محاولة التحكيم لم تسفر عن نتيجة حتمية، وبغض النظر عن الرواية الصحيحة إلا أن أحداث أذرح أضعفت موقف علي وأظهرت معاوية، الذي كان والياً على الشام ونظرياً على الأقل تحت إمرة علي، في موضع مساوٍ تقريباً لعلي.

أما الأحداث التي جرت في الحميمة فكانت ذات طبيعة مختلفة، إذ بالرغم من أن الثورة العباسية المسلحة ضد الأمويين بدأت في خراسان في إيران، إلا أن بني العباس اتخذوا مركز انطلاقهم من بلاد الشام معقل الأمويين. وكانت قرية الحميمة معزولة نسبياً وبالتالي لم تبد عليها أي أهمية، إلا أنها كانت تحتل موقعاً استراتيجياً على طريق الحج والتجارة الواصل ما بين بلاد الشام والحجاز.





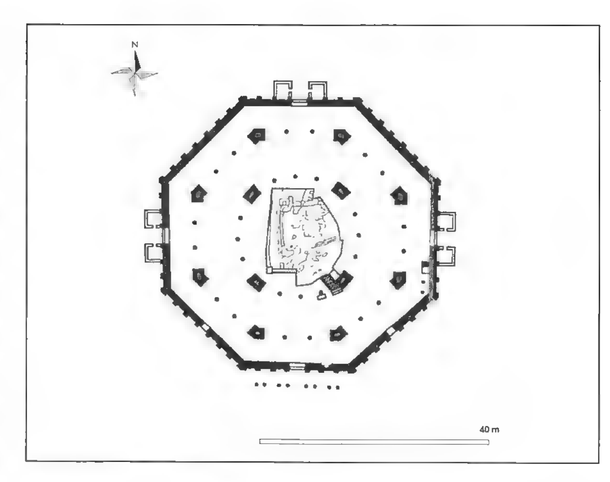
قبة الصخرة، منظر عام، القدس.

الفن الأموي

بالرغم من اندثار العديد من الأعمال الفنية والمعمارية الأموية إلا أن هنالك أمثلة هامة جداً بقيت، خاصة فيما يتعلق بالعمارة إذ وصلنا أكثر من 60 معلم أموي. وبما أن النصوص التاريخية من الفترة الأموية فقدت، تعتبر هذه العمائر الدلائل المعاصرة الرئيسة المتبقية لنا. أنشأت معظم المعالم العمرانية في بلاد الشام التي تحوي أيضاً على معظم ما تبقى منها. لكنها لا تتضمن ما أنشأ خلال الثلاثين عاماً الأولى من الحكم الأموي، إذ تعود أقدم الآثار إلى حوالي عام 70/690، عندما أعاد عبد الملك النظام في الدولة الأموية، وتستمر عبر الستين سنة التالية التي كانت فترة نشاط عمراني كبير. قسم مؤرخا الفن المشهورين أوليغ غرابار وريتشارد ايتنغهاوزن الفن الأموي إلى خمس مجموعات: قبة الصخرة، والمساجد الجوامع المبكرة، ومساجد الوليد، والعمائر المدنية، والفنون الصغرى. وكما هو متوقع، فإن أربع من المجموعات الخمس هي أعمال عمرانية، مما يبينَ شغف الأمويين الواضح بالعمارة. كما أنه من المثير للانتباه تفضيل الأمويين للفنون المرتبطة بالعمارة مثل الفسيفساء والرسومات الجدارية والمنحوتات.

المساجد

قبة الصخرة المشرفة التي أتم عبد الملك بن مروان بنائها في القدس عام 72 / 691 - 692 هي أقدم المعالم التي وصلتنا من الفن الإسلامي.



مخطط قبة الصخرة، القدس (عن Burkhardt, 1976).

يقع المبنى على المسطح الصناعي الضخم المعروف بالحرم الشريف الذي ما زال يتصدر مدينة القدس. كانت منطقة الحرم الشريف مهجورة لعدة قرون عندما فتح المسلمون القدس في 16 / 637 وبنوا مسجداً بسيطاً في ناحيتها الجنوبية.

شيد مبنى قبة الصخرة على تكوين صخري طبيعي بشكل ثماني الأضلاع تتوسطه قبة ضخمة تصل إلى ارتفاع حوالي 25م، ويبلغ قطر المثمن حوالي 60م بينما يصل قطر القبة إلى حوالي 20م. ويشير الموقع بالنسبة للمسلمين إلى موقع إسراء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام إلى السماء، كما تحمل الصخرة معان قدسية أخرى للمسلمين والمسيحيين واليهود ارتبطت بقصة الخليقة وبتضحية إبراهيم عليه السلام. أشارت بعض المصادر الإسلامية المبكرة إلى أن عبد الملك بن مروان قصد الصخرة لتكون محجاً بديلاً عن الكعبة في مكة للمسلمين، إلا أن هذا الرأي يعكس تحامل مؤرخي العصر العباسي ضد الأمويين، وقد بين المؤرخون في العصر الحديث عدم صحته.

ما زال معظم البناء على شكله الأصلي كما شيده عبد الملك، فالمخطط وكتلة المبنى نفس ما أنشأ في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي تقريباً، إلا أن القبة وزخرفتها هما نتيجة أعمال إعادة إعمار وترميم لاحقة. وكانت الجدران الداخلية والخارجية مغطاة بالفسيفساء أصلاً، وقد بقي منها حوالي 280 متر مربع، لكن تمت إزالة الفسيفساء الخارجية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي واستبدلت البلاط المزجج (القاشاني) بدلاً منها.

أنشأ المبنى على أسس العمارة والزخرفة البيزنطية، ويحوي أيضاً بعض التأثيرات الساسانية كما نرى في تصوير المجوهرات والتيجان وسعف النخيل والأزهار على الفسيفساء. وكما يظهر في الفن الأموي بشكل عام، استخدمت هذه الزخارف ضمن تكوينات وأشكال جديدة. وتعكس قبة الصخرة عدداً من المظاهر التي أصبحت مميزة فيما بعد في تقاليد الفن والعمارة الإسلامية. ويتضح ذلك في الفسيفساء التي تخلو من المشاهد التي تصور الإنسان أو الحيوان، وتظهر بذلك تجنب المسلمين لهذه التصاوير في الأبنية الدينية منذ فترة مبكرة.

ظهرت الكتابة في قبة الصخرة بصفتها جزءاً أساسياً من زخرفة المبنى، وتتكون

الكتابات الفسيفسائية التي تحتل حيزاً طويلاً بشكل أساسي من آيات قرآنية نفذت بخط هو من أقدم الخطوط التي وصلتنا من الفترة الإسلامية. واستخدمت الكتابات لأسباب مختلفة منها الزخرفي. كذلك تنص الكتابة التذكارية على إكمال عبد الملك للمبنى عام 72/691-962.

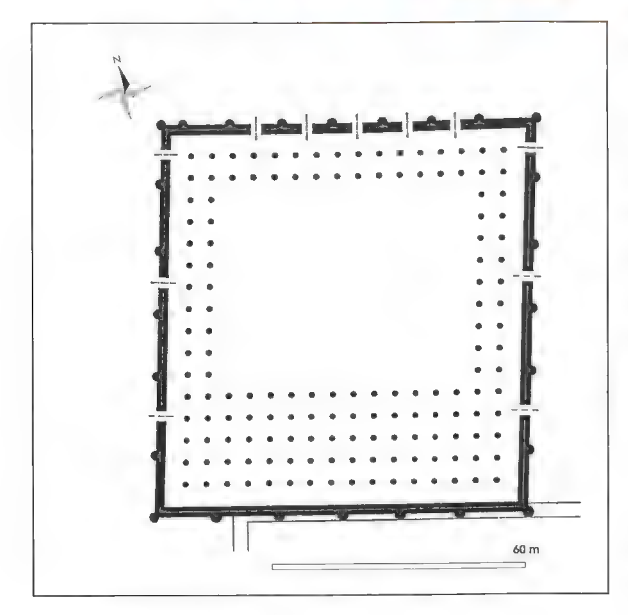
من الجدير بالذكر أن الخليفة العباسي المأمون (حكم في الأعوام 197 / 813 – 218 / 833) استبدل اسمه باسم عبد الملك في الكتابة إلا أنه ترك التاريخ الأصلي دون تغيير. كذلك خدمت الكتابات مقصدا سياسياً إذ تم انتقاء عدد من الآيات القرآنية التي تتطرق إلى علاقة الإسلام بالمسيحية، كما يؤكد اختيار إنشاء هذا المبنى الهام في إحدى أقدس المدن المسيحية أن الإسلام هو خاتم الأديان ويؤكد أيضاً انتصار الإسلام على الديانتين التوحيديتين السابقتين.

في النهاية، يظهر هذا المبنى العلاقة الجديدة التي بدأت تتكون بين العمارة وزخارف الأسطح، والتي أصبحت من الصفات المميزة لتقاليد العمارة الإسلامية لاحقاً. وكانت قد استخدمت زخارف الأسطح لتعزيز الأشكال المعمارية في التقاليد اليونانية، منذ العمارة والفن الهلنستي وحتى البيزنطي، أما في قبة الصخرة، فقد أعطيت الزخارف دورا بصرياً متساوياً – وأحياناً متفوقاً – لدور الأشكال المعمارية التي تغلفها.

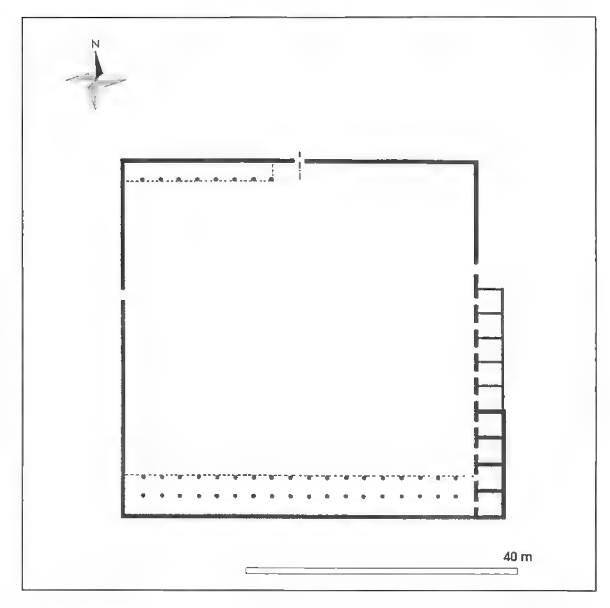
تعتمد معرفتنا بعمارة المساجد في الفترة الأموية بشكل كبير على المساجد التي بناها



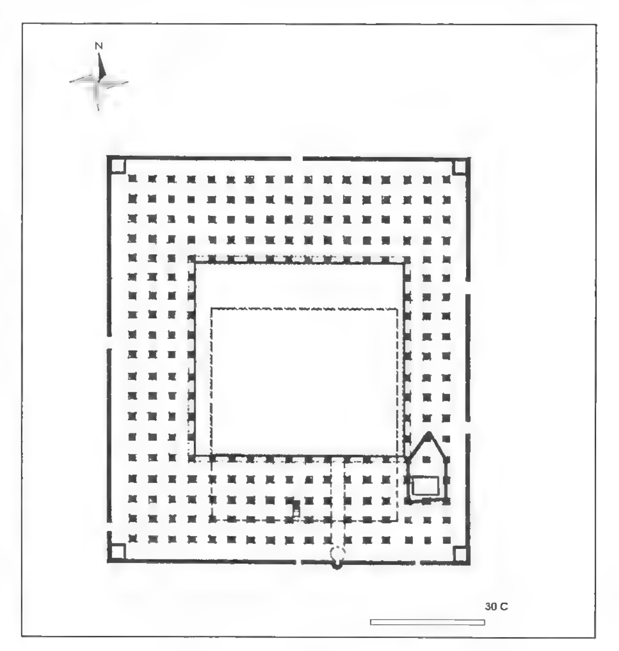
قبة الصخرة، جزء من الفسيفساء الداخلية، القدس (عن Ettinghausen, 1977).



الجامع الكبير، أعيد بنائه عام 50 | 670، الكوفة (عن Grabar, 1973).



بيت النبي وجامعه، المدينة (عن Grabar, 1973).

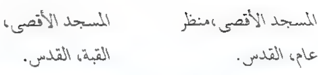


الجامع النبوي، أعيد بنائه عام 91 | 710، المدينة (عن Grabar, 1973).

الوليد الأول بن عبد الملك، إذ لم يتبق أي شيء تقريباً من المساجد التي بنيت قبل فترة حكمه التي يعتمد المؤرخون المعلومات المتوفرة في النصوص بشأنها. قام الأمويون ببناء وإعادة إعمار وتوسعة المساجد الجامعة في المدن القائمة الرئيسية وأيضاً المؤسسة حديثاً مثل البصرة والكوفة وواسط في العراق، والفسطاط في مصر (التي هي الأن جزءاً من القاهرة)، والقيروان في تونس.

كان مخطط المسجد الجامع السائد في الفترة السابقة لحكم الوليد مربعاً ويتكون من ساحة مفتوحة تحيط بها قاعة الصلاة المسقوفة من جهة القبلة وأروقة مغطاة من الجهات الثلاث الأخر، وتم تقسيم قاعة الصلاة بصفوف من الأعمدة الموزعة على شبكة مربعة أو مستطيلة، وعندما كان عدد الأعمدة كبيراً، نتج عن هذا التوزيع تأثيراً بصرياً مهيباً. أصل هذا المخطط هو المنزل والمسجد الذي بناه النبي محمد في المدينة بعيد هجرته إليها عام 1 / 622. كان المسجد الجامع هو مسجد المدينة الرئيس واعتبر أكثر من مجرد مبنى ديني إذ كان له دوراً سياسياً واجتماعياً إضافة إلى استخدامه بصفته مركزاً للتعليم وللقضاء.

تطور مظهران معماريان هامان في هذه الجوامع رغم أن أصولهما لا تزال غير مؤكدة. الأول هو المقصورة أو المكان المغلق الخاص باستعمال الحاكم والموجود عادة عند وسط جدار القبلة. بنيت المقصورة لحماية الأمير من الاغتيال وأيضاً لتعظيمه



المسجد الأقصى ،منظر عام، القدس.

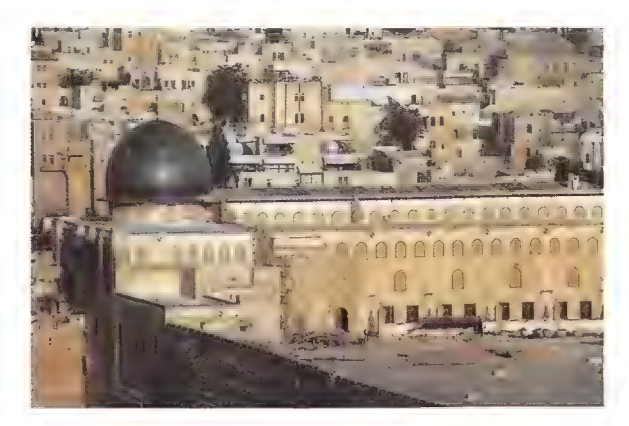
المسجد الأقصى، القبة، القدس.

المسجد الأقصى، 96 | 715، القدس (عن Grabar, 1973).

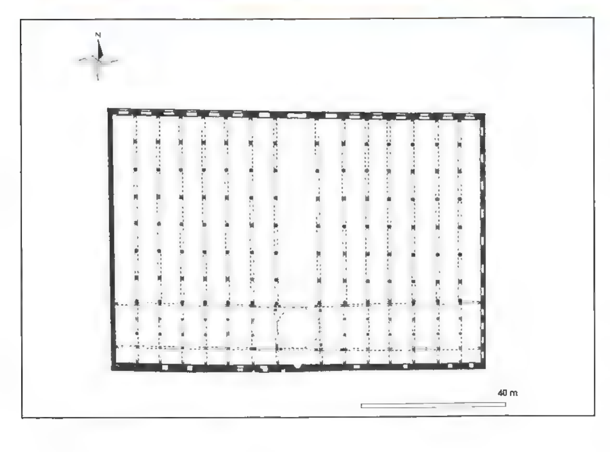
إذ أنها فرقت ما بينه وأتباعه. وكذلك يعتقد أن "برج" المئذنة، وهو الرمز المعماري الأكثر شيوعاً للإسلام، قد استحدث خلال تلك الفترة، وتشير النصوص على أنه يمكن أن يكون قد أتى من مصر أو بلاد الشام، إلا أن تاريخ أصله غير مؤكد.

تميز حكم الوليد بن عبد الملك بفترة من التوسع والتماسك في الدول الإسلامية. وقام ببناء ثلاثة جوامع ضخمة في دمشق (96/715) والمدينة (91/710) والقدس (96/715). وقد تمت منذ ذلك الزمن إعادة بناء جامعي المدينة والقدس بشكل كبير وبذلك يختلفا حالياً بشكل جذري عما أنشأه الوليد، إلا أن جامع دمشق لا يزال يحتفظ بالكثير من مكوناته الأصلية بالرغم من الحريق الذي اجتاحه عام 1310 /1893 ودمر الكثير منه. بني جامع دمشق الأموي على موقع معبد جوبيتر الروماني، الذي أصبح كنيسة القديس يوحنا المعمدان (النبي يحيى عليه السلام) في الفترة البيزنطية، وما زال ضريح النبي يحيى موجود فيه حتى الآن. تقاسم المسلمون الجامع بداية مع المسيحيين، أي أن جزءاً منه استخدم بصفته كنيسة والجزء الآخر استخدم بصفته مسجد، ثم ابتاع الوليد الموقع كاملاً لبناء جامعه.

تبلغ أبعاد الجامع 100 × 157م وهو من أكبر الجوامع في التاريخ الإسلامي، ويظهر فيه تمازجاً مثيراً للاهتمام بين المخطط البازيليكي ذي الأصل الروماني-البيزنطي









الجامع الأموي، الساحة، دمشق.



الجامع الأموي، منظر للقبة من الساحة، دمشق.

بصحنه المركزي المتطاول ورواقيه الجانبيين، ومخطط المسجد ذي الأعمدة المصفوفة ضمن قاعة مستعرضة لاستيعاب صفوف المصلين.

للجامع ثلاث مآذن، اثنتين في زاويتي جهته الجنوبية (جهة القبلة) والثالثة في وسط الجدار الشمالي التي ربما لم تكن قد بنيت في زمن الوليد. وقد أضيفت أجزاء المآذن العلوية لاحقاً، إلا أن المئذنتين الجنوبيتين بنيتا على أساسات برجين رومانيين وهما من أقدم المآذن التي وصلتنا على الإطلاق.

يحوي الجامع أيضاً أقدم محراب شبه دائري وصلنا من العمارة الإسلامية، وتذكر المصادر أن أول محراب في الإسلام هو الذي أمر الوليد ببنائه في جامع المدينة المكرمة إلا أنه غير موجود حالياً. ويذكر المؤرخون في العصر الحديث أن المحراب جعل للدلالة على المكان الذي اتخذه الرسول عند إلقائه خطبة الجمعة.

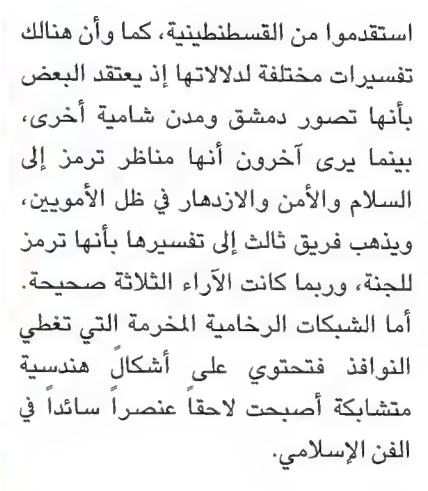
تغطي الفسيفساء الرائعة مئات الأمتار المربعة من جدران الجامع، وهي تصور مناظر طبيعية تخترقها الأنهار والأشجار والأبنية، وتعتبر أقرب لرسومات بومبي الرومانية (من الطراز الثاني) منها للفسيفساء البيزنطية المتأخرة التي صورت المناظر بأسلوب محور. وكما في قبة الصخرة المشرفة، لم تصور هنا أي أشكال آدمية أو حيوانية، وقد أثارت المهارة المتناهية في صناعتها الكثير من النقاش عما إذا ما كان صناعها محليين أو أنهم

الجامع الأموي، جزء من فسيفساء الساحة، دمشق (عن Ettinghausen, 1977).



الجامع الأموي، جزء من فسيفساء الساحة، دمشق (عن Ettinghausen, 1977).



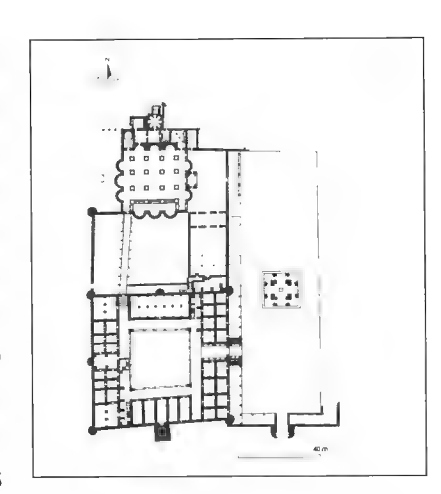


استقدموا من القسطنطينية، كما وأن هنالك تفسيرات مختلفة لدلالاتها إذ يعتقد البعض بأنها تصور دمشق ومدن شامية أخرى، بينما يرى آخرون أنها مناظر ترمز إلى السلام والأمن والازدهار في ظل الأمويين، ويذهب فريق ثالث إلى تفسيرها بأنها ترمز للجنة، وربما كانت الآراء الثلاثة صحيحة. أما الشبكات الرخامية المخرمة التي تغطي النوافذ فتحتوي على أشكالٍ هندسية متشابكة أصبحت لاحقاً عنصراً سائداً في الفن الإسلامي.

الأبنية المدنية

لم يتبق تقريباً أي من الأبنية المدنية التي أنشأت خلال الفترة الأموية داخل المدن، فلم يتبق شيئاً من قصر دمشق، ورغم التنقيب عن بقايا دار الإمارة في الكوفة والقصور الأموية في القدس إلا أن المخلفات القليلة المكتشفة لا تعطينا سوى معلومات محدودة. دار الأمارة الأموية في قلعة عمّان وصلتنا بحال أفضل وسيتم الحديث عنها في فصل لاحق.

في المقابل، بقيت الكثير من المنشآت التي بناها الأمويون خارج المراكز المدنية في ريف وبادية الشام، وبما أن العديد منها في الأردن فقد كونت جزءاً كبيراً من تراث الأردن المعماري الإسلامي، وسيتم الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً، لكن لا بد من بعض



مخطط خربة المفجر، حوالي عام 126 | 744 (عن Grabar, 1973).

الملاحظات هنا عن أحد أهم وأغرب المنشآت الأموية وهي خربة المفجر قرب أريحا في فلسطين.

من المعتقد أن صاحب خربة المفجر هو الخليفة غريب الأطوار الوليد الثاني بن يزيد، وأنه ابتدأ بالبناء قبل أن يصبح خليفة، ولم يكن قد أكمله عند موته عام 126/ 744. تتكون خربة المفجر من مسجد وقصر وأيضاً حمامات قد تعكس ما عرف عن شخصية الوليد الثاني، إذ توجد في الحمامات بركة صغيرة ربما كانت تلك التي ذكرتها المصادر اللاحقة من أن الوليد كان يملأها خمراً ثم يقفز بداخلها ويشرب من الخمر إلى أن يهبط مستوى السطح بشكل ملحوظ!

تعتبر الأرضيات الفسيفسائية والزخارف الجصية من أهم ميزات خربة المفجر. توجد الأرضيات الفسيفسائية في الحمامات وتعد لوحاتها الـ 39 المتصلة أكبر الأرضيات الفسيفسائية التي وصلتنا حتى ذلك الحين. تتكون الزخارف الفسيفسائية في معظمها من أشكال هندسية مصنوعة بمهارة عالية إلا أن أروعها اللوحة الموجودة في غرفة منعزلة بجانب قاعة الاستحمام، وبعكس باقي اللوحات فإنها تظهر أشكالاً حية هي عبارة عن غزالين يأكلان أغصان شجرة، وأسداً يهاجم غزالاً ثالثاً في الجهة المقابلة، ويظهر تصوير الشرَابات على إطار اللوحة أنها منظر لقطعة قماش محاك. وقد تم تفسير هذا المنظر على أنه يرمز لقوة الأمويين إذ يظهر التضاد بين وضع النعيم في ظل الحكم الأموي وغضب الخليفة الأموي على أعدائه.

بينما تعكس الفسيفساء التأثير البيزنطي، استوحيت الزخارف والمنحوتات الجصية في خربة المفجر من الفن الساساني. عملية قولبة أو نحت الزخارف الجصية رخيصة الكلفة وسريعة التنفيذ وقد انتشر استعمالها في الفن الساساني، وأحد التماثيل العديدة التي وصلتنا من خربة المفجر هو تمثال أمير واقف على منصة مع أسدين، مرتدياً ملابس ساسانية وحاملاً خنجراً أو سيفاً يدل على وضعه الملوكي. إلا أن جودة هذا التمثال وباقي المنحوتات الجصية لا تضاهي جودة الفسيفساء، وهذا متوقع إن أخذنا بعين الاعتبار أن بلاد الشام كانت في تلك الفترة مركزاً شهيراً لإنتاج الفسيفساء لكنها لم تكن مركزاً لنحت الحجارة أو الجص. على أي حال فإن وجود هذه المنحوتات شاهد



قالب حديدي على شكل فيل من الفدين، متحف الآثار الأردني (رقم J 16514)، عمّان.



أدوات مطبخ برونزية من أم الوليد، متحف آثار مأدبا (أرقام 672 – 674، 787، 795).

على تأثير العراق وإيران المتنامي خلال الأيام الأخيرة من الحكم الأموي.

الفنون الصغرى

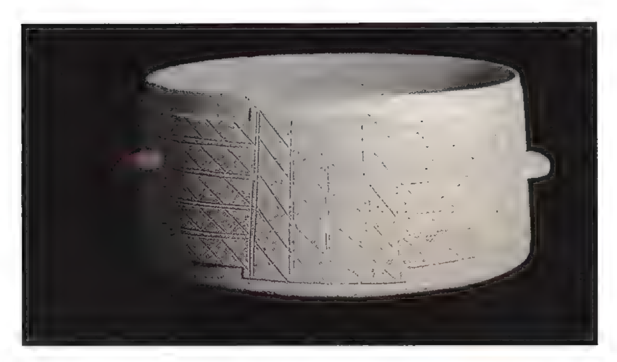
الفنون الزخرفية الأموية المعروفة أيضاً بـ"الفنون الصغرى"، مثل المشغولات المعدنية والخزف والعاجيات، هي أكثر صعوبة للدارسين من العمارة الأموية، إذ استمر إنتاج العديد من الحرف بذات أساليب التصنيع التي استخدمت في الفترات السابقة ولا يمكن تأريخ الكثير من القطع إذا نزعت من مواضعها الأصلية. وهكذا فإنه من المستحيل أحياناً معرفة إذا ما كان عمل معين أموياً أو بيزنطياً أو ساسانياً أو قبطياً.

إضافة إلى ذلك، هناك العديد من الصناعات مثل الأقمشة والسجاد والمشغولات المعدنية والفخار المزجج ورسومات الكتب الهامة جداً في تقاليد الفن الإسلامي اللاحقة التي بدأت بالظهور خلال الفترة الأموية. بشكل عام، أعطيت الفنون الزخرفية دوراً ثانوياً مقابل العمارة والفسيفساء وحتى نحت الأشكال الحية التي كانت جميعها جزءاً أساسياً من المعمار الأموي. أحد الاستثناءات الهامة هي النقود الأموية منذ زمن عبد الملك بن مروان التي لم تستخدم فيها الأشكال الآدمية والحيوانية والتي وضعت بذلك أسس تطور العملة الإسلامية في الفترات اللاحقة (أنظر "النقود الإسلامية المبكرة").

نشأة الفن الإسلامي

قام الأمويون بتكوين التقليد الفني الأول في الإسلام، ومن بعض أمثلة الفن والعمارة الأموية وضعت الأسس التي استخلص منها الكثير في الفترات اللاحقة. عمارة المساجد هي أوضح الأمثلة على ذلك إذ شهدت الفترة

وعاء من الحجر الصابوني بزخارف محززة من الفدين، متحف الآثار الأردني (رقم J 19308)، عمّان.





قطع عاجية من الفدين، مكتب آثار المفرق (رقم 209).

الأموية تكوين العديد من المميزات التي أضحت مظاهراً أساسية في المساجد، مثل المحراب والمئذنة. ومن الأمثلة الأخرى على ذلك الزخارف الهندسية مثل الزخارف الرخامية في جامع دمشق وفسيفساء خربة المفجر. وتنطبق هذه الملاحظة أيضاً على استخدام الخط في الأعمال الفنية والمعمارية، كما في أشرطة الكتابة على الأقواس الداخلية في قبة الصخرة. بالمقابل، فأن بعض الفنون المحببة خلال الفترة الأموية لعبت دوراً ثانوياً في الفترات التالية بل وغابت أحياناً عن تقاليد الفن الإسلامي اللاحقة، خاصة الفسيفساء ونحت الأشكال الآدمية. وكان مؤرخ الفن روبرت هيلنبراند قد لخص خصائص الفن الأموي بأنه انتقائي وتجريبي وإعلامي. كان الفن الأموي انتقائياً في جمعه فنون العالم الهلنستي الغربي من جهة، وفنون بلاد الرافدين وإيران ووسط أسيا الشرقي من جهة أخرى على أرض الشام، وكان تجريبياً في أنه خلق مزيجاً من الأشكال والمواضيع بحرية لا نجدها في التقاليد السابقة، وكان إعلامياً في العديد من أمثلته التي أعلنت قوة وعظمة الدولة الأموية العربية الإسلامية وخلفائها.

الأمويون: نشأة الفن الإسلامي

غازي بيشه

تم اختيار مواضيع مسارات "متحف بلا حدود" الخمسة لإعطاء الزائر صورة عامة عن الثقافات والفنون التي ازدهرت في الأردن خلال الفترة الأموية (41-132هـ / 661-750م) التي شهدت مرحلة تكون الفن الإسلامي، إذ لم تحدث التغيرات الثقافية والاجتماعية بشكل مفاجئ ولكن تدريجياً وربما بخيارات مقصودة. وحيث أن الفتح العربي الإسلامي تم بدون تدمير أو تغيير ديموغرافي كبير، فإنه لم ترافقه اضطرابات أو تغيرات جذرية. ولفهم عملية التغير الذي حصل، لا بد من سرد قصير للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت خلال العقود السابقة لفتح بلاد الشام، بما فيها الأردن.

في عام 610م أطاح هرقل بفوكاس وأصبح الإمبراطور المسؤول عن حماية الإمبراطورية البيزنطية والديانة المسيحية، وبعد ذلك بعام واحد، اقتحم الفرس الساسانيون شمال سوريا وبحلول عام 614 احتلوا فلسطين وأخذوا بقايا الصليب المقدس إلى عاصمتهم المدائن (ستيسيفون). أعاد هرقل تنظيم جيشه عام 628 ونقل الحرب إلى قلب الإمبراطورية الساسانية حيث نجح في إقناع الفرس بسحب قواتهم من الأراضي البيزنطية التي احتلوها، وفي عام 630 دخل هرقل القدس حاملاً معه الصليب المقدس الذي نجح في استرداده، وبهذا تكون سوريا قد مرت بـ 15 عاماً من الاحتلال والتأثير الحضاري الفارسي قبل انتصار هرقل الذي خاض الصراعات منذ توليه العرش الإمبراطوري في 610. خلقت الحروب الطويلة



قاعة هيبوليتوس وكنيسة العذراء، مأدبا.

والنزاعات الدينية التي عصفت بسوريا حالة سياسية غير مستقرة. شكل الساسانيون في بلاد الرافدين الخطر الرئيس للسيادة البيزنطية على سوريا، ولدرء هذا الخطر لم يعتمد البيزنطيون على قوة جيوشهم وحدها، بل اعتمدوا أيضاً على نظام التحالف مع القبائل العربية القوية مثل بنو سليح في القرن الخامس والغساسنة في القرن السادس. وخلال حكم جستنيان (527-565) هجرت



أم الرصاص، منظر جوي (عن Piccirillo, 1993).

بيزنطة المعسكرات والتحصينات التي كانت تحمي المناطق المحاذية لطريق تراجان (أنظر فصل "التجار والحجاج") وسحبت جيوشها تاركة مهمة حماية الحدود لحلفائها العرب الغساسنة. شهدت هذه الفترة ازدياداً مضطرداً في أعداد البلدات الصغيرة والقرى إضافة إلى التوسع في بناء الكنائس وإقامة المزارع المزودة بالمنشآت الزراعية مثل معاصر العنب والزيتون. من المحتمل أن الريف كان قد ازدهر على حساب المدن الرئيسة التي تقلص حجمها في القرن السادس الميلادي نتيجة الكوارث الطبيعية كالزلازل وموجات الطاعون (أنظر فصل "جرش")، كذلك فإنه من الممكن أن انسحاب الجيش البيزنطي النظامي من التخوم المحصنة، وترك مهمة الدفاع عنها لحلفائهم الغساسنة، قد أدى إلى التخفيف من وطأة القوانين الإمبراطورية وتقليص الضرائب المدفوعة وبالتالي ساهم في الطفرة العمرانية للكنائس في البلدات الصغيرة والقرى مثل مأدبا وأم الرصاص (ميفعة) ورحاب وخربة السمرا وأم الجمال. من المهم الأخذ بعين الاعتبار أن القرن السادس شهد "تعريب" العديد من المناطق السورية، بما فيها الأردن وفلسطين، حيث أتت هذه القبائل أصلاً من اليمن وكان معظمها قد اعتنق المسيحية وتحالف العديد منها مع الإمبراطورية البيزنطية. في الفترة الأموية انخرطت هذه القبائل في الجيش الشامي وأصبحت دعامة رئيسة للأسرة الحاكمة مما أعطاها مراكز مرموقة وثراء كبيراً. وقد يفسر هذا الوضع ولو جزئياً انتشار القصور الأموية في منطقة البلقاء (أنظر "نظام الإدارة الأموية") في مواقع مثل الموقر والقسطل وأم الوليد وخان الزبيب (أنظر "القصور").

بعد أقل من عقد من طرد الفرس، تم اجتياح الشام ثانية، هذه المرة من قبل الجيوش

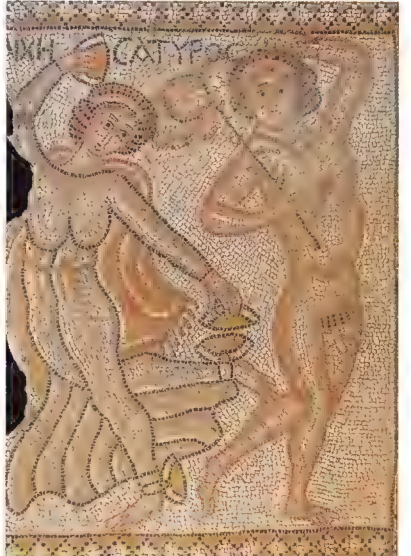
العربية الإسلامية خلال موجة الفتوحات لمصر والعراق وإيران. وفي عام 41هـ / 661م تأسست الخلافة الأموية وأصبحت دمشق عاصمة أول إمبراطورية عربية إسلامية (أنظر "المقدمة التاريخية والفنية"). حتى وقت قريب كان الاعتقاد السائد هو أن فترة الغزو الفارسي والفتح الإسلامي الذي تلاه خلال القرن الأول الهجري / السابع الميلادي كان فترة تغيرات وتحولات جذرية، وأن هذه التحولات يمكن ملاحظتها في التغيرات التي طرأت على الفضاء المدني كتقلص مساحة المدن، والاعتداء على حرم الطرق بأبنية واهية، واستعمال الحجارة المأخوذة من أبنية سابقة لتشييد مبان أخرى خاصة الكنائس، ثم في إهمال صيانة المرافق العامة كالمجاري والأقنية والحمامات العامة. أصبح واضحاً الآن أن هذه التغيرات، بالرغم من كونها حقيقية إلا أنها كانت تدريجية وبدأت منذ مطلع القرن السادس، وازدادت سرعتها في نهاية القرن السادس والقرن السابع نتيجة أحداث تاريخية متلاحقة. كذلك أصبح واضحاً الآن أن هذه التغيرات لم تكن نتيجة محاولات بسيطة للتأقلم مع المنشآت الموجودة، بل كانت نتيجة قرارات واعية اتخذت كاستجابة لمفهوم جديد عن "ماهية المدينة"، فحين حلّ الأساقفة محل المجالس البلدية وتولوا القيادة وشؤون الإدارة أصبح هاجسهم ليس "حياة الرفاهية" التي عرفت بها المدن الكلاسيكية بل الحرص على صحة "الحياة الروحية" للجماعة. إن الطفرة التي شهدها القرن السادس وبداية القرن السابع في بناء الكنائس ببلدات وقرى الأردن لم تغير المظهر الخارجي لهذه البلدات وحسب، بل ساهمت أيضاً في تأكيد هويتها المسيحية، وفي الفترة الأموية بقي الترتيب الكنسي الذي يدير شؤون المدينة صامداً دون تغيير ملموس، وظلت الكنائس تؤدي وظيفتها كدور للعبادة،



أم الجمال، منظر عام.



قصير عمرة، راقصة، البادية (J.L. Nou).



موكب باخوس، متحف آثار مأدبا (عن Piccirillo, 1993).

بل وشيدت كنائس جديدة رصفت أرضياتها بمكعبات الفسيفساء الملونة كما نشاهد في مأدبا (كنيسة العذراء) وماعين والقويسمة وعين الكنيسة على جبل نبو. ومما يدعو للدهشة في هذه الكنائس هو استمرار استعمال الكتابات اليونانية والتأريخ حسب الطريقة البيزنطية وتقويم "الولاية العربية" (الذي يبدأ سنة 106م) في النقوش التكريسية. كل هذا يؤكد الاستمرارية – دون حدوث تغييرات جذرية – وعدم وعي أو إحساس المجتمعات المسيحية المحلية بحلول حكم إسلامي جديد. إن ظاهرة بناء الكنائس في الفترة الإسلامية المبكرة – والتي تخالف التشريعات الفقهية – تطرح إشكالية في التسمية، فهل من الممكن دراسة الأرضيات الفسيفسائية للكنائس التي شيدت في الفترة الأموية تحت عنوان "الفن الإسلامي"؟ وما المقصود بالفن الإسلامي في هذه الحالة؟ هل من الأصح تسميتها بـ"الفن الإسلامي-المسيحي"؟ ربما من الأنسب أن نتبع اقتراح أحد أقطاب دراسات الفن والعمارة الإسلامية (الأستاذ أوليغ غرابار) باستخدام كلمة "إسلامي" للدلالة على الحضارة التي كانت فيها الطبقة الحاكمة تعتنق الإسلام والتي في محيطهم تم إنتاج المجموعات الثقافية المختلفة.

كانت هجرة القبائل ذات الأصول العربية إلى مستوطنات جديدة هي إحدى التغيرات التي أحدثها الفتح العربي الإسلامي، مما عزز عدد القبائل العربية في سوريا. إلا أن عدد المهاجرين العرب لم يكن سوى جزء صغير من





قصير عمرة، مظهر استحمام، البادية (J.L. Nou).

قصير عمرة، إمرأة تتلقى إكليلًا في مأدبة، البادية (J.L. Nou).

مجموع سكان المنطقة واستمر الريف بغالبية مسيحية وبقي مزدهراً زراعياً، فيما عدا المناطق المحاذية للحدود البيزنطية في شمال شرق سوريا. استمر الفنانون والحرفيون والمزارعون بممارسة حياتهم الاعتيادية، ولكن تحت حكام جدد، واستمرت أمور المدن والبلدات كما في السابق، تدار من قبل الأساقفة ورجال الدين. إلا أن الأمر الأكثر أهمية هو أن الفتح العربي الإسلامي أزال الحواجز ما بين إيران وبلاد الرافدين من جهة، وعالم حوض البحر المتوسط من جهة أخرى، وبهذا خلق الفرصة لمزج موارد حضارتين مختلفتين كما عمل وللمرة الأولى منذ فتوحات الإسكندر الكبير على جعل الشرق الأدنى وحدة متجانسة واحدة. إن تأسيس الخلافة الأموية في سوريا وجعل دمشق عاصمة لها، وهي ولاية ذات تاريخ فني عريق،أعطى الغلبة في التأثير الفني للعناصر الكلاسيكية أو بالأحرى الكلاسيكية الشرقية. وتظهر الأبنية المسماة بـ"القصور الصحراوية الأموية" بفسيفسائها ورسوماتها الجدارية وزخارفها الجصية المحفورة أن الأمويين قد وجدوا مثالهم الذي يحتذى في الحضارة السورية. إن الواجهة المنمقة للحكم الأموي حطمت من قبل الثوار العباسيين الذين نقلوا مركز الخلافة إلى العراق حيث أسست فيما بعد مدينة السلام بغداد (أنظر "المقدمة التاريخية والفنية") كعاصمة للخلافة الجديدة.

بسم الله الرحمن الرحيم
الله لا اله الا هو الحي القيوم
لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في
السموات وما في الارض من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون بشي من علمه الا
بما شا وسع كرسيه السموات
والارض ولا يوده حفظهما
وهو العلي العظيم

عمَان، مقر الحاكم

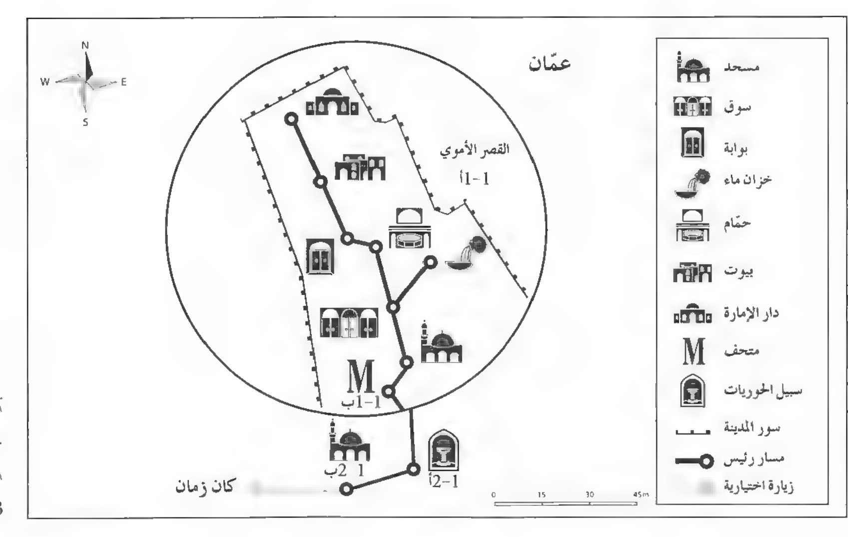
فوزي زيادين، إينا كيربرج، غازي بيشة

1-1 قلعة عمان
1-1أ القصر الأموي
1-1ب متحف الآثار الأردني

1-2 مركز المدينة (السوق)
1-2أ سبيل الحوريات
1-2ب الجامع الأموي (الجامع الحسيني)

زيارة اختيارية
خربة أبو جابر (كان زمان)

نظام الإدارة الأموي



آية الكرسي منقوشة على حجر من عمان. متحف الآثار الأردني (رقم J 6383)، عمان.

سكن الإنسان منطقة عمّان (ربة عمون القديمة) منذ العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري / المرحلة ب أي منذ حوالي 8500 - 5500 ق.م، إذ كشفت التنقيبات الأثرية في منطقة عين غزال عند مدخل عمان الشمالي عن قرية كبيرة تبلغ مساحتها حوالي 150 دنماً وتحوي بيوتاً بُنيت على أساسات حجرية وزودت بأرضيات جصية مدهونة باللون الأحمر. عثر المنقبون في الموقع على 23 تمثالاً جصياً إضافة إلى التماثيل النصفية والأقنعة التي حدد رسم معالمها بالأكاسيد المعدنية، وتعتبر هذه التماثيل فريدة من نوعها إذ لم يعثر على أمثلة مشابهة لها في الشرق الأدنى باستثناء بعض الجماجم المغطاة بالجص من أريحا، وهي تدل على مهارة صناعية فائقة في تلك الحقبة المبكرة.

تظهر مراحل السكن اللاحقة في عمان بشكل واضح في قلعتها، وهي تل طبيعي يرتفع حوالي 840م عن سطح البحر وتحيط به الأودية السحيقة باستثناء الجهة الشمالية حيث يتصل بمنحدر جبل الحسين. ولحماية تلك الجهة بنيت الأسوار الدفاعية خلال العصر البرونزي الثاني في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. امتدت المدينة العمونية إلى المرتفع الصخري الواقع في نفس الجهة حيث قام العمونيون بحفر خزان ماء ضخم يتم الوصول إليه عبر نفق محفور بالصخر أيضاً، وعثر على عدد من التماثيل العمونية بالقرب منه. ما زالت الأسوار الرومانية موجودة على المرتفع الصخري الشمالي، ومن هناك تمتد قلعة عمان على أربع مصاطب باتجاه الجنوب الشرقي وبمساحة حوالي 400 × 250م.

كشفت التنقيبات الأثرية في المصطبة الثالثة السفلية عن بقايا من العصر الحجري الحديث تعود إلى حوالي 5000ق.م مما يشير إلى احتمال هجرة السكان من عين غزال إلى القلعة. وتحمي أسوار مدينة العصر البرونزي الوسيط طرف المصطبة الثالثة أيضاً، حيث دعم السور هناك ببناء منحدر حجري. إلا أن أشهر ما يميز ربة بني عمون هم سكانها من قبائل العمونيين الذين ربما انحدروا من الأموريين، وتذكر التوراة العمونيين وملوكهم عدة مرات، إلا أن أول ذكر مؤكد لملوك بني عمون كان في الأسفار الأشورية منذ زمن شلمنصر الثالث في 850ق.م وحتى زمن الملك البابلي نبوخذنصر الثاني في 598ق.م.

عُين طوبيا حاكماً لمنطقة عمون خلال الفترة الفارسية الأخمينية في القرن الخامس قبل الميلاد، ويظهر أفراد أسرة طوبيا مرة أخرى خلال الفترة الهلنستية بوظيفة جباة الضرائب للبطالمة، مما وضعهم في مركز قوة وثراء، وقام هيركانوس أحد أفراد الأسرة ببناء قصر له في عراق الأمير بالقرب من عمان في القرن الثاني قبل الميلاد. وفي تلك الفترة أعاد بطليموس فيلاديلفوس تسمية ربة عمون "فيلادلفيا" على شرف أخته وزوجته أرسينو فيلادلفيا الثانية (أي المحبة لأخيها). جلبت ثورة اليهود في الفترة الهلنستية المتأخرة بقيادة الحشمونيين الدمار للمدن الهلنستية الواقعة شرقي نهر الأردن، والتي أعاد بنائها فيما بعد



القصر الأموي، كوة صماء منحوتة في مبنى البوابة، عمان.

القائد الروماني بومباي في 63ق.م، وكونت تلك المدن نواة الديكابوليس (المدن العشر) وهو مجموعة عشر مدن أو أكثر في فلسطين والأردن وسوريا (أنظر فصل "المدن العشر في الفترة الأموية").

بعد إحتلال الإمبراطور الروماني تراجان لمملكة الأنباط عام 106م وإنشاء "طريق تراجان الجديدة"، إزدهرت عمان/ فيلادلفيا بسبب وقوعها على الطريق التجارية ما بين دمشق والبحر الأحمر، وخلال الفترة الأنطونية في القرن الثاني الميلادي، أعيد تنظيم عمان على أسس مخطط المدن اليونانية-الرومانية بما فيها الأكروبوليس (المدينة العلوية) والمعابد والمدينة السفلية.

ازدهرت عمان خلال الفترة البيزنطية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين وبنيت فيها عدة كنائس بلطت أرضياتها بالفسيفساء، وكتب أحد أبنائها المؤرخ الشهير مالك (مالخوس) تاريخ بيزنطية في حوالي عام 500م.

ابتدأت أحوال المدينة بالتدهور خلال الفترة البيزنطية المتأخرة، في حوالي منتصف القرن السادس وبداية السابع الميلادي/ الأول الهجري، مما ساعد القوات العربية المسلمة بقيادة يزيد بن أبي سفيان على فتح عمان عام 13هـ/634م، وفي نفس العام فُتحت دمشق (أنظر على سبيل المثال "النقود الإسلامية المبكرة" و"نظام الإدارة الأموي"). كانت شروط استسلام عمان شبيهة بشروط بصرى الشام وأعطي الأمان لسكان المدينة وعائلاتهم وممتلكاتهم مقابل دفع الجزية. وأظهرت التنقيبات الأثرية في الجزء العلوي من قلعة عمان أن المساكن الأموية وخزان الماء قد بنيت على بقايا الحي البيزنطي.

كانت القلعة دوماً رمزاً لعمان ومقراً لحكامها،

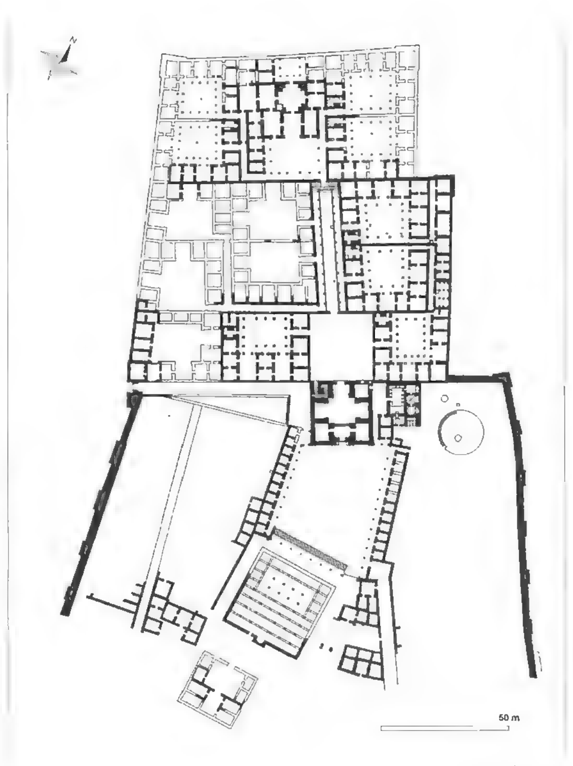
والمدينة، وذلك بسبب موقعها الجغرافي المركزي وكونها مقراً للحكم. إلا أن هذه الفترة المزدهرة (أنظر "القصور الأموية") انتهت بالكوارث الطبيعية من الزلازل وانتشار الطاعون عام 131 / 749. وعندما أطاحت الثورة العباسية بحكم الخلافة الأموية في 132 / 750، عانت البلقاء وعمان من انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى الكوفة ومن ثم إلى بغداد.
(فوزي زيادين)

1-1 قلعة عمان

تقع القلعة إلى الشمال من وسط المدينة. الموقع مفتوح لدخول الزوار كافة أيام الأسبوع من الساعة 8 صباحاً – 4 مساءً خلال الشتاء وفي شهر رمضان، ومن 8 صباحاً – 7 مساءً في الصيف. يوجد رسم دخول للموقع. بالإمكان الوصول للقلعة بسيارات التاكسي والسرفيس. للاستعلامات: متحف الآثار الأردني هاتف 4638795 - 06.

1-1أ القصر الأموي

بعيد تأسيس عاصمة الخلافة الأموية في دمشق، أصبحت قلعة عمان مقر حاكم البلقاء وأعيد تنظيم المصطبة العليا بتقسيمها إلى ثلاث مناطق مغلقة تتوسطها قاعة الاستقبال والتي كانت أيضاً بوابة ضخمة. وبحسب التنقيبات الأثرية، أنشأ المبنى الأموي على بوابة مبنى روماني كان قد أعيد استعماله في الفترة البيزنطية المبكرة.



القصر الأموي في القلعة، عمان (عن A. Almagro and I. Arce, SHAJ VII, 2001).

ومن الواضح أن الأمويين اعتبروها المدينة الكبرى، وأصبحت عاصمة البلقاء ومركز الحكم خلال الفترة الأموية (41 / 661 – 132 / 750).

تذكر المصادر أن الوليد الثاني سجن ابن عمه سليمان بن هشام في عمان، وعلى أغلب الاحتمال في قلعتها. لعبت المدينة دوراً هاماً خلال الفترة الأموية إذ أصبحت محطة رئيسة على طريق الحج بين دمشق والحجاز إلى مكة

مبنى البوابة مربع تقريباً بلغت أبعاده 24,40 × 26,10م، أنشأ على شكل متصالب تعلوه قبة مركزية وسقفت أذرعه الأربعة بأنصاف القباب. للمبنى مدخلين من الجنوب والشمال ويوجد مقعدين حجريين عل جانبي المدخل الجنوبي ربما كانا لجلوس الزوار.

يتوسط التوزيع الداخلي مربع طول ضلعه 10,30م تتفرع منه الأذرع الأربعة، وتوجد أربع غرف في زوايا المبنى. تحتوي الغرفة الجنوبية الغربية على درج يصل إلى سطح المبنى بينما توجد درجات في الغرفة الشمالية الشرقية للارتقاء إلى المدخل الجانبي الذي يصل إلى الحمّام وخزان الماء.

تزين الزخارف المنحوتة داخل المبنى، حيث بنيت الجدران حتى ارتفاع 1,60م بمدماكين من الحجارة الضخمة التي ربما كانت قد جلبت من مبنى روماني، يعلوهما كورنيش بارز فوقه جزء مزخرف بالنوافذ الصماء التي تحيط بها أعمدة مزدوجة صغيرة من الجهتين ويعلوها قوس في باطنه المسننات. ويفصل كورنيش آخر صفاً ثان من النوافذ الصماء الأكبر حجماً والتي تحيط بها أيضاً الأعمدة المزدوجة وتزخرفها المنحوتات النباتية على شكل سعف النخيل والوريدات. ويعيد صف ثالث من النوافذ الصماء الأصغر حجماً نفس الزخرف منتهياً في الجزء العلوي من الجدران، ويعلو الواجهة إفريز من الطلاقات الضيقة. تعبر قناة مغطاة قاعة المبنى المركزية من الجنوب إلى الشمال، وتصب قناة أخرى في المنطقة الجنوبية في خزان الماء المستدير بينما تجمع الأنابيب المثبتة على الجدار الشمالي مياه الأمطار لتصب في الخزان أيضاً.



القصر الأموي، مبنى البوابة، عمان.



القصر الأموي، السوق، عمان.

سمى الرحالة في القرن التاسع عشر هذا المبنى "ضريح أوريا" معتمدين على القصة التوراتية التي تذكر موت أوريا الحثي على أسوار ربة عمون، إلا أن الأبحاث المعاصرة برهنت على كونه بوابة المباني في المنطقة التالية، وهي مبان تعود أصلاً إلى الفترة الرومانية كما يدل عليه بلاط الساحة وزخارف الكوى على وجه السور المحيط الداخلي، وتدل الأبحاث على استخدام الأمويين للمبنى كقاعة استقبال شبيهة بدار إمارة أبو مسلم الخرساني في مرو،

القصر الأموي، شارع الأعمدة في المنطقة السكنية، عمان.



وكان بعض الباحثين قد فسره على أنه كنيسة بيزنطية إلا أن الزخارف المستمدة من الفن الفارسي كسعف النخيل والوردات والمسننات والشبيهة بزخارف المباني الساسانية المغطاة بالجص تنفي هذا التفسير. ومن المحتمل أن تلك التأثيرات الإيرانية-الساسانية قد أتت للأردن مع الحرفيين من العراق بعد الفتح الإسلامي، وتوجد أمثلة مشابهة لها في القصر الأموي في خربة المنية على بحيرة طبرية وقاعة استقبال قصر المشتى إلى الجنوب من عمان إضافة إلى قاعة استقبال خربة المفجر قرب أريحا المعروفة خطأ باسم "قصر هشام" نسبة إلى هشام بن عبد الملك (105 / 724 - 125 / 743) والذي بنى قاعة استقبال شهيرة في الرصافة في سوريا شبيهة بقاعة عمان، ومن المحتمل أن قصر عمان قد بنى في فترة حكمه. إلى الشمال من قاعة الاستقبال، يوجد **الحمّام** الذي تم التنقيب عنه وترميمه ويتكون من غرفة لنزع الملابس مزودة بمقاعد، وغرفة دافئة فيها أحواض ماء وغرفة ساخنة يحاذيها فرن لتسخين المياه (أنظر "قصير عمره").

يقع **خزان الماء** المستدير إلى الشرق من قاعة الاستقبال وجنوب المنطقة الرومانية ويبلغ قطره 16م وعمقه أكثر من 5م وسمك جداره حوالي 2م. بني الجزء الداخلي من كتل حجارة مشذبة تدعمها اسطوانات الأعمدة. تصب قناتان مغطيتان في الخزان، أما مصدر المياه فهي الأمطار المجمعة بالأنابيب من سطح قاعة الاستقبال غرباً والساحة الرومانية

شمالاً، وتصب القناة الممتدة من الساحة في حوض مربع لتصفية الماء قبل دخوله الخزان. من المحتمل أن أصل الخزان كان رومانياً ثم بيزنطياً أعاد الأمويون تجديده، ومما يدعم هذا الاعتقاد أن بناء الخزان الأموي دمر حياً سكنياً بيزنطياً كان يحيط بمعصرة زيتون.

بحث علماء الآثار طويلاً عن **المسجد** التابع لمقر الحاكم الأموي والذي عثر عليه أخيراً عام 1997 حيث بني على مصطبة اصطناعية إلى الجنوب الشرقي من قاعة الاستقبال ويتم الوصول إليه من الساحة السفلية أمام القاعة بدرج عريض يرقى إلى رواق تحمل سقفه ستة أعمدة، وزخرفت واجهة المسجد الشمالية بإفريز من الدعامات والكوى بعضها صماء والأخرى مفتوحة وكان له باب من الناحية الشمالية وآخر في الجنوب قرب المحراب ومن المحتمل وجود باب ثالث في الشرق لدخول الإمام.

مخطط قاعة الصلاة على شكل متوازي الأضلاع أبعاده 34,10م من الشرق إلى الغرب و33,67م من الشمال إلى الجنوب، بلطت أرضيته بحجارة صغيرة غير مشذبة غطيت بطبقة من الشيد (الجص الكلسي)، وربما كانت الجدران الداخلية مغطاة بالشيد أيضاً حيث بقيت آثاره قرب المحراب المبني في الجدار الجنوبي بعرض 2,93م وقطره الداخلي 1,52م وكان مدخله محاطاً بعمودين صغيرين. لبهو الصلاة أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، في كل منها ستة أعمدة. وتحيط المرات المسقوفة بساحة المسجد التي



القصر الأموي، الحمّام، عمان.

يتوسطها خزان ماء، وكان الماء يصل إلى الخزان بأقنية جمعت أحدها مياه الأمطار الساقطة على المسجد.

توجد 11 غرفة صغيرة على جهتي الساحة الشرقية والغربية كانت عبارة عن حوانيت، وفي أعقاب زلزال عام 131 /749 تم تحويلها إلى منازل سكنية.

يمتد شارع الأعمدة شمالي مدخل مبنى البوابة الشمالي حيث يلتقي بوابة أخرى، ويوجد صليب بيزنطي منحوت على إحدى قواعد

القصر الأموي، خزان الماء ومبنى البوابة، عمان.





القصر الأموي، مجموعة بيوت حول ساحة، عمان.

أعمدة الشارع مما يدل على إعادة استخدام القواعد من أبنية سابقة. ويدل وجود خصر عقد على واجهة البوابة الجنوبية على أن أعمدة الشارع كانت تحمل أقواساً.

توجد بيوت خلف رصيفي الشارع الأموي الشرقي والغربي، ويفضي رواق بأعمدة مشابهة لأعمدة الشارع إلى ثلاث ساحات داخلية في الجانب الشرقي، تفتح على كل منها أربع غرف في العادة وتحوي بعض الغرف على أدراج للصعود إلى مصطبة أو طابق علوي. وعثر في إحدى الساحات على هيكل عظمي لجمل قتل في زلزال عام 131 / 749.

تصل البوابة الشمالية في طرف الشارع المعمد إلى **دار الإمارة**، التي يتم الدخول إليها عبر ردهة مسقوفة بعقد برميلي رصفت أرضيتها بحصى صغيرة ربما كانت أساساً لأرضية فسيفسائية، وزخرف مدخل الردهة بأعمدة مغطاة بالزخارف الجصية.

ومن الردهة يدخل الزائر إلى "حجرة العرش" وهي غرفة مخططها على شكل مصلب كانت تعلوه قبة، وتدل البقايا المعمارية المكتشفة في أطلال هذه الغرفة على أن زخرفها كان شبيهاً بزخرف مبنى البوابة، وتوجد غرفة صغيرة مستطيلة إلى الجنوب كانت مزينة بالفسيفساء وربما استعملت كمرحاض. يصل باب من حجرة العرش شمالاً إلى رواق معمد يطل على المدينة باتجاه جبل الحسين، وما زالت هذه الجهة من القلعة محتفظة بالأسوار الدفاعية الضخمة التي تعود للعصر الحديدي والفترة الرومانية، وحفرت بئر في الصخر أسفل الأسوار الرومانية.

تحيط مجموعتين من البيوت يحوي كل منهما على أربع غرف بـ"حجرة العرش"، وربما كان البيت الشرقي الذي كان مزيناً في الأصل

بالزخارف الجصية لسكنى الأمير، ويوجد حجر في أحد الجدران عليه كتابة يونانية تكريماً لإمبراطور روماني تذكر فيلادلفيا في وسط سوريا يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي وربما كانت أصلاً في أحد المعابد.

الغرف الأربع في الناحية الغربية ربما كانت للخزين ومطبخ بيت الأمير، ومن المتعارف عليه أن هذا المبنى الشبيه بدار الإمارة في الكوفة كان مسكن حاكم عمان في الفترة الأموية.

(فوزي زيادين)

1-1ب متحف الآثار الأردني

يقع هذا المتحف في قلعة عمان ويفتح أبوابه للزوار من الساعة 8 صباحاً – 5 مساء أيام السبت إلى الخميس، ومن الساعة 10 صباحاً – 4 مساء أيام الجمعة والعطل الرسمية، ومن 9 صباحاً – 4 مساءً خلال شهر رمضان. يعرض المتحف قطعاً أثرية من جميع الحقب والمواقع في الأردن حسب التسلسل الزمني. للاستعلامات: متحف الآثار الأردني هاتف 4638795 - 06.

جرة خزين مزخرفة (رقم J 4982)

جرة كبيرة فريدة بزخرفها، لون الفخار برتقالي باهت ومدهونة بزخارف حمراء مما يدل على كونها من الفترة الأموية المتأخرة، وهي بذلك شبيهة بفخاريات أم الوليد التي تسبق الفترة العباسية. ما يميزها هو وجود زخارف بارزة صنعت بالقالب وأضيفت إلى سطح الجرة، وهي عبارة عن وجوه دائرية محوّرة وملتحية تحيط بأشكال امرأة جالسة تشبه تصاوير زوجات الأباطرة على النقود البيزنطية وتصاوير كلاسيكية لنساء على لوحات الفسيفساء، أما المقابض المتعددة الممتدة من الكتف فيبدو أنها هي أيضاً جزء من الزخرف ولا وظيفة عملية لها. ربما استعملت هذه الجرة لطقوس معينة أو أنها صممت بطلب خاص.

كانون نار من البرونز والحديد، من الفدين/ المفرق (رقم J 15700, 15701, 15705)

هذا الكانون المؤرخ للقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي هو أشهر وسائل التدفئة الأموية في الأردن وأكثرها اكتمالاً، إذ صنعت زخارفه بإتقان فائق وتناسق ما بين العناصر سواء المعدنية من برونز وحديد أو الزخرفية من نحت بارز وكامل. تذكرنا أطراف الكانون

إناء خزين مزخرف، متحف الآثار الأردني (رقم J 4982)، عمان.



المشغولة على شكل صف من القناطر والمناظر المصورة ضمن الأقواس برسومات قصير عمره. أرجل الكانون على شكل عقبان وتعلو زواياه تماثيل صغيرة لنساء عاريات بارتفاع 47سم وهذه الأشكال قديمة في فن التماثيل المعدنية الشرقية الذي بدأ بصناعة البرونز في بلاد الرافدين في القرن التاسع قبل الميلاد.



كانون نار من البرونز والحديد، من الفدين، متحف الآثار الأردني (رقم J 15700, 15705, 15701)، عمان.

إبريق فخاري من دير عين عباطة/ كهف النبي لوط (رقم J 16694)

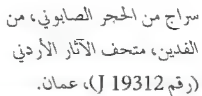
إبريق ماء من فخار أبيض مصفر يعود لنهاية الفترة الأموية أو بداية العباسية، من كنيسة القديس لوط أو دير عين عباطة التي كانت مستخدمة في تلك الحقبة بحسب الكتابة على أرضيتها الفسيفسائية. تعود أهمية الإبريق إلى الشريط الكتابي العربي على كتفه وهو من أقدم الكتابات في الإسلام، وقد صنعت بقالب مما يدل على أن هذا الإبريق هو واحد من مجموعة مماثلة له إذ أن صناعة القالب أو عجلة الزخرف مكلفة وتتطلب مهارةً ووقتاً لذا استعمل القالب الواحد والذي كان في العادة فريد في زخرفه لتصنيع عدة قطع، وينطبق الأمر كذلك على الشريط الزخرفي السفلي والذي يدل على مهارة الخزاف الصانع.



إبريق فخاري من دير عين عباطة، متحف الآثار الأردني (رقم J 16694)، عمان.

سراج من الحجر الصابوني، من الفدين/ المفرق (رقم J 19312)

كسرة مرممة ارتفاعها 20سم من سراج ضخم كان ارتفاعه حوالي 120سم ويعود إلى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي. طبيعة



سراج من الحجر الصابوني، من الفدين، متحف الآثار الأردني (رقم J 19312)، عمان.

مبخرة حجرية من قلعة عمان، متحف الآثار الأردني (رقم J 1663)، عمان.



الحجر الصابوني اللينة جعلت الحفر عليه سهلاً وبالتالي شاعت زخرفته عبر العصور، بما فيها الفترات الإسلامية. يظهر على هذه القطعة زخرف معماري بأسلوب مميز لأبنية الفترة الإسلامية المبكرة وتذكرنا بزخرف كانون النار الشهير من نفس الفترة والموقع. تعود أهمية هذا السراج أيضاً إلى أنه يظهر كيفية عمل الزخارف المحفورة ويدل بالتالي على الأدوات المستخدمة، حيث أنه من الواضح أن الصانع استخدم الفرجار لحفر الدوائر والوريدات والأقواس على سطح السراج.

مبخرة حجرية من قلعة عمان (رقم J 1663)

هذه المبخرة على شكل قاعة استقبال أو بوابة تذكارية تعلوها قبة مركزية، وهي شبيهة بقاعة الاستقبال المبنية على قلعة عمان خلال الفترة الأموية، وفيها كافة المظاهر المعمارية لأبنية الفترة الإسلامية المبكرة.

استخدم حجر البازلت بكثرة لحفر أغراض عدة في القرن السادس الميلادي وشاع استخدامه خلال القرنين الأول للهجرة (السابع والثامن الميلادي) ولم يقتصر ذلك على المناطق البركانية مثل أم قيس وحوران، بل وجدت المنحوتات البازلتية في مواقع مثل جرش وعمان حيث لا يتوفر هذا الحجر في الطبيعة، مما يدل على أن القطع قد جلبت مشغولة أو أن النحاتين والحرفيين المحليين قد استوردوا الحجر الخام وصنعوه.



قطعة من إفريز قصر المشتى، متحف الآثار الأردني (رقم J 16585)، عمان.

وردة من إفريز قصر المشتى (رقم J 16585)

اشتهرت واجهة قصر المشتى الأموي، والمحفوظ معظمها حالياً في متحف بيرغامون في برلين، بزخارفها المحفورة بدقة متناهية. يتكون زخرف الوردة من أوراق أكانثوس مما يشير إلى التراث الكلاسيكي في الزخرف المعماري والموجود في معظم القصور الأموية، وتظهر مهارة الحرفيين الذين نحتوا واجهات المشتى في تركيبة العناصر الزخرفية إضافة إلى دقة النحت، إذ لم يقوموا بمجرد نقل العناصر الكلاسيكية التي تعود أصلاً للفترة الرومانية (مثل أوراق الأكانثوس) بل اختاروا ونظموا تلك العناصر في أطر جديدة مما أعطى الزينة الأموية طابعاً خاصاً ثنائي الأبعاد أضحى فيما بعد مميزاً لفن زخرفة العمارة الإسلامية.

(إينا كيربرج)

1-2 مركز المدينة (السوق)

بالإمكان النزول إلى مركز المدينة من القلعة بسيارات التاكسي أو السرفيس.
بعض المعالم الرومانية التي تم ترميمها كانت مستخدمة خلال الفترة الأموية.

1-2أ سبيل الحوريات (النمفيوم)

يقع هذا المعلم الروماني بالقرب من المدرج على شارع قريش في سوق عمان، لكن الوصول إليه أكثر صعوبة لأنه خلف عمارات حديثة. بالإمكان زيارته في أي وقت خلال النهار وطوال الأسبوع بدون رسوم دخول. للاستعلامات: مكتب الآثار 4644921 - 06.

يقع سبيل الحوريات (النمفيوم) على سيل عمان عند تقاطع الشارع الروماني القديم المتجه شمال-جنوب (كاردو، حالياً شارع الهاشمي) والشارع الروماني المتجه شرق-غرب (دكيومانوس، حالياً شارع قريش). خطط المبنى على شكل نصف مثمن وبني على أربعة عقود كانت تمر عبرها المياه من الجهة الجنوبية، وكان ارتفاعه في الأصل ثلاثة طوابق وله ثلاث حنيات مسقوفة بأنصاف قباب يحيط بكل منها تجويف يحتوي على صفين من الكوى المنحوتة على شكل صدف بحري. لا توجد

أدلة على اتصال هذه الكوى بأنابيب المياه، ولا على وجود مخرج للمياه أو نافورة كتلك الموجودة في نمفيوم جرش، وتبقى المقارنة ما بين المعلمين ركيكة وهنالك تساؤلات حول ما إذا كان هذا المبنى في عمان نمفيوم أصلاً. عثر على كتابة تذكارية يونانية في مسرح عمان تمت ترجمتها كالتالي: "إلى الحوريات وإلهات، كرسني كابيتولينوس"، والحوريات والإلهات الشقيقات حماة الشعر والموسيقى والفنون والعلوم هن من الميثولوجيا الإغريقية، أما كابيتولينوس فربما كان حاكم المقاطعة العربية في منتصف القرن الثالث الميلادي، لكن لا توجد علاقة ما بين هذه الكتابة وسبيل الحوريات.

في المقابل، كان هذا المعلم مع المسرح والسوق (الفورم) جزءً من التخطيط المدني لعمان / فيلادلفيا خلال الفترة الرومانية في القرن الثاني الميلادي، وقد بني إما في نهاية ذلك القرن أو بداية القرن الثالث، وهنالك مبان شبيهة من نفس الفترة في سوريا في الشهبا / فيليبوبوليس وصفتها النقوش على أنها "calibè" وتم تكريسها لتكريم العائلة الإمبراطورية.

تم العثور على إفريز من التماثيل النصفية الآدمية والحيوانية كان أصلاً أمام صف الأعمدة واستخدم في مبان لاحقة أنشأت أمام المعلم. وأعادت كنيسة بيزنطية استخدام الحنية الوسطى كما عثر على قمط باب مزخرف بصليب ضمن الحجارة التي أعيد استخدامها. وهنالك الكثير من آثار إعادة السكن في الموقع خلال الفترة الأموية والفترات الإسلامية اللاحقة هي عبارة عن غرف صغيرة، ربما كانت متاجر، بنيت على الجهة الجنوبية حيث توجد منطقة كبيرة محاطة بالجدران وخزان ماء في الساحة، وبما أن موقع سبيل الحوريات في وسط عمان حيث يجري السيل تحته، فمن المؤكد أنه كان محطة للمسافرين والحجاج خلال الفترات الإسلامية، كما لا بد وأن الجامع القريب من الموقع (الجامع الحسيني) قد اجتذب سكان المدينة كما اجتذبتهم السوق التي كانت وما زالت في نفس المنطقة.

(فوزي زيادين)

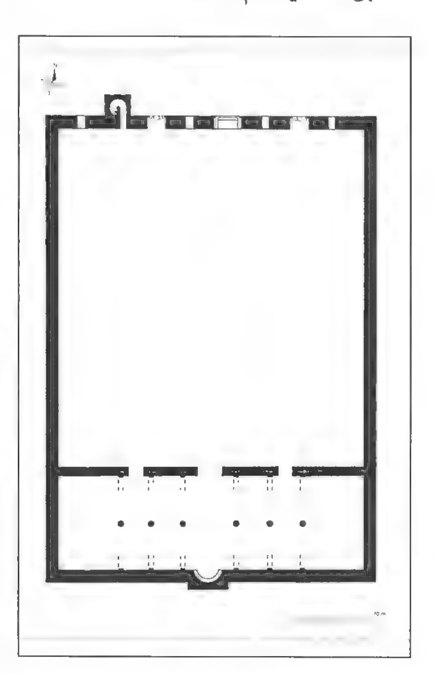
سبيل الحوريات، وسط مدينة عمان.



1-2ب الجامع الأموي (الجامع الحسيني)

يقع في وسط عمان في المنطقة المسماة باسم الجامع، وهو مفتوح دوماً للصلاة.

ضمن وصف المقدسي (المتوفى 375/ 985) لعمان، ذكر أنها تقع على حافة الصحراء وفي نهاية سوقها هنالك جامع "ظريف" رصف صحنه بالفسيفساء. ولحسن الحظ قام عدد من الرحالة بوصف وتصوير الجامع خلال القرن التاسع عشر، كان أولهم وارن عام 1867، وآخرهم كريزويل الذي وصفه عام 1920 قبل إعادة إعماره من قبل الأمير عبد الله ابن الحسين عام 1923.

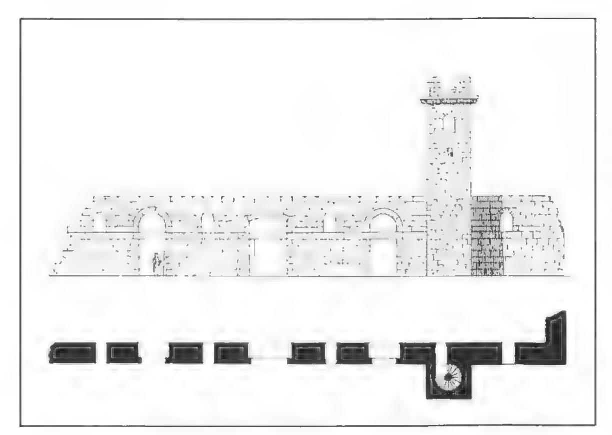


مخطط الجامع الحسيني، عمان (عن Northedge, 1992).

وبحسب الوصف كانت أبعاد الجامع 57,10 × 39,70م وأبعاد بهو الصلاة 39,70 × 14م. بني الجدار الشمالي بحجارة مشذبة وبعرض 1,55م. كان للجامع ثلاثة أبواب تفتح على رواق حملت أعمدته عوارض خشبية مثبتة بفتحات في المدماك العلوي، و رواق المدخل هذا شبيه بمدخل المسجد العمري في بصرى الشام. ووجدت أربع نوافذ في الواجهة الشمالية، اثنتين منهما صماوين والأخريتين مفتوحتين. كانت توجد مئذنة مربعة في الزاوية الغربية يتم ارتقاؤها بدرج لولبي يصل إلى غرفة صغيرة ويدخلها النور عبر أربعة نوافذ، وهي تشبه بذلك برج الناسك في أم الرصاص/ ميفعه حيث توجد في أعلاه غرفة صغيرة مربعة مسقوفة بقبة (أنظر "أم الرصاص، ميفعه").

وجد محراب ضخم ضمن نتوء في الجدار الجنوبي بلغ قطره 3,58م، جعل في داخله محراب ثان أصغر حجماً وقد تجادل الباحثون حول تأريخ فترات بناء الجامع المختلفة. بني الجامع أصلاً في الفترة الأموية، إذ أن أسلوب بناء أقواس البوابات الدائرية شبيه بأسلوب البناء في الجامع الأموي في دمشق، وفي بصرى الشام ومسجد قصر الحلابات في الأردن. ويذكر نقش كوفي عثر عليه في الجامع أنه بني بإشراف القائد حسن بن إبراهيم، وهو شخصية غير معروفة تاريخياً إلا أن خط النقش ربما كان من الفترة العباسية، وربما كان القائد حاكماً في الفترة الفاطمية أو العباسية. ويعتقد أن المئذنة أضيفت لاحقاً، ربما في القرن الرابع

الهجري / العاشر الميلادي أو حتى بعد ذلك.
من المؤكد أن جامع وسط المدينة كان لمجتمع كبير من المسلمين، حيث كان قريباً من السوق، بينما كان مسجد القلعة للأمير وحاشيته القاطنين في المنطقة السكنية من القلعة. ومن المرجح أن الجامع كان قد بني في وسط مدينة عمان بين فترتي حكم عبد الملك بن مروان ويزيد بن عبد الملك (65/ 685-105 / 724).
(فوزي زيادين)



مخطط إعادة تصور الجامع الحسيني، عمان (عن Northedge, 1992).

خربة أبو جابر (كان زمان)
تقع على بعد 40كم جنوب عمان في منطقة اليادودة. أسهل الطرق للوصول إليها بسيارة التاكسي أو سيارة خاصة. الخربة عبارة عن قرية وخان من الفترات البيزنطية والإسلامية تم تحديثها ضمن منتجع تجاري يرتاده سكان وزوار عمان. أعيد ترميم وبناء مساكن القرية القديمة وفيها شارع قديم جميل تحيط به دكانين بيع الحرف التقليدية وتعرض فيها أدوات ريفية من القرن 13هـ/ 19م.

للمعلومات: كان زمان 4128393 - 06.

نظام الإدارة الأموي

غازي بيشه

خلال القرن الرابع الميلادي، قسمت أراضي فلسطين والأردن جنوبي وادي الحسا وصحراء النقب إلى ثلاث ولايات: فلسطين الأولى وعاصمتها قيصرية، وفلسطين الثانية عاصمتها سكيثوبوليس (بيسان)، وفلسطين الثالثة – سالوتاريس – عاصمتها البتراء وانتقلت فيما بعد عند نهاية القرن السادس إلى أريوبوليس (الربه)، بينما بقيت المنطقة شمالي وادي الحسا ضمن الولاية العربية وعاصمتها بصرى الشام. وفي القرن السادس الميلادي هجر البيزنطيون معظم التحصينات الحدودية في ولاية فلسطين الثالثة تاركين مهمة حفظ السلام والنظام للقبائل العربية المتحالفة تحت قيادة الغساسنة (أنظر "المقدمة التاريخية الفنية" و"الأمويون: نشأة الفن الإسلامي"). ولسوء الحظ لم يصلنا أي شيء تقريباً بخصوص التقسيمات الإدارية خلال الاحتلال الفارسي (614م-7هـ/629م)، كما أنه من الصعب فهم التغيرات التي حصلت نتيجة الفتح العربي الإسلامي وذلك بسبب ندرة المصادر العربية المكتوبة قبل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. بعيد الفتح العربي الإسلامي، قسمت بلاد الشام لأربع مقاطعات عسكرية أو أجناد وهي من الشمال إلى الجنوب: جند حمص، وجند دمشق، وجند الأردن (عاصمته طبريا)، وجند فلسطين (عاصمته اللد)، وأسس جند خامس خلال فترة حكم يزيد الأول (60/680-64/683) وهو جند قنسرين. توحي التقسيمات الجغرافية لهذه الأجناد التي امتدت حدودها من بادية الشام شرقاً إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً وكان لكل منها ساحله وموانئه، بكونها تقسيمات دفاعية لمواجهة الخطر البيزنطي وأي هجوم مضاد يمكن أن يقوموا به. ذهب حديثاً أحد الباحثين إلى القول بأن نظام الأجناد لا يعكس التقسيمات الإدارية في القرن السادس الميلادي ولكنه يتبع التقسيمات التي ترتبت على إصلاحات هرقل المدنية والعسكرية في بلاد الشام خلال الفترة ما بين 7/629-12/634، بينما ذهب آخرون إلى أن العرب استحدثوا نظام الأجناد. قسمت الأردن ما بين جند دمشق وجند الأردن وهذا الأخير ضم الأراضي الواقعة شمال وادي الزرقاء، والتي عرفت فيما بعد بسواد الأردن، وكانت حدوده قريبة من حدود مقاطعة فلسطين الثانية البيزنطية لكنه ضم أيضاً صور وعكا بالإضافة إلى الجزء الغربي من الولاية العربية ومدن الديكابوليس: قويلبة (أبيلا) وأم قيس (جدارا) وبيت راس (كابيتولياس) وطبقة فحل (بيلا)، أما باقي الأراضي الممتدة من أدرعات (درعا) عبر عمان إلى أيله (العقبة) فشكلت مقاطعة البلقاء، وعاصمتها عمان وكانت تتبع إدارياً جند دمشق. وغالباً ما وضع الباحثون حد البلقاء الجنوبي عند وادي الموجب أو وادي الحسا. إلا أن المصادر تذكر بأن مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين كتب لوالي دمشق عند سماعه بأخبار المؤامرات التي كان يحيكها العباسيون يأمره بإحضار إبراهيم بن محمد الإمام من الحميمة، فأمر والي دمشق بدوره عامله على البلقاء سفيان بن يزيد السعدي بإلقاء القبض على ابن محمد الإمام،

فتوجه سفيان إلى الحميمة وأعتقل إبراهيم بن محمد الإمام وأرسله إلى دمشق، ومن ثم أرسل على عجل إلى مروان في الجزيرة حيث أعدم. تدل هذه الحادثة على أن البلقاء امتدت جنوباً إلى الحميمة وأنها كانت ضمن جند دمشق. وبدورها قسمت البلقاء إلى وحدات إدارية صغيرة: كوره مآب وضمت المرتفعات الجبلية ما بين الحسا والموجب ومركزها الربه، وكوره الجبال وضمت جبال الطفيلة ومركزها غرندل، وكوره الشراه التي كانت حد البلقاء الجنوبي شرق غور الأردن ومن مدنها أذرح والحميمة، وكوره الغور ومركزها زغر في الصافي جنوب البحر الميت.

موقع البلقاء المتوسط جعلها بوابة الجزيرة العربية، حيث تقع مدينتي مكة والمدينة محج المسلمين، إلى الشام ومصر وفلسطين والعراق، ولأهمية هذه المنطقة عسكرياً في سياسة الأمويين جعلوها تابعة إدارياً لجند دمشق. إن موقع البلقاء المركزي جعلها معبراً طبيعياً يربط بين شبه الجزيرة العربية حيث تقع مكة والمدينة وبين سوريا وفلسطين ومصر والعراق.



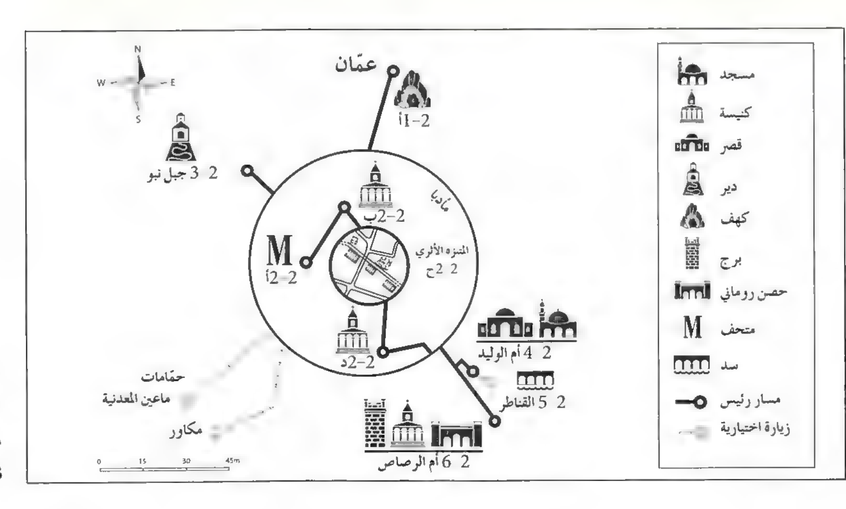
الأمويون والرعايا المسيحيين

غازي بيشه، إينا كيربرج، لارا طعمة، فوزي زيادين

حركة مناهضة الصور والأيقونات

أسلوب التصوير الآثاري عند الروم البيزنطيين وعند الأمويين

طريق الحج المسيحي من القدس الشريف إلى مغطس السيد المسيح



كنيسة القديس إسطفان، كاسترون ميفعه، أم الرصاص (عن Piccirillo, 1993).



قاعة هيبوليتوس، أفروديت وأدونيس والكيوبيد (الطفل المجنح)، متنزه مأدبا الأثري.

شهد القرن السادس وبداية السابع الميلادي زخماً كبيراً في بناء الكنائس في الأردن، وبقيت معظمها سليمة خلال الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام في العقد الثاني من القرن الأول الهجري / ثلاثينيات القرن السابع الميلادي (أنظر فصل "الأمويون: نشأة الفن الإسلامي")، فقد أظهرت الأبحاث الأثرية خلال العقدين الماضيين استمرارية استعمال أكثر من 55 كنيسة في الأردن حتى النصف الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي أو حتى بعد ذلك، وأن عشر كنائس على الأقل قد بنيت أو



منظر داخلي لكنيسة القديس إسطفان، أم الرصاص.

أعيد رصف أرضياتها بالفسيفساء خلال الفترة الأموية (41 / 661 - 132 / 750). وبقي الريف مزدهراً إذ استمر الفلاحون والحرفيون بحياتهم الاعتيادية تحت إمرة الحكام الجدد. كان الدين المسيحي أحد عوامل هذه الاستمرارية، إذ شكل العنصر الأقوى في المحافظة على ترابط سكان المدن والقرى، وحافظ الأهالي على قوانينهم وعاداتهم إضافة إلى قادتهم. ويبدو أن الهيكل الكهنوتي في بعض الأسقفيات، مثل أسقفية مأدبا، بقيت بدون تغير يذكر حتى نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، وحافظت سلطة الأسقف على وحدة المدينة والأراضي المحيطة بها. كما يبدو أن معظم سكان الأردن بقوا مسيحيين خلال القرن الأول الهجري، بينما كان عدد المسلمين صغيراً، وهم الذين شكلوا النخبة العسكرية والدينية في البلاد. يستدل على هذا من كثرة الكنائس التي استمر استخدامها في الفترة الأموية، وقلة المساجد التي بنيت عندئذ وصغر حجمها (على سبيل المثال مساجد القسطل وأم الوليد وخان الزبيب). ولم يستثنى المسيحيون من المراكز الرسمية، إذ اتبع الساسة العقلاء سياسة متسامحة تجاه الأغلبية المسيحية. كانت أولوية نظام الحكم الإسلامي الجديد الحفاظ على النظام والأمن الاجتماعي في سبيل الحفاظ على النمو والأمن الاقتصادي، ولم يكن ذلك ممكناً إلا باتباع سياسات اللين والتسامح التي أدت إلى مساهمة المسيحيين وبشكل كبير في تشكيل الفن والثقافة الإسلامية.

ولا بد هنا من ذكر سريع لتشويه صور



واجهة كهف أهل الكهف، عمان (الرجيب).

الكائنات الحية على العديد من الأرضيات الفسيفسائية، والذي يعزى أحياناً لمرسوم أصدره الخليفة الأموي يزيد الثاني عام 102 / 721 (أنظر "حركة مناهضة الصور والأيقونات"). لم يذكر هذا المرسوم سوى في بعض الكتابات المسيحية من مصر، ولم تذكره المصادر العربية المبكرة، مما يستدعي الشك في صحته. وفي نهاية الأمر، لا يوجد أي دليل على تشويه أو تخريب متعمد لتصاوير الأشكال البشرية العديدة على جدران قصير عمره رغم وجوده بالقرب من الموقر، مسكن يزيد الثاني الرسمي.

(غازي بيشه)

2-1 عمّان

2-1أ كهف أهل الكهف

يقع الكهف في منطقة الرجيب على بعد حوالي 7كم جنوبي وسط عمان و4كم شرقي تقاطع التلفزيون الأردني على الخط الصحراوي.
التاكسي أو السيارة أفضل وسيلة للوصول إليه وتستغرق الطريق حوالي 15 دقيقة، ويستغرق السرفيس من الوحدات باتجاه جنوب عمان وقتاً أطول من ذلك بقليل.

يقع "كهف أهل الكهف" في ضاحية الرجيب جنوب شرقي عمان، وهو محفور في مرتفع صخري ضمن مقبرة تضم عدداً من المدافن الرومانية المتأخرة والبيزنطية من طراز الأركوسوليا أو تلك المحتوية على حنيات عميقة تتقدمها عقود. حكاية أهل الكهف معروفة في العالم وذكرت في المصادر السريانية واللاتينية واليونانية، وهي قصة شبان مسيحيين أتقياء لاحقهم الإمبراطور الروماني الوثني بسبب إيمانهم وأنقذهم الله من الموت بجعلهم ينامون في كهف مدة وصلت عدة قرون (ذكر القرآن



كهف أهل الكهف، تجويف مقبى فيه تابوتين مزخرفين، عمان (الرجيب).

الكريم أنهم لبثوا بالكهف 309 سنوات والله أعلم بما لبثوا)، وعندما استفاقوا كان السكان حولهم قد اعتنقوا المسيحية، وأثبت بعثهم قدرة الخالق عز وجل على إحياء الروح والجسد، ووجد هذا التجسيد المسيحي للإيمان في الإسلام، إذ ذكرت القصة في القرآن الكريم في سورة الكهف بدءاً بالآية: "أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً".

بنيت كنيسة صغيرة فوق الكهف في بداية القرن السادس الميلادي، وحولت فيما بعد إلى مسجد. لا زالت قواعد أعمدة صحن الكنيسة موجودة لكن تم وضع مدخل المسجد في الشرق عند محراب الكنيسة، وبني مسجد آخر في المنطقة المقابلة لمدخل الكهف التي أحيطت بالجدران وجعل المحراب في الجدار الجنوبي، وتمت إعادة بناء هذا المسجد عدة مرات من ضمنها إعمار في عام 277/890-891. يتم دخول الكهف عبر باب ضيق وثلاث درجات منحوتة بالصخر، وهنالك خمس دوائر فوق المدخل تحوي الوسطى منها على صليب يوناني، وتحيط بالمدخل أعمدة منحوتة وكوتين، أما داخل الكهف فيوجد تجويفين معقودين يحوي كل منهما على ثلاث توابيت مزخرفة بنحت بارز وأشكال مربعات متداخلة تشكل نجمات ثمانية، إضافة إلى الزخارف الكلاسيكية الهندسية.

(غازي بيشه)

2-2 مأدبا

تقع مدينة مأدبا على بعد 30كم إلى الجنوب الغربي من عمان، وتصلها المواصلات العامة من مجمعات الوحدات ورغدان والعبدلي مروراً بطريق المطار، وهنالك طريق أخرى جميلة عبر ناعور وحسبان. للاستعلامات: مكتب سياحة مأدبا هاتف 05-3243376 ومكتب آثار

مأدبا *05-3244056* أو *05-3244189.*

تعود أصول مدينة مأدبا إلى الفترات القديمة، لكن ما يميز "مدينة الفسيفساء" هذه هو كونها أضحت في الفترة البيزنطية مركزاً لأسقفية ومدرسة لإنتاج اللوحات الفسيفسائية. كانت مأدبا في الفترة الرومانية-البيزنطية ضمن الولاية العربية التي أوجدها الإمبراطور تراجان عند الاحتلال الروماني للمنطقة. وبعد الفتح العربي الإسلامي في بداية القرن الأول الهجري / السابع الميلادي وعبر الفترة الأموية، أصبحت مأدبا جزءً من البلقاء التي تبعت جند دمشق. وتشير الدلائل الأثرية والتاريخية إلى انحسار عدد سكان المدينة وأهميتها بعد القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. ابتدأ البحث الأثري في المدينة بعد عام 1880 عندما رحلت إليها تسعون عائلة مسيحية من الكرك ومعهم راهبين إيطاليين من بطريركية القدس اللاتينية.

(لارا طعمة)

2-2أ متحف آثار مأدبا

يقع في وسط مدينة مأدبا، يفتح أبوابه من 9 صباحاً - 5 مساءً في الصيف، ومن 9 صباحاً - 4 مساءً خلال فترة الشتاء والعطل الرسمية وشهر رمضان. هنالك رسم دخول باستثناء المجموعات المدرسية. للاستعلامات: متحف آثار مأدبا 05-3244056 أو 05-3244189.

يوجد المتحف ضمن مجموعة بيوت تراثية ويعرض عدة جوانب من التراث الأردني، ويحتوي على قطع أثرية من منطقة مأدبا تشمل قطعاً أموية هامة خاصة من موقعي أم الرصاص وأم الوليد.

إبريق معدني من أم الوليد (رقم 668)

يبلغ ارتفاع هذا الإبريق المصنوع من البرونز المخلوط بالرصاص 14سم، وهو على شكل حيوان يذكرنا بجمل حامل لهودج. للإبريق ثلاثة أرجل لوضعه على الجمر وتسخين محتوياته التي كانت تصب عبر فوهة "فم الجمل". يعود هذا الإناء المعدني للفترة الانتقالية ما بين الحكم الأموي والعباسي أي ما بين القرنين الثاني والثالث الهجري / الثامن والتاسع الميلادي.

إبريق برونزي صغير، أم الوليد، متحف آثار مأدبا (رقم 668).



جرة فخارية من أم الوليد (رقم 793)

تتميز هذه الجرة الأموية باكتمالها وندرة تزجيجها الأخضر السميك. ابتدأ التزجيج الأخضر بالظهور في تلك الفترة وربما كانت هذه الجرة جزءاً من طقم سفرة فاخر أو قطعة نادرة تعرض على طاولات المآدب الفاخرة كتلك المصورة على جدران قصير عمرة من نفس الفترة. شكل الجرة شبيه بأواني الفترة الكلاسيكية وهو قريب من الأشكال اليونانية السابقة. هذه الجرة مستوردة، ربما من العراق حيث كانت الفخاريات الإسلامية المزججة غالية الثمن وكانت تصدر إلى كافة أسواق منطقة شرق البحر المتوسط.



جرار فخارية برسوم زخرفية من أم الوليد (أرقام التسجيل 659 - 661)

صنعت هذه الجرار الثلاث من عجينة ضاربة للون البرتقالي ورسمت عليها أشكال هندسية باللون الأحمر الداكن، وقد ظهر هذا النوع من الفخار بدايةً في أواخر الفترة الأموية وأصبح فيما بعد مميزاً لإنتاج الفاخوريين في الفترة العباسية (القرن الثاني-الثالث الهجري / الثامن-التاسع الميلادي). نفذت الرسومات بفراش عريضة ويبدو من خطوطها العريضة المتموجة التي ينقصها الدقة أن سرعة الإنجاز كانت هامة بالنسبة لصانعها وهي مغايرة بذلك لمنتجات الفترات الكلاسيكية. في الوقت الذي ظهر فيه هذا النوع من الفخار، بدأ إنتاج الفخاريات المزججة دقيقة الصنع والتي زادت أهميتها في حين ساءت صناعة الفخاريات

جرة فخارية من أم الوليد، متحف آثار مأدبا (رقم 793).

جرار مزخرفة بالرسومات من أم الوليد، متحف آثار مأدبا (أرقام 659 – 661).

المزخرفة بالطلاء.

العتبة العليا لباب عليه مشهد صيد من أم الوليد

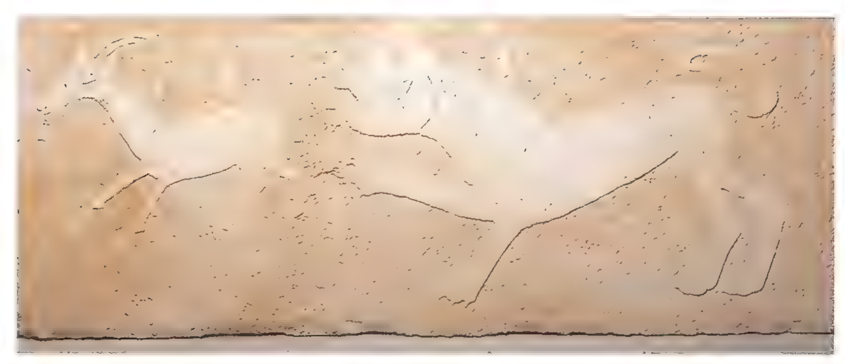
كان مشهد الفهد مطارداً الغزال، والمنحوت بالجص، يزين بوابة الغرفة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الأموي في أم الوليد. هذا العمل الفني النادر ثنائي الأبعاد يبدو كلوحة مرسومة أكثر منه نحتاً، ولتقدير التباين ما بين الأسطح الملساء المحفورة والخلفية الخشنة للمشهد لا بد من رؤيته في المكان الذي كان فيه أصلاً، أي على بعد كاف من الناظر ليمكنه من مشاهدة التباين القوي في الأشكال. ويذكرنا التلاعب المقصود بالضوء والظل، وحتى أشكال الحيوانات ذاتها، بـ"مسرح عرائس الضوء" الذي اكتسب شعبية كبيرة في الفترة الإسلامية المتأخرة، كما يذكرنا المشهد بالحيوانات التي كانت موجودة بالبرية خلال الفترة الأموية والتي كانت تنظم الرحلات لصيدها.

(إينا كيربرج)

2-2ب القديس جورجيوس، كنيسة الخريطة

تقع الكنيسة في وسط المدينة بالقرب من استراحة مأدبا السياحية، وتفتح أبوابها من الساعة 8 صباحاً – 6 مساءً مع وجوب مراعاة أن الكنيسة مستخدمة لإقامة الصلوات والشعائر الدينية.

تعود خريطة مأدبا الفسيفسائية إلى القرن السادس الميلادي، ويعد اكتشافها في كانون الأول/ ديسمبر من عام 1896 أثناء بناء كنيسة القديس جيورجيوس للروم الأرثوذكس أحد أهم الاكتشافات الأثرية في مأدبا. تقع الكنيسة إلى الشمال الغربي من الشارع الروماني الذي تم التنقيب عن جزء منه (أنظر "المتنزه الأثري"). كانت الخريطة في الأصل تمثل المنطقة الممتدة من دلتا النيل في مصر جنوباً إلى الساحل السوري شمالاً بما فيه مدن صور وصيدا، ورغم أنه لم يتبق من هذه الخريطة سوى ربعها إلا أنها تمثل أحد أهم المكتشفات الأثرية في الشرق الأوسط وتأتي



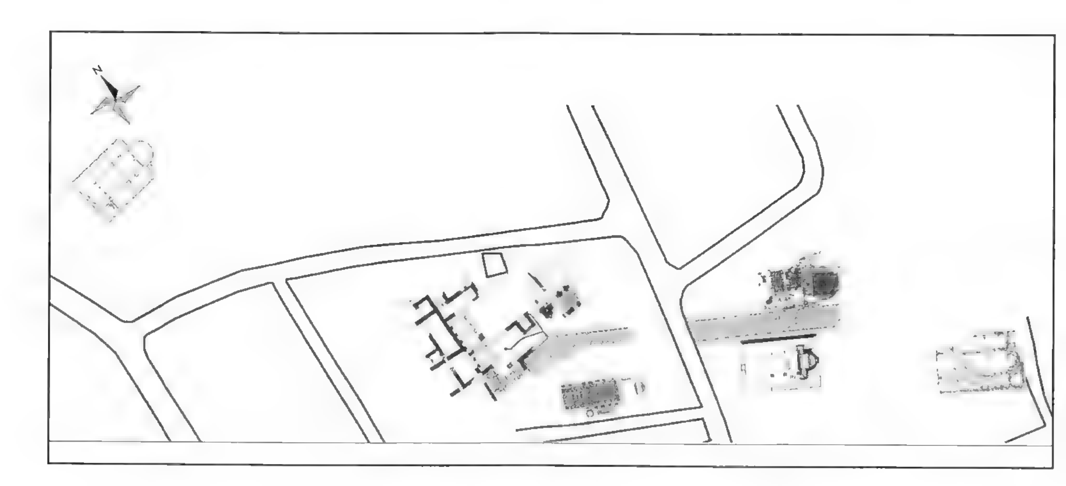
العتبة العليا لباب عليه مشهد صيد من أم الوليد، متحف آثار مأدبا.

أهميتها من التفاصيل الموجودة فيها ودقتها في تحديد مواقع المدن والجبال والوديان، وبالتالي فإنها وثيقة مهمة لجغرافية الكتاب المقدس والتي يبدو أنها اعتمدت على المعجم الجغرافي الذي ألفه يوسيبيوس في القرن الرابع الميلادي، وربما قصد بها إرشاد حجاج الأراضي المقدسة. تحوي الخريطة على 157 نصاً يونانياً مع تصاوير الأماكن المقدسة الهامة. وضع رأس الخريطة في الشرق، ويشكل نهر الأردن والبحر الميت محورها الرئيس. أبرز ما في الخريطة تصوير مدينة القدس بتفاصيلها، إذ يمكن تمييز الأسوار والشارع المعمد القاطع للمدينة من الشمال للجنوب (أي من اليسار لليمين على الخريطة) والأبنية الرئيسة المحاذية له، بما فيها كنيسة القيامة التي بناها الإمبراطور قسطنطين بالإضافة إلى كنيستين كبيرتين عند نهاية الشارع الجنوبية (الكنيسة الجديدة Nea وكنيسة صهيون). تم تمثيل مدينة القدس في الوسط لتبدو كمركز العالم المسيحي، هذا وقد نفذت التفاصيل في باقي الخريطة بدقة متناهية، إذ تبدو الأسماك السابحة في نهر الأردن، وقاربين في البحر الميت، وأشجار النخيل في أريحا، بالإضافة إلى الوديان الجانبية والجبال المحاذية للبحر.

(لارا طعمة)



كنيسة القديس جورجيوس، الخريطة الفسيفسائية، تصوير القدس، مأدبا.



مدينة مأدبا (عن Piccirillo, 1991).

2-2ج المتنزه الأثري

يقع المتنزه في وسط مدينة مأدبا، على بعد 300م غربي كنيسة الخريطة ويحتوي على مواقع أثرية. يفتح المتنزه أبوابه من الساعة 8 صباحاً – 6 مساءً في الصيف، ومن 8 صباحاً – 5 مساءً في الشتاء، ومن 10 صباحاً – 4 مساءً أيام العطل الرسمية. يشمل رسم الدخول زيارة المتنزه الأثري والمتحف وكنيسة الرسل. يضم المتنزه "مدرسة الفسيفساء" وأربع كنائس وجزء من الشارع الروماني. للاستعلامات: متنزه مأدبا الأثري 05-3246681.

يحتل وسط مدينة مأدبا متنزه أثري يمتد بمحاذاة جزء من الشارع الروماني المبلط (دكيومانوس) الذي يقطع المدينة من الشرق إلى الغرب. يضم المتنزه عدداً من الأبنية المدنية والدينية التي تعود بتاريخها إلى الفترتين البيزنطية المتأخرة والأموية، وهي كنيسة العذراء وقاعة هيبوليتوس، كنيسة النبي إلياس وقبو القديس إليانوس، كنيسة الخضر، القصر المحروق وكنيسة عائلة الصناع، كذلك يعرض في المتنزه مجموعة رائعة من اللوحات الفسيفسائية المكتشفة في منطقة مأدبا ومن ضمنها جزء من أقدم أرضية فسيفسائية اكتشفت في الأردن تعود لنهاية القرن الأول قبل الميلاد وجدت في "قلعة المشنقة" في مكاور. ومن اللوحات الفسيفسائية المعروضة الأرضية العلوية من كنيسة ماسوح (القرن السادس الميلادي)، ولوحات تمثل عدداً من مدن المنطقة وجدت بماعين في أرضية كنيسة تعود بتاريخها إلى سنة 719/720م أي إلى الفترة الأموية، وقاعة هيبوليتوس من مأدبا (القرن السادس الميلادي).

أنشئ ضمن المتنزه فوق **كنيسة العذراء** والأجزاء الباقية من قاعة هيبوليتوس مظلة / مبنى لحماية أرضياتها الفسيفسائية، وفي الداخل ممرات علوية للزوار. بنيت الكنيسة في



كنيسة أكروبوليس ماعين، تمثيل جادور (السلط)، متنزه مأدبا الأثري.



كنيسة العذراء، الكتابة في وسط الأرضية، متنزه مأدبا الأثري.

أواخر القرن السادس في موقع كان يحتله معبد روماني من نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي كان قد أضيف له قاعة في بداية القرن السادس (قاعة هيبوليتوس). تغطي الفسيفساء الجميلة أرضية صحن الكنيسة المستدير الذي كان قد بني فوق مصطبة المعبد الروماني. تعود الزخارف النباتية المحيطة بإطار الفسيفساء الخارجي إلى نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي، أما زخرفة صحن الكنيسة فتعود بتاريخها إلى سنة 767م أي بداية الفترة العباسية – زمن ثيوفانوس أسقف مأدبا.

تحتوي **قاعة هيبوليتوس** على فسيفساء كان جزءاً من أرضية منزل من القرن السادس الميلادي تم التنقيب عنه عام 1982. تتكون الأطر الخارجية من لفيفات الأكانثوس ومشاهد الصيد، وتجسيد للفصول الأربعة في الزوايا. وعند الجدار الشرقي خارج إطار الفسيفساء الرئيسة، جسدت كل من مدن روما وغريغوريا ومأدبا على هيئة إلهة الحظ تايكي جالسة على العرش وحاملة الصليب الذي يعلو عصا طويلة، يحاذيهن من جهة إطار دائري فيه ثلاثة صنادل تحيط بها أربعة طيور، ومن الجهة الأخرى مخلوقات خرافية وطيور مختلفة. يتكون جزء الفسيفساء الأوسط من ثلاثة شرائط، تظهر في الشريط الأسفل تصاوير الأزهار والطيور، وفي الأوسط شخصيات من التراجيديا الإغريقية "فيدرا وهيبوليتوس" (كما سردها يوريبيد، ومن هنا اسم القاعة) وتدل الكتابات اليونانية المرافقة على شخصيات الرواية. دمر جزء من الأرضية الفسيفسائية عندما قسمت القاعة إلى غرفتين في وقت لاحق. صور الشريط العلوي مشهداً فيه الإلهة أفروديت وأدونيس ومعهم عدد من الكيوبيد (أطفال مجنحون) وإلهات الحسن.

تقع كنيسة العذراء وقاعة هيبوليتوس إلى الشمال مباشرة من الشارع الروماني

قاعة هيبوليتوس، تشخيص لمدن روما وغريغوريا ومأدبا، متنزه مأدبا الأثري.





قبو القديس إليانوس، منبسط الدرج الجنوبي، متنزه مأدبا الأثري.

(دكيومانوس) الممتد من الشرق إلى الغرب وكان يصل بين بوابتين من بوابات المدينة. كان يغطي الشارع المبلط في الفترتين البيزنطية والأموية طبقة مرصوصة من التراب. أما الأعمدة التي كانت تحاذي الشارع فقد أعيد استعمالها في مبان لاحقة.

تقع **كنيسة النبي إلياس** إلى الجنوب من الشارع المبلط مقابل كنيسة العذراء. اكتشفت هذه الكنيسة عام 1897 حين تم كشف عن جزء من أرضيتها الفسيفسائية مقابل الدرج المؤدي إلى الحنية المخصصة لقساوسة الكنيسة والتي احتوت على كتابة تكريسية للنبي إلياس والتاريخ 607 / 608م. تعرضت الكنيسة للخراب في مطلع القرن العشرين ولم يتبق منها اليوم سوى حنية المذبح وآثار الأرضيات الفسيفسائية في أروقتها. أما قبو القديس إليانوس فيقع أسفل حنية المذبح وفيه بقايا فسيفساء وكتابة مؤرخة لعام 595 / 596م. كذلك يحتوي المتنزه الأثري على **كنيسة الخضر وكنيسة الصناع والقصر المحروق**. تعرضت كنيسة الخضر (أو كنيسة الشهداء)، والتي بنيت في القرن السادس الميلادي على النظام البازيليكي، لتشويه الأشكال الآدمية والمخلوقات الحية فيها خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، إلا أن الكثير من أرضيتها الفسيفسائية التي تصور مناظر الصيد وتلك المستوحاة من الحياة الريفية ما زال موجوداً. بنيت كنيسة الصناع الصغيرة (نسبة إلى العائلة التي كانت تسكن المنزل الذي أقيم عند الكنيسة) بدورها



القصر المحروق، مشهد صيد، متنزه مأدبا الأثري.

في القرن السادس الميلادي، وفيها ثلاثة أروقة وحنية وسطى. لم تتبق من الأرضيات الفسيفسائية سوى تلك الموجودة في الرواق الجنوبي، وأجزاء صغيرة في الرواق الشمالي وحنية المذبح. أما المبنى المسمى بـ"القصر المحروق" (للعثور على طبقات سميكة من الرماد فوق أرضياته) فهو بناء سكني ضخم يقع إلى الشمال من الشارع الروماني مقابل

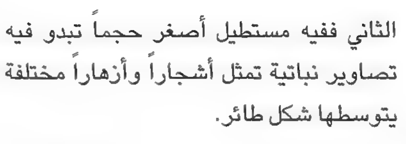


كنيسة الرسل، قناع ضمن لفائف نباتية في إطار الفسيفساء، مأدبا.

كنيسة الخضر، ويعود تاريخه إلى نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي، وربما كان الحريق الذي دمره مرتبطاً بزلزال عام 131/749. يحتوي المتنزه بالإضافة إلى كل هذه المباني والمنشآت على مدرسة الفسيفساء وهي مشروع أردني–إيطالي مشترك يهدف إلى تدريب الطلبة في فن صناعة الفسيفساء وترميمها، لكنها ليست مفتوحة للجمهور.
(لارا طعمة)

2–2د كنيسة الرسل

يغطي مبنى حديث كنيسة الرسل الواقعة في طرف مدينة مأدبا الجنوبي لوقايتها وحماية أرضياتها الفسيفسائية. اكتشفت الكنيسة عام 1902 ووجدت كتابة فقدت الآن في غرفة عند طرف الكنيسة الشرقي دلت على بنائها عام 578م وعلى أنها كرست للرسل. زخرف إطار الأرضية الفسيفسائية الكبيرة في صحن الكنيسة بأوراق الأكانثوس الملتفة والتي تحيط بإطارات هندسية تحتوي على أشكال طيور وحيوانات مختلفة. توجد في وسط الصحن دائرة تحتوي على تجسيد البحر "ثلاسا" على شكل امرأة منبثقة من الأمواج ومحاطة بالأسماك ووحوش البحر. أما رواقي الكنيسة الجانبيين فقد زخرفا بالأشكال الهندسية. يوجد مصليين صغيرين في جهة الكنيسة الشمالية، يحوي أحدهما على فسيفساء مكونة من أربع شجرات متجهة للمركز بينها مثلثات في كل منها حيوانين، وفي القمة كتابة تكريسية تذكر "كنيسة الرسل القديسين"، أما المصلى



الثاني ففيه مستطيل أصغر حجماً تبدو فيه تصاوير نباتية تمثل أشجاراً وأزهاراً مختلفة يتوسطها شكل طائر.

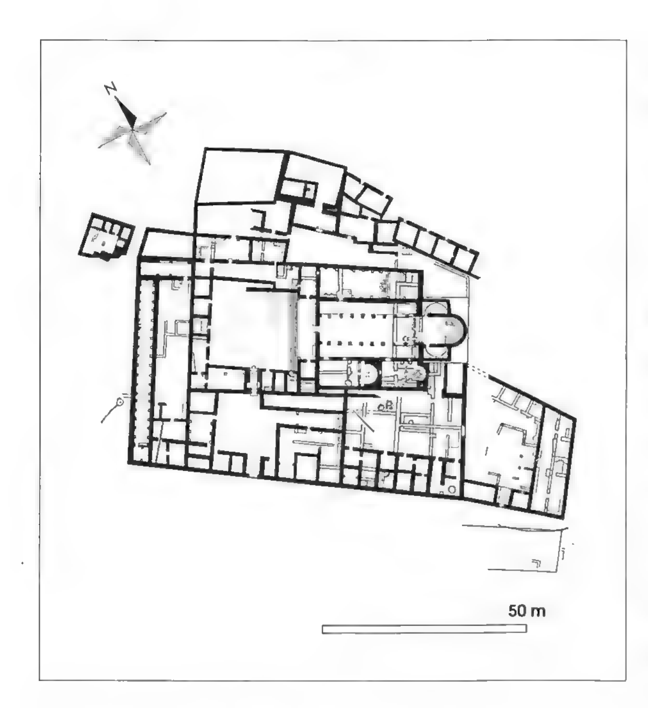
(لارا طعمة)

3-2 جبل نبو (صياغة)

يقع على بعد 10كم إلى الشمال الغربي من مأدبا ويمكن الوصول إليه بالسيارات الخاصة أو التاكسي. يفتح الموقع أبوابه يومياً من الساعة 8 صباحاً – 5 مساءً وهنالك رسماً للدخول.

يقع جبل نبو إلى الشمال الغربي من مأدبا ويحده وادي العفريت من الجنوب الشرقي ووادي عيون موسى من الشمال. يبلغ ارتفاع أعلى نقطة في الجبل 800م فوق سطح البحر، أما القمم الأخرى فهي أقل انخفاضاً وتعتبر قمة صياغة الغربية وقمة المخيط الجنوبية الشرقية أهمها تاريخياً. يطل المرء من جبل نبو على مساحات شاسعة من غور الأردن والبحر الميت وجبال فلسطين إلى الغرب، كما يمكن مشاهدة الجبال المحيطة بعمان وحدود مرتفعات حسبان وجبل المشقر. وعند صفاء الجو، بالإمكان مشاهدة بيت لحم وبجانبها الجبل المخروطي حيث بنى هيرودوس قلعته، إضافة إلى أبراج ومباني القدس من جبل الزيتون وحتى رام الله.

سكن البشر جبل نبو منذ آلاف السنين، كما يستدل من نصب الدولمن والمنهير (نصب حجرية كبيرة) التي أقيمت على سفحه، إضافة إلى الأدوات الصوانية والقبور والقلاع التي تعود لعصور مختلفة. إلا أن شهرة جبل نبو مرتبطة بموت النبي موسى ودفنه كما ذكر في سفر التثنية: 34. حتى القرن الرابع الميلادي، كان اسم "نبو" يطلق أيضاً على القرية المحصنة الموجودة على قمة المخيّط، والتي ذكرت في العهد القديم مع مدن أخرى في مؤاب. وفي نهاية القرن الرابع الميلادي بنى أهل المنطقة المسيحيون كنيسة على قمة صياغة كتذكار للنبي موسى ، وأصبحت فيما بعد محجاً للمسيحيين من كافة الأقطار، فعلى سبيل المثال ورد وصف مطول **لكنيسة النبي موسى** على جبل نبو و "عيون موسى"

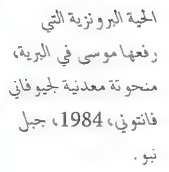


مخطط كنيسة النبي موسى ومحيطها، جبل نبو (عن Piccirillo, 1986)



مصلى المعمدانية الشمالية، رجل يقود جملًا مرقطًا، 530 | 531م، جبل نبو.





الحية البرونزية التي رفعها موسى في البرية، منحوتة معدنية لجيوفاني فانتوني، 1984، جبل نبو.

بالقرب منها لدى كل من إيجيريا التي حجت للأراضي المقدسة ما بين عامي 381 و384م، وبطرس الأيبيري أسقف غزة (في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي) ووصفوها بالتفصيل.

ابتدأت التنقيبات الأثرية في جبل نبو عام 1933 وما زالت مستمرة للآن، وقد كشفت الحفريات عن كنيسة القرن الرابع التي كانت مربعة ولها ثلاثة حنيات نصف دائرية مبنية بحجارة كلسية كبيرة وأمامها ممر، وغطت أرضيتها الفسيفسائية قبوراً في الأسفل، وجاورها مصليين جنائزيين. بالإمكان مشاهدة أجزاء من فسيفساء القرن الرابع قرب المذبح وفيها صليب وضع عند البقعة التي كان يعتقد أن النبي موسى توفي فيها. كانت تتقدم الكنيسة ساحة مكشوفة يحدها ممر من الشمال يصل إلى مصلى صغير ومعمدانية تضم حوضاً للتعميد اتخذ شكل الصليب.

تم إعادة بناء الكنيسة وتوسعتها في زمن سرجيوس أسقف مأدبا، حين اتبعت الكنيسة في مخططها النظام البازيليكي المؤلف من ثلاثة أروقة (صحن وجناحين)، وأصبحت الكنيسة القديمة التي زارتها إجيريا وبطرس الأيبيري البقعة المخصصة لقساوسة الكنيسة عند إقامة الشعائر الدينية. أنجز العمل في المرحلة الأولى من البناء عام 597م حسب الكتابة في أرضية المعمدانية الفسيفسائية، وزخرفت جدران وأرضيات البازيليكا بالفسيفساء وصارت تحاط بالمصليات الصغيرة. يعرف المصلى الواقع إلى الغرب من المعمدانية في الجهة الجنوبية باسم **"مصلى الأم المقدسة"** (العذراء)، هنا يمكن مشاهدة شريط مستطيل يمتد أمام حنية المذبح في وسطه منظر لمذبح تعلوه قبة صغيرة داخل إطار معقود، ربما كان رمزاً أو إشارة لمذبح الهيكل في القدس، وبجانب المذبح وضع ثورين شوهت معالمهما. تم رفع

معظم أرضيات البازيليكا الفسيفسائية حفاظاً عليها وهي معروضة الآن على جدران المبنى الحديث المحيط ببازيليكا القرن السادس. وبقي نصب موسى التذكاري مرفوعاً بجوار المنبر في الناحية الشرقية من الرواق الجنوبي.

جرى توسيع الدير المجاور للكنيسة خلال عمليات الإعمار المتتالية فيها، ووصل الدير لأكبر مساحة توسع له خلال القرن السادس الميلادي حين توزعت حجرات الرهبان في مجموعات حول ساحات عدة محيطة بكنيسة النبي موسى، وكان يقطنه المئات من الرهبان والحجاج، وهجر هذا الدير في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

يوجد دير صغير حالياً إلى الجنوب الغربي من الدير البيزنطي يقطنه الرهبان الفرنسيسكان وعلماء الآثار العاملين في الموقع. وفي الساحة التي تتقدم الكنيسة توجد حية ملتفة حول عصا حديدية صنعها جيوفاني فانتوني من فلورنسا (إيطاليا)، وهي ترمز إلى الحية البرونزية التي رفعها موسى في الصحراء والمسيح على الصليب كما ورد في إنجيل يوحنا (3: 14-15): "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية".

(لارا طعمة)

2-4 أم الوليد

تقع آثار أم الوليد على بعد 15كم جنوب شرق مأدبا، وبالإمكان الوصول إليها بسيارات التاكسي أو باصات النقل العام من مجمع سفريات مأدبا. للاستعلامات: مكتب آثار مأدبا 05-3244056 أو 05-3244189.

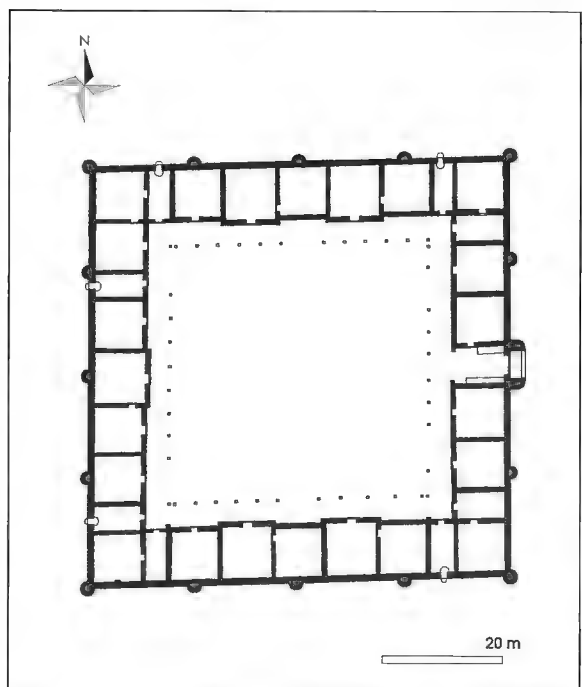
يغطي موقع أم الوليد الأثري تلاً صغيراً طوله حوالي 40م، وفيه مسجد وقصر في الناحية الشرقية، وقصر آخر في الوسط، ومعبدين رومانيين وقصر ثالث في الغرب. ابتدأ السكن في الموقع خلال العصر البرونزي إلا أن التنقيبات الأثرية ركزت على الفترة الأموية، وبشكل خاص على القصر الشرقي والمسجد الذين ربما كانا قد بنيا في نهاية القرن الأول الهجري / العقد الأول من القرن الثامن الميلادي.

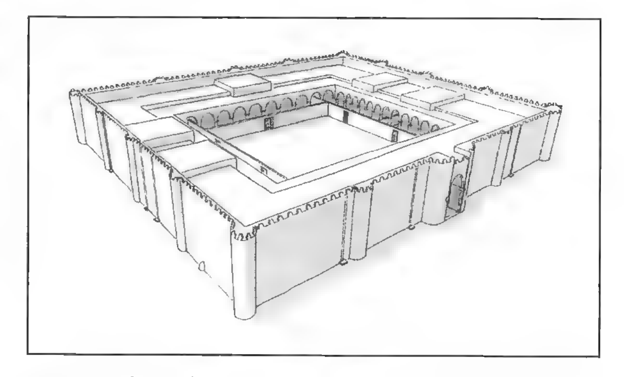


مصلى الأم المقدسة (العذراء)، تصوير لمذبح فوقه قبة صغيرة ضمن إطار معقود، جبل نبو.

مخطط القصر الشرقي في أم الوليد، بداية القرن الثاني الهجري | الثامن الميلادي (عن Bujard, ADAJ 41, 1997).

رسم إعادة تصور القصر الشرقي، بداية القرن الثاني الهجري | الثامن الميلادي، أم الوليد (بإذن من J. Bujard).





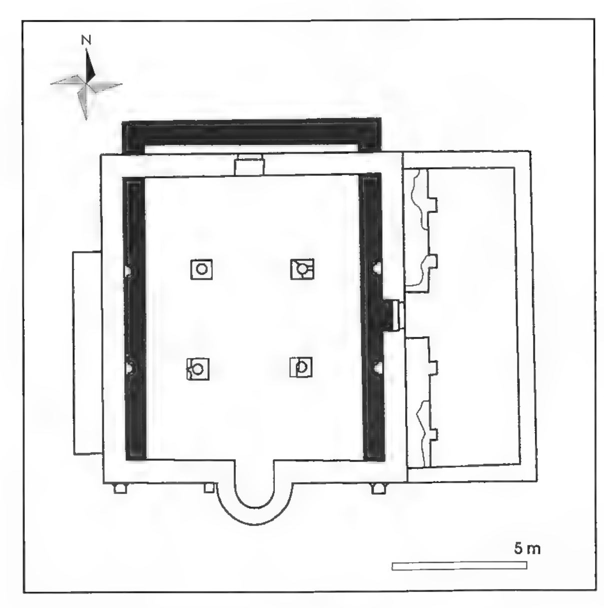
يتخذ القصر الشرقي شكلاً مربعاً طول ضلعه 71م، ويدعم كل سور من أسواره المحيطة ثلاثة أبراج نصف دائرية بالإضافة إلى تلك المقامة في الزوايا. وتوجد بوابة القصر الوحيدة في برج رابع في وسط الواجهة الشرقية، أما داخل القصر فيتكون من خمسة بيوت مستقلة تحيط بساحة مركزية، ويتكون كل بيت من أربع أو خمس غرف. كشفت التنقيبات الأثرية عن عدة مراحيض وأقنية تصريف داخل القصر، وكانت بعض غرف البيوت مغطاة بطبقة من القصارة (وربما كانت مزينة بالرسومات الجدارية) والجص المحفور. لم يتبق من الزخارف الجصية المحفورة سوى اللوحة التي تمثل منظر فهد يصطاد غزالاً من على عتبة كانت تعلو باباً في البيت الشمالي الغربي (أنظر "متحف آثار مأدبا"). عثر على العديد من الآنية الفخارية والبرونزية الأموية خلال التنقيبات الأثرية، إضافة إلى عدد من أدوات الطبخ وطاحونة مصنوعة من البازلت.

يقع المسجد الأموي في أم الوليد على بعد 60م تقريباً إلى الشرق من القصر. كشفت التنقيبات عن وجود مسجد أصغر وأقدم في الموقع يعود تاريخه إلى ما قبل بناء القصر مما يدل على وجود سكان مسلمين في قرية أم الوليد عندئذ،



غطاء مبخرة برونزي من أم الوليد، متحف آثار مأدبا (رقم 667).

مخطط المسجد الأموي، بداية القرن الثاني الهجري | الثامن الميلادي، أم الوليد (عن Bujjard, 1992).



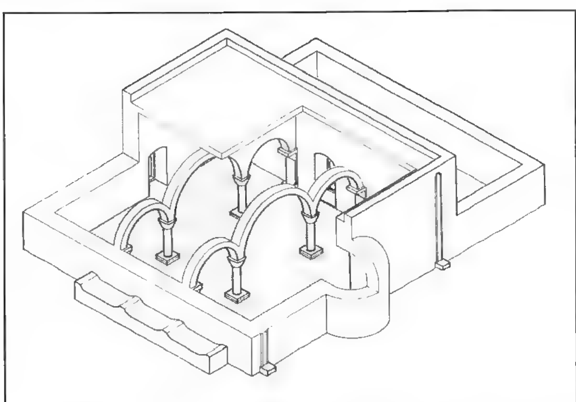
أما المسجد الثاني فهو توسعة للأول وله مدخلان أحدهما في الشمال والآخر في الشرق، ومحراب شبه دائري. ربما كان هذا المسجد قد بني في نفس وقت بناء القصر الشرقي، إذ أن مواد بنائهما وزخرفهما متشابهين. قسم داخل المسجد إلى ثلاثة أروقة متساوية تقريباً بواسطة صفين من الأعمدة يحمل كل منهما ثلاثة عقود.

يعود السبب وراء انحسار السكن في أم الوليد ومن ثم هجرتها في القرن الرابع / العاشر بشكل رئيس إلى انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد، وبالتالي تحول طرق التجارة والمواصلات الرئيسة عنها.

(لارا طعمة)

القناطر (زيارة اختيارية)

الموقع على بعد مسيرة حوالي 2كم عن أم الوليد. للوصول بالسيارة لا بد من العودة إلى الطريق الرئيسة من أم الوليد والاتجاه نحو الجيزة. للاستعلامات: مكتب آثار مأدبا 05-3244056 أو 05-3244189.



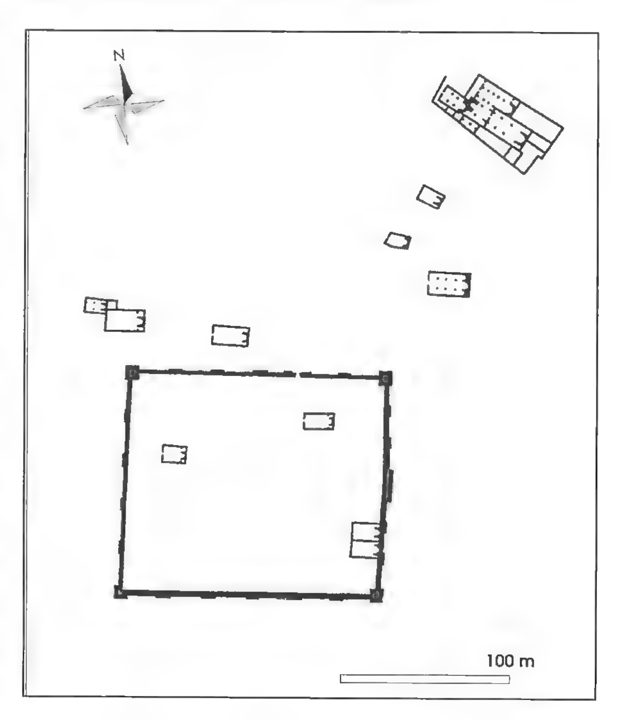
رسم إعادة تصور المسجد الأموي، بداية القرن الثاني الهجري | الثامن الميلادي، أم الوليد (بإذن من J. Bujard).

أطلق اسم القناطر على سدين حجريين ضخمين جنوب القسطل وبلدة زيزيا، استخدما لجمع وتخزين مياه الأمطار خلال أشهر الصيف. لا يمكن تأكيد تاريخ بنائهما لكنه يرجح نسبتهما إلى الفترة الأموية.

السد الشمالي الغربي هو الأطول وقد بني عبر واد بطول 187م وارتفاع 7م، ويتراوح عرضه ما بين 3.10-5.10م. كان وسط السد هو الجزء الأكثر سمكاً لكنه دمر الآن بينما بقيت على الجانبين بوابتا التحكم بانسياب الماء. أما **السد الجنوبي الشرقي** فيقع على بعد حوالي 1كم من السد الأول، ويبلغ طوله 135م وارتفاعه 9م بعرض يتراوح ما بين

7.25 و8.20م، وتم تدعيم وسطه. ما زالت بطانة السد التحتية محفوظة في عدة أماكن وهي مصنوعة من الملاط الناعم ومحززة بخطوط مائلة ومتشابكة على شكل "حسك السمكة" لتثبيت البطانة العلوية الملساء. بالإمكان مشاهدة مثل هذه التحزيزات في عدد من المباني الأموية مثل قصر الحلابات. توجد بقايا مبنى صغير (أبعاده 10.20 × 13.50م) على مسافة قصيرة من السد وربما كان لحراسته. للسدين على الجانبين فجوات تصريف للتخلص من المياه الزائدة. أسلوب بناء السدين متشابه، يتألف من واجهتين من الحجارة ملئ الفراغ بينهما بكتل حجرية صغيرة ومونة جيرية بينما غطيت إحدى الواجهتين بطبقة ملساء من القصارة عازلة للماء، ومن المحتمل أن بعض الكتل الحجرية المستخدمة في بناء السدين كانت قد نقلت من مبانٍ قريبة وأعيد استعمالها.
(لارا طعمة)

القصر، أم الرصاص (عن Piccirillo, 1993).



2-6 أم الرصاص

أدرج الموقع على قائمة اليونسكو للتراث العالمي عام 2005. تقع أم الرصاص على بعد 30كم جنوبي مأدبا، وبالإمكان الوصول إليها بالسيارة من أم الوليد وبباصات النقل العام المتوجهة من مجمع سفريات مأدبا جنوباً عبر نيبان. للاستعلامات: مكتب آثار مأدبا 05-3244056 أو 05-3244189.

تقع أم الرصاص في منتصف الطريق ما بين ذيبان على "طريق الملوك" والخط الصحراوي. يتكون الموقع من حصن مسوّر مساحته 158 × 139م كان قد استخدم كمعسكر لفيلق روماني، ومنطقة مكشوفة إلى الشمال بنفس مساحة الحصن تقريباً. يوجد على بعد 1300م تقريباً إلى الشمال برج بارتفاع 15م وبالقرب منه كنيسة وخزان ماء. ربما كان هذا البرج المرتفع الذي لا يحتوي على درج لارتقائه مسكناً لأحد الرهبان الذين كانوا يتنسكون لسنوات عدة على رأس عمود أو برج.

من المحتمل أن تسمية الموقع، وهو اسم حديث، مستقاة من أسوار الحصن، خاصة إذا أخذنا

بعين الاعتبار أن كلمة "رصّ" أو "مرصّص" تعني البنيان المرصوص. ركز علماء الآثار حتى الآن على طبيعة الموقع الدينية وكشفوا عن أربع كنائس داخل أسوار المعسكر و12 كنيسة خارجها.

كان الألماني أولريخ سيتزن أول الرحالة الأوروبيين الذين ذكروا اسم أم الرصاص إذ أخبره دليله البدوي عام 1807 عن وجود "خرائب عظيمة ... هي خرائب أم الرصاص" لكنه لم يقم بزيارتها. وزار الموقع فيما بعد عدد من الرحالة مثل: بكنغهام في 1816، وإيربي ومانغلز في 1818، وبالمر في 1870، وتريستام في 1872 تبعه فايليه الذي اقترح أن الأسوار الضخمة ربما كانت لمعسكر فيلق روماني، وعلى هذا الأساس اقترح غيرمر-دوران أن الموقع هو ميفعات المذكورة في التوراة والتي صارت فيما بعد محطة رومانية عسكرية اسمها "كاسترون ميفعه" (حصن أو قلعة ميفعه) حسب ما جاء في مؤلف يوسيبيوس القيصري من القرن الرابع الميلادي، إذ ذكر هذا المؤرخ أن وحدة من الجيش الروماني تمركزت على حافة الصحراء في ميفعات التي عرّفها بأنها إحدى مدن الملاذ التوراتية في مؤاب. وتذكر وثيقة رومانية إمبراطورية من القرن الرابع أيضاً أن خيالة احتياطيين في الجيش الروماني كانوا متمركزين في معسكر ميفعه تحت إمرة قائد الولاية العربية (Dux Arabiae). وذكر معسكر ميفعه في المصادر التاريخية العربية من القرن الرابع-الخامس الهجري / العاشر-الحادي عشر الميلادي باسم ميفعة. تأكدت الفرضية بأن موقع أم الرصاص هو "كاسترون ميفعه" خلال التنقيبات عام 1986، حين كشف عن ثلاث كتابات ذكر فيها "كاسترون ميفعه" على أرضيات فسيفسائية في كنيستين. من المحتمل أن القوات العسكرية تركت معسكر أم الرصاص الذي تحول إلى مدينة مكتظة بالسكان خلال القرن الخامس الميلادي.

سجل علماء الآثار حتى الآن أربع بنايات دينية



الكنيسة الصغيرة والبرج شمالي الحصن الروماني، أم الرصاص.



كنيسة الأسقف سيرجيوس، تشخيص لأحد الفصول الأربعة، أم الرصاص (بإذن من M. Piccirillo).

داخل أسوار المعسكر، حيث توجد كنيستان متجاورتان قرب السور الشرقي، وثالثة أمام البوابة الشمالية، ورابعة في الجزء الغربي. تم التنقيب عن الكنيستين المتجاورتين اللتان شيدتا بعد بناء سور المعسكر. تعرف الكنيسة الشمالية باسم **كنيسة الأنهر** وتؤرخ لعام 578/579م أو 593/594م. أما الكنيسة الجنوبية فتعرف باسم **كنيسة النخلة** وكان لكلاهما أرضيات فسيفسائية إلا أنها مخربة إلى حد كبير.

كشفت التنقيبات خارج الأسوار عن مجمع كنسي كبير محاط بسور ويحتوي على أربع كنائس، يعرف باسم **مجمع القديس إسطفان** نسبة لأكبر كنائسه. رصفت أرضيات كنيستين من هذه الكنائس بالفسيفساء ويعتبرهما علماء الآثار المبنيين الرئيسين في المجمع، وهما **كنيسة الأسقف سرجيوس والمعمدانية** الملحقة بها في الجهة الشمالية من المجمع، **وكنيسة القديس إسطفان** في الشرق. وأمام الكنيستين المتجاورتين توجد ساحة أقيمت فيها لاحقاً كنيسة ثالثة. أما الكنيسة الرابعة فقد أقيمت على مستوى أعلى في ناحية المجمع الجنوبية الغربية.

حنية المذبح في **كنيسة الأسقف سرجيوس** أعلى بدرجتين من الصحن ويحاذيها من الشمال غرفة الملابس وذخائر الكنيسة. يتم الوصول إلى الكنيسة عبر ساحة مبلطة بينما يفتح في الجدار الغربي بوابتان أحداهما تؤدي إلى مصلى المعمدانية المرصوفة بالفسيفساء التي تشكل ما يشبه رقعة الشطرنج، والثانية تطل على المصلى الجنائزي المرصوف بمكعبات الفسيفساء البيضاء. أما في حنية الكنيسة فنشاهد زخارف هندسية على شكل معينات، وأمام المذبح لوحة مستطيلة تحتوي على كتابة تؤرخ الكنيسة إلى سنة 587/588م. هذا ويلاحظ أن الأشكال الإنسانية والحيوانية العديدة في الأرضية الفسيفسائية قد تعرضت للتشويه المتعمد أثناء الحركة المعروفة بحركة مناهضة الصور والأيقونات (أنظر "حركة مناهضة الصور والأيقونات")، وبقيت فقط أسماء المتبرعين للكنيسة التي تدل على أصولهم العربية المحلية.

تقع **كنيسة القديس إسطفان** إلى الجنوب الشرقي وهي أعلى بمتر واحد من كنيسة الأسقف سرجيوس، وتعتبر من أهم المكتشفات الأثرية في الأردن بسبب أرضياتها الفسيفسائية وكثرة الكتابات فيها. مخطط الكنيسة شبيه بمخطط كنيسة الأسقف

سرجيوس وفيها حجرة للذخائر في الناحية الجنوبية من حنية المذبح، ومصلى فيه حنية أخرى في الشمال. تدل الكتابات التكريسية عند جانبي المذبح أن الكنيسة رصفت بالفسيفساء عام 138 / 756 من قبل حرفيي الفسيفساء ستاورانخيوس ويوريميوس. تعود أهمية الكتابة إلى أنها تدل على وجود جماعة مسيحية على درجة من الثراء في أم الرصاص بعد ستة أعوام من سقوط الخلافة الأموية وأكثر من قرن على بداية الحكم الإسلامي في المنطقة.

وتدل كتابة ثانية عند درج حنية المذبح بأن أرضية الكنيسة الفسيفسائية كانت قد رصفت سنة 101 / 721 – أي في خلافة يزيد بن عبد الملك. لهذين التاريخين (721، 756م) دلالة مهمة فهما يبينان بجلاء مدى روح التسامح الديني الذي كان سائداً في العصر الأموي، ووجود جماعة مسيحية منظمة على درجة من القدرة والثراء بحيث كان بإمكانها بناء مثل هذه الكنيسة ورصف أرضيتها بمكعبات الفسيفساء الملونة. للأسف فقد شوهت صور



كنيسة الأسود، حنية المذبح، أم الرصاص (بإذن من M. Piccirillo).



كنيسة القسيس وائل، صياد السمك، أم الرصاص (بإذن من M. Piccirillo).

المتبرعين للكنيسة ومشاهد الصيد والزراعة التي كانت تزين فسيفساء الصحن أثناء حركة مناهضة الصور والأيقونات وأصبحت معالمها غير واضحة، كذلك شوه إطار الأرضية المركزية الذي صور نهراً فيه أسماك وطيور وأزهار وقوارب وصبية يتصيدون السمك، إلا أنه ما زال يحتوي على صور تمثل عشر مدن في دلتا النيل عرفتها الكتابات المرافقة وهي: الإسكندرية، وكسين وتنيس وتامياس (دمياط)، وباناو وبيلوسين وأنتيناو وإيفاكليون وكينوبوليس وبسودوستومون، وتظهر مدن أخرى بأسمائها اليونانية على الإطارين الجانبيين، حيث توجد تصاوير لثماني مدن من غربي نهر الأردن في الإطار الشمالي وهي: القدس ونيابوليس (نابلس)، وسباستيس (سبسطيه)، وقيصرية على البحر، وديوسبوليس (اللد)، واليوثيروبوليس (بيت جبرين)، وعسقلان وغزة. إضافة إلى سبع مدن من الضفة الشرقية للنهر في الإطار الجنوبي وهي: كاسترون ميفعه (أم الرصاص)، وفيلادلفيا (عمّان)، ومادبا، واسبونتا (حسبان)، وبيليمونتا (ماعين)، وأريوبوليس (الربة)، وكرك موبا (الكرك). وصورت قريتين أخرتين هما ليمبون وديبلاتون على رأس الرواقين الجانبيين بجانب تصاوير المتبرعين والكتابات، بينما يرد في الكتابات اسم جبل نبو–فيسغا (صياغة) بدون رسم مرافق.

أظهرت التنقيبات الأثرية مجمعين كنسيين آخرين في المنطقة ما بين كنيسة القديس إسطفان في الشمال وجدران الحصن إلى الجنوب. في وسط المجمع الكنسي الجنوبي توجد كنيسة لها ثلاث حنيات وأرضيات فسيفسائية رائعة سميت **كنيسة الأسود**. لهذه الكنيسة أربعة مداخل: اثنان في الشمال واثنان في الغرب، وتحوي حنية المذبح فيها على منبر يعد أكثر المنابر البيزنطية اكتمالاً في الأردن. توجد كتابة في صحن الكنيسة تزودنا بالتاريخ 575 أو 589م، وللأسف خرب محطمو الأيقونات التصاوير على الفسيفساء.

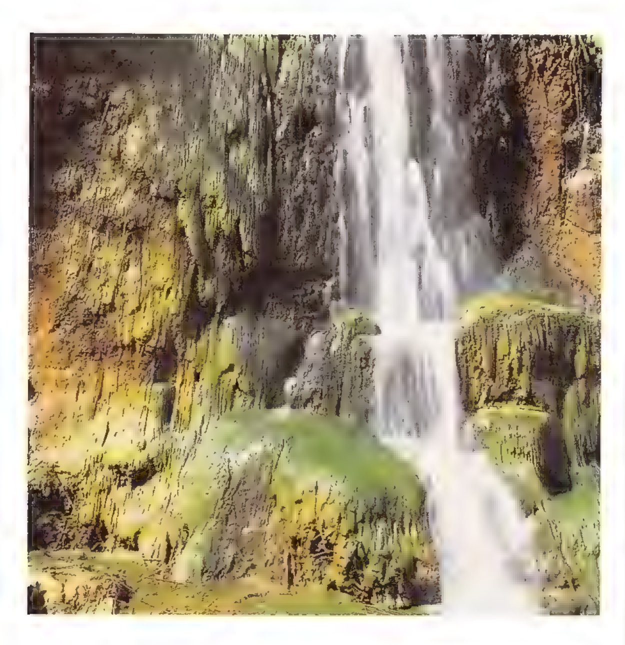
يحوي المجمع الآخر على كنيستين من القرن السادس، وتم التنقيب في الكنيسة الرئيسة وهي **كنيسة القديس بولص** (578 أو 593م).

كشف عن كنيسة أخرى من القرن السادس خارج أسوار المعسكر، وهي **كنيسة القسيس وائل** (575 أو 589م). وهي تحوي أرضيات فسيفسائية جميلة تعرضت للتشويه والتخريب

مثل جميع الكنائس المكتشفة في أم الرصاص.

يبدو أن أم الرصاص قد هجرت في الفترة العباسية المبكرة خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وعندها بطل استعمال الكنائس المكتشفة فيها.

(لارا طعمة)



شلال المياه المعدنية، حمّامات بآرو الرومانية–البيزنطية، ماعين (تصوير زهراب).

حمّامات ماعين المعدنية

تقع حمّامات ماعين على مسافة 30كم إلى الجنوب من مأدبا وأفضل وسيلة للوصول إليها هي سيارات التاكسي أو السيارات الخاصة. تفتح الحمّامات أبوابها يومياً وهنالك رسم دخول، وبالإمكان المبيت في فندق هناك.

يتميز الموقع بينابيع المياه المعدنية الحارة والحمّامات، ويستمتع الكثير من الزوار بالشلالات فيه. عرفت ينابيع المياه المعدنية بقدرتها العلاجية منذ القدم وما زالت مرغوبة حتى الآن. سكنت منطقة الحمّامات منذ العصر الحديدي وهنالك العديد من المواقع الأثرية القريبة مما يزيد من متعة هذه الزيارة.

تتحدث بقايا قلعة مكاور القديمة (القرن الأول قبل الميلاد) عن ماضيها، ومنها يمكن رؤية المناظر الرائعة عبر غور الأردن، وأشهر ما يذكرنا بها قصة سالومي ويوحنا المعمدان عليه السلام: فهنا في مكاور نالت سالومي ثأرها وطلبت من هيرودس قطع رأس يوحنا المعمدان.

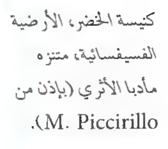
مكاور (قلعة المشنقة)

على بعد 40كم إلى الجنوب الغربي من مأدبا. بالإمكان الوصول إليها من مأدبا بالسيارة عبر بلدة لب ومن ثم الاتجاه نحو اليمين حتى الموقع.

حركة مناهضة الصور والأيقونات

غازي بيشه




كنيسة الخضر، الأرضية الفسيفسائية، متنزه مأدبا الأثري (بإذن من M. Piccirillo).

يشير مصطلح "تحطيم الأيقونات" (Iconoclasm) إلى التخريب المتعمد لصور الكائنات الحية. وقد تم تخريب التصاوير البشرية والحيوانية عمداً في العديد من الكنائس في الأردن، ليس لأنها كانت تحظى بالقدسية كما حصل في الإمبراطورية البيزنطية خلال حركة تحطيم الأيقونات فيها (امتدت الفترة الأولى لتلك الحركة من 111 – 170هـ/ 730 – 787م)، ولكن بسبب عدم تقبل وجود أي تصوير للكائنات الحية ناهيك عن الأيقونات. ما الذي أدى إلى هذا التخريب؟ ومن كان مسؤولاً عن القيام به ومتى؟ حاول عدد من الباحثين الإجابة على هذه الأسئلة.

لاحظ روبرت شيك الذي درس الأرضيات الفسيفسائية المشوهة أو المخربة أن تخريبها لم يكن عشوائياً لكن من قام به كان حريصاً ووضع في عمله الكثير من الجهد، ففي عدد من الأمثلة، اقتلعت أحجار الفسيفساء وخلطت ثم أعيد وضع الحجارة نفسها في مكانها الأصلي بعناية فائقة. تدل هذه العناية التي رافقت تشويه الصور وتغيير ملامحها أن أفراد المجتمع المسيحي المحلي هم من كان مسؤولاً عن تشويه التصاوير وإعادة رصف الفسيفساء، ومما يؤكد هذه النظرية وضع الصليب مكان التصاوير المخربة في كنيسة ماسوح بالقرب من مأدبا. أما بالنسبة للتاريخ،

فتشير الأدلة الأثرية أن التشويه حدث بعد عام 132/750، ومما يدعم هذا التاريخ المتأخر الكتابات الموجودة في كنيسة القديس إسطفان في أم الرصاص وكنيسة عين الكنيسة في جبل نبو والمؤرخة إلى 138/756 و144/762 على التوالي. يتبع هذه الفرضية أن جميع الكنائس التي تظهر فيها آثار لتشويه صور الكائنات الحية استمرت بالاستخدام خلال الفترة الأموية (41/661 - 132/750) وما بعدها بقليل، أي أنها ظلت تؤدي وظيفتها كدور للعبادة. أما بالنسبة للدافع الذي أدى إلى تشويه المخلوقات الحية في هذه الكنائس، فقد اقترح الباحثون أنه كان بسبب كره الشعوب الساميّة لتصاوير الأشخاص في النحت والرسم، وأن عداء تصوير المخلوقات الحية كان موجوداً في التراث الأدبي الساميّ. من الصعب تحديد معنى "ساميّ" في هذا السياق خاصة إن أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أن هنالك تصاوير بشرية وحيوانية في الفن الساميّ في بلاد الشام والرافدين منذ القدم. إضافة إلى هذا، فلقد كشفت الدراسات الأثرية الحديثة وجود تصاوير المخلوقات الحية في فن جنوبي وشمالي الجزيرة العربية. وعلينا أن نتذكر أن زخرفة وترميم وإعادة تنسيق الصور في الكنائس كان على يد المسيحيين المحليين والذين كانوا "ساميين". أرجع باحثون آخرون هذا التحطيم لمرسوم أصدره الخليفة الأموي يزيد الثاني (101/720 - 105/724)، إلا أن هنالك ملابسات عدة تحيط بهذا المرسوم المذكور في عدد من المراجع المسيحية تضعف من صحتها، كذلك فإنه من الغريب أن هذا المرسوم غير مذكور في المصادر العربية المبكرة كالبلاذري والطبري واليعقوبي وغيرهم. ويبدو من الصيغة التي ورد بها المرسوم المزعوم في المصادر المسيحية بأنها كانت وثيقة دعائية معادية للمسلمين واليهود دون أن يكون لها أساس تاريخي. ربما نجد تفسيراً معقولاً لتشويه الكائنات الحية في الكنائس البيزنطية في الأردن إن نظرنا إلى البيئة الاجتماعية والدينية التي وجد المسيحيون أنفسهم بها، إذ من المحتمل أن الجدل والنقد المستمرين من قبل المسلمين واليهود وأتباع مذهب الطبيعة الواحدة من المسيحيين الملكيين ضد تقديس الصور زود الحافز لتشويه الأشكال الآدمية والكائنات الحية، وربما لعب توجيه التهم بأن احترام الأيقونات الذي بلغ في القرن السادس حد القداسة أصبح قريباً من شرك الوثنية مما حفز بعض المسيحيين ودفعهم إلى تشويه الصور الآدمية وتغيير ملامحها، متخذين بذلك موقفاً أقرب إلى الدين الإسلامي.

كنيسة أكروبوليس ماعين، تشويه الكائنات الحية في الأرضية الفسيفسائية، متنزه مأدبا الأثري.



أسلوب التصوير الآثاري عند الروم البيزنطيين وعند الأمويين

فوزي زيادين

انتصر قسطنطين الكبير على عدوه ماكسانس على جسر ملفيوس على نهر التيبر في روما عام 312م وذلك بظهور علامة مسيحية في السماء ثم أسس مدينة القسطنطينية عام 324م وسمح بممارسة شعائر الديانة المسيحية بعد أن كانت محظورة، فأصبح الروم البيزنطيين الورثة المباشرين للحضارة الهلينية-الرومانية التي كانت متأصلة في الشرق منذ فتح الاسكندر المقدوني عام 331ق.م فليس من المستغرب في هذه الحالة أن يظهر في الفن البيزنطي استمرار للتقاليد الفنية الهلينية-الرومانية، والتي يمكن أن نفسر ظهور عناصرها على أنها "أدبية" في جوهرها أي أن استعارة هذه الصور الحضارية خالية من أي مغزى ديني. يجب أن لا تفسر هذه الاستعارة للصور الهلينية-الرومانية على أنها معارضة للدين المسيحي ولكن على أنها تعبير عن ثقافة النخبة الأرستقراطية في ذلك العصر. فمثلاً نرى في فسيفساء مأدبا البطل هرقل يصارع الأسد كما هو معروف في أسطورته، ولكن هذه اللوحة لا تدل على استيعاب الفنان للأسطورة القديمة. وكذلك فإن لوحة أفروديت وأدونيس في متنزه مأدبا الآثاري – الشارع الروماني- هي فقط للزينة. ويجب أن لا يغيب عن الذهن أن المسيحية نشأت في فلسطين وأنها مثلها مثل الفن البيزنطي متأثرة بعناصر الفن والثقافة الشرقية القديمة وأن جذور هذه الثقافة تمتد إلى الأساليب الفنية الشرقية القديمة قبل ظهور الحضارة الهلنستية والتي هي بدورها وقعت تحت تأثير الحضارة الشرقية. فمثلاً إن أرضية إلهة البحار في كنيسة الرسل في مأدبا قد استوحاها الفنان من صورة إلهة البحار ثيتيس Thetis ولكنه استطاع أن يحول هذا الموضوع الوثني على دفاع عن الديانة المسيحية وذلك بأن أضاف حول اللوحة مقطعا من المزمور 101 "أيها الرب الذي خلق السموات والأرض امنح الحياة لعبيدك".

وبالمقارنة فإن الفتح العربي الإسلامي قد جعل من دمشق عاصمة الدولة الأموية عام 41 / 661، أي أنها أصبحت ملتقى للحضارات القديمة التي ترجع إلى ما قبل الحضارة الهلنستية، إلى الممالك الآرامية التي ازدهرت في سوريا. ولقد لعبت الضفة الشرقية لنهر الأردن دوراً ريادياً في الإمبراطورية الإسلامية الجديدة إذ كانت جسراً حيوياً بين بلاد الشام وحواضر الإسلام المقدسة: مكة المكرمة والمدينة المنورة. ففي مقر الحاكم في عمان – على جبل القلعة – أقيم إيوان الاستقبال على أساسات هلينية-رومانية وأصبح مدخلاً لمدينة أموية. وفي معظم قصور بني أمية توجد قاعة استقبال ذات ثلاثة أروقة على طراز البازليكا الهلينية-الرومانية، وتنتهي بحنية. كما وأن معظم هذه القصور تحتوي على حمام على طراز الحمامات الهلينية-الرومانية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الطبقة الحاكمة الأموية أرادت أن تنافس الأرستقراطية البيزنطية وأنها قد وصلت إلى نفس المستوى الثقافي للبلاد التي فتحتها، وأنها استوعبت ثقافتها وتقاليدها الحضارية القديمة. وهذا ما يدعونا إلى التأكيد أن أسياد سوريا وفلسطين



كنيسة الرسل، تجسيد البحر "ثلاسا" ضمن إطار دائري، مأدبا.

الجدد لم يكونوا بدواً وأصحاب قوافل ورعاة أبل وماشية وإنما كانوا من أصحاب المدن مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ودومة الجندل / الجوف. ولا ننس أن مدافن الحجر / مدائن صالح قد نحتها فنانون من أهل البلاد الأنباط الذين ذكروا أسماءهم على المدافن الصخرية، وأن المعالم المعمارية في دومة الجندل / الجوف مثل قصر مارد يعتقد أن أساساتها ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وقد ابتنى الخليفة عمر (رضي الله عنه) مسجداً بأسلوب معماري مميز كما يتبين ذلك من المئذنة الفريدة الأسلوب في المساجد الإسلامية. وإن الفتح العربي الإسلامي لبلاد الرافدين وإيران قد أزال الحواجز التي كانت قائمة بين الساسانيين والبيزنطيين. وبتعبير آخر فإن الشرق الأوسط قد اختبر لأول مرة منذ فتح الاسكندر المقدوني نوعاً من الوحدة الثقافية، وإن التبادل الثقافي بين تقنيات إيران الفارثية–الساسانية وسوريا الهلينية–الرمانية قد افرز أساليب جديدة في الفن التصويري. وهذا ما يمكن أن نستدل عليه في الأرضيات الفسيفسائية والجداريات / الفريسكو والتي تبرز مبادئ التصوير الفني لكل حقبة تاريخية.

إن لوحات الصيد هي المواضيع التي شهدت إقبالاً في فن الفسيفساء والجداريات. ومن أجمل لوحات الصيد الفسيفسائية تلك التي اكتشفت في جبل نبو في كنيسة النبي موسى والتي ترجع إلى عام 531م، وهي تضم أربعة أفاريز: في الأعلى صيادان يصارعان أسداً وفهداً وفي الإفريز الأسفل فارسان يهاجمان ضبعاً ودباً. وإن كانت هذه اللوحة تعيد إلى الذاكرة ناووس صيد الاسكندر المقدوني فإنه لا توجد علاقة منطقية مع الإفريز السفلي حيث يجلس راعي يراقب قطيعه الذي يرعاه باطمئنان. وفي الإفريز الأخير نرى فلاحاً يقود حماراً وحشياً ونوبي يمسك بمقود نعامة. إن هذه اللوحات التي لا رابط بينها هي في الواقع تعبير رمزي عن معاني روحية لاهوتية: فإن الحيوانات البرية ترمز إلى الأرواح الشريرة التي تستعد لتهاجم المؤمن كما يتبين ذلك من رسالة بطرس الرسول: "كونوا يقظين، كونوا حذرين لأن إبليس الشرير يجول مثل أسد يزأر بحثاً عن فريسة يلتهمها" (رسالة الرسول بطرس الأولى 5:8 – 9) وإن الراعي والفلاح

أسلوب التصوير الآثاري عند الروم البيزنطيين وعند الأمويين

يمثلان المؤمن الذي يتمتع بسلام الإيمان.
يبين مشهد الصيد في قصير عمره في البادية الشرقية (أنظر "قصير عمره") صيد حمر الوحش بواقعية غنية التفاصيل: فالصيد يتم في بيئة صحراوية كما يستدل من الخيمة في الزاوية الشمالية الشرقية وفي الليل كما يستدل من المرافقين الذين يحملون المشاعل، وأن حمر الوحش تطرد لتقع في مصيدة على شكل شبكة وذلك لكي يقبض عليها حية. وعلى الجدار الشرقي فإن صيد بقر المها بواسطة كلاب السلوقي لا يقل واقعية عن اللوحة الغربية المذكورة آنفاً، فإن الحيوانات المذعورة تلتحم ببعضها بأسلوب واقعي. وعلى نفس الجدار صوّر الفنان العمال الذين يقومون ببناء القصر بواقعية كبيرة، فنرى الحجارين يقطعون الحجارة ويحملونها على الجمل ثم يناولها العامل إلى البنّاء ليضعها في الجدار وكأن هذه اللوحات شريط سينمائي متحرك، بينما تصور لوحات مأدبا مشاهد ومواضيع



قصير عمرة، رسم حداد يقوم بعمله، البادية (تصوير J. L. Nou).

مختلفة، فإن لوحة الفردوس في متحف آثار مأدبا تصور حديقة غرست فيها أشجار متقابلة في الزوايا وفيها أزواج من الحيوانات متناظرة: حملان، طائران، غزالان ثم في أسفل اللوحة أسد وثور يأكلان من نبتة برية، وترمز هذه الأرضية إلى عودة المسيح الثانية في آخر الأزمان والتي سوف تنشر السلام في العالم حسب نبوة أشعيا: "فيأكل الأسد العشب مثل الثور" (مزمور 11:7).
تختلف فسيفساء قبة الصخرة في القدس عن هذا التأويل الرمزي: فهي تصور نباتات مثل النخيل واللوز وشجر الزيتون بين فروع القصب والكرمة المثقلة بعناقيد العنب والتي تتشابك في تنسيق رائع. تم تصوير هذه النباتات بواقعية ودقة، وليس من الصحيح أن نتخيلها على أنها ترمز إلى الجنة ولكن علينا أن نعتبر أنها تدل على الأرض وخصوبتها المادية في العهد الأموي، فإن الله يدعو المؤمنين: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله أن كنتم إياه تعبدون" (البقرة 172).

تصور فسيفساء خربة المفجر البديعة الصنع في إيوان الاستقبال شجرة سفرجل تنبثق من جذع قوي ولكنه غير متساوي النمو لأن الغصن الضعيف يلتف حول الجذع القوي الملاصق له، وتبرز الواقعية في صورة الغزالين إذ نجح الفنان في إبراز رشاقة الحيوانين بواسطة الظلال وعبّر عن الحركة بإظهار رأس الغزال الذي يتطاول لالتقاط الأوراق العالية. كما صوّر إلى يمين الشجرة أسداً ينقض على

غزال حيث يشعر الناظر إلى اللوحة بمحاولة الحيوان الضعيف اليائسة للإفلات من أنياب الأسد. وكشف عن مثل هذه اللوحة الواقعية قبل عدة سنوات في حمام القسطل جنوب عمان، حيث صور الفنان الفهد الضاري وقد لوى عنق الغزال وغرز فيها أنيابه فانفجرت سيول الدم غزيرة.

لا تحمل هذه اللوحات الواقعية رموزاً دينية مثل خريطة الفسيفساء في مأدبا والتي تمثل الشرق الأدنى من صيدا على ساحل فينيقيا حتى دلتا النيل. وقد تنافس علماء الآثار على تفسيرها، فمن قائل أنها تمثل البلاد التي اجتازها العبرانيون عند خروجهم من مصر أو أرض الميعاد التي استولى عليها يشوع بن نون. ولكن هذه التأويلات لا تعتمد على نظريات صحيحة لأن الخريطة تمثل الأرض التي ولد فيها السيد المسيح وبشر فيها مع تلاميذه ثم مات ودفن وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، لكي يخلص العالم من الخطيئة ورفع إلى السماء. وهذا التأويل اللاهوتي لا ينطبق على فسيفساء واجهة المسجد الأموي في دمشق والذي بناه الوليد الأول عام 87 /706 حيث تصور الفسيفساء الزجاجية مدناً وقرى على شاطئ نهر جاري وسط بساتين مزدهرة، ويظهر بين هذه المدن مدرج وهو معلم أثري غريب على الحضارة العربية الإسلامية. إن التفسير الواقعي لهذه الفسيفساء هو ما ذكره المقدسي في "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي: "تم إلى السقف بالفسيفساء الملونة



الثور والأسد يأكلان نبتة، متحف آثار مأدبا.

والمذهبة صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقة... ولطافة الصنعة وكل شجرة أو بلد مذكور إلا وقد مُثل على تلك الحيطان". وفسر المختصون بالفن الإسلامي مثل العالم اتنغهاوزن هذه الفسيفساء على أنها تمثل "العالم الذي دخل بأجمعه تحت راية الإسلام".

إن الأمثلة التي ذكرناها تبين الاختلاف الجوهري بين فن التصوير الآثاري البيزنطي والأموي، إذ كرس الفنان البيزنطي فنه لخدمة تعاليم اللاهوت المسيحي بينما تميز الأموي عنه بالتعبير عن الحياة اليومية الإنسانية وصور الطبيعة والصيد بواقعية أكبر. ورغم أن هذين الفنانين قد تأثرا بالفن الهليني-الروماني إلا أن الفنان الأموي كان اقرب إلى الواقعية لأنه لم يكن في خدمة الرموز الدينية واللاهوتية والتي فرضتها الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية على الفنان البيزنطي.

طريق الحج المسيحي من القدس الشريف إلى مغطس السيد المسيح

فوزي زيادين

فلسطين هي مهد الديانة المسيحية والموطن الذي انتشر منه الدين الجديد، ليس في الشرق فحسب وإنما في الغرب في مجمل الإمبراطورية الرومانية. إن مصير شرقي الأردن وفلسطين أصبحا مرتبطين منذ أن أخذ يوحنا يعمد على الضفة الشرقية لنهر الأردن، حيث تعمد السيد المسيح نفسه. ولم يكن اختيار هذا الموقع محض صدفة، فقد كان فيه معبر إلى الضفة الغربية للنهر وكان المسافرون يتجمعون في هذا المكان. في ذلك الوقت كانت الضفة الشرقية لنهر الأردن تحت حكم العرب الأنباط وكان أكثر تقبلا لرسالة السيد المسيح من اليهود الذين كانوا تحت تأثير عدة فرق دينية، ولا بد من ذكر هذه الواقعة عندما أراد اليهود "أن يقبضوا على السيد المسيح ليقتلوه فأفلت من أيديهم وذهب إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن حيث كان يعمد يوحنا" (وحيث وجد الأمان) (يوحنا 10: 39 - 40).

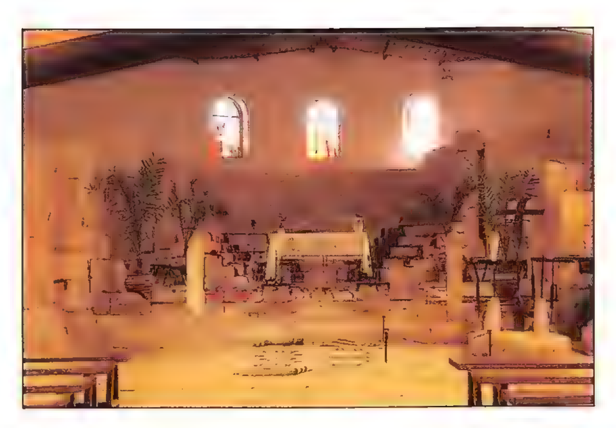
يظهر هذا الموقع على خارطة مأدبا الفسيفسائية في منتصف القرن السادس تحت هذه العبارة: "عينون حيث يوجد اليوم صفصافة" وهذا الاسم من أصل آرامي ويعني "العين". ففي وادي الخرار حيث توجد عين ماء على بعد كيلومترين عن النهر وحيث توجد غابة كثيفة من القصب والشجر نحتت عدة كهوف حيث عاش يوحنا المعمدان. ففي حوالي عام 500م أراد الراهب أن يترك ديره في القدس ليتوجه إلى سيناء، ولكن الوحي جاءه في الحلم أن يظل في هذا الكهف في وادي الخرار حيث التقى يسوع المسيح مع يوحنا أو النبي يحيى عليه السلام.

وفي القرن العاشر قبل الميلاد حسب رواية سفر



كنيسة القديس جورجيوس، خريطة الفسيفساء، نهر الأردن وموقع المغطس، مأدبا.

الملوك 17:1 أن يهوه أمر النبي إيليا، وهو من قرية تشبة (خربة تلسيت) قرب عجلون أن يذهب إلى الشرق ويختبئ في وادي حزيت / الخرار حيث كان يأتي غراب في النهار ويحمل إليه الخبز ثم آخر في المساء ويحمل إليه اللحم. وبينت التنقيبات الأثرية أن في هذا الموقع آثار من العصر الحديدي الأول والثاني. وكان إيليا النبي قد ترك أريحا مع تلميذه اليشع "فأخذ اليا رداءه وطواه وضرب فيه النهر فانقسمت المياه إلى قسمين وعبرا معا إلى اليابسة" (سفر الملوك الثاني، 8:2) وبينما كانا في طريقهما هبطت مركبة من نار وتجرها أحصنة من نار "وصعد ايليا الى السماء في إعصار" (سفر الملوك الثاني 11:2). أقام البيزنطيون كنيسة في التلة التي صعد منها إيليا إلى السماء وفيها آبار وبرك لجمع الماء. وقد زار الموقع البابا يوحنا بولس الثاني وصلى فيه.



منظر داخلي في كنيسة النبي موسى، جبل نبو.

من المغطس تنطلق الطريق إلى تل الرامة – ليفياس ومنه إلى وادي عيون موسى حيث تم الكشف عن كنيسة بيزنطية في الوقع المسمى المحطة. من عيون موسى تصعد طريق إلى حسبان أو إلى جبل نبو، وهذه الطريق ذكرتها الحاجة ايجيريا عندما وصلت إلى جبل نبو من القدس عام 393 ميلادي.



القصور الأموية

محمد الأسد، غازي بيشه

اليوم الأول

3-1 البادية
3-1أ القسطل
3-1ب قصر المشتى

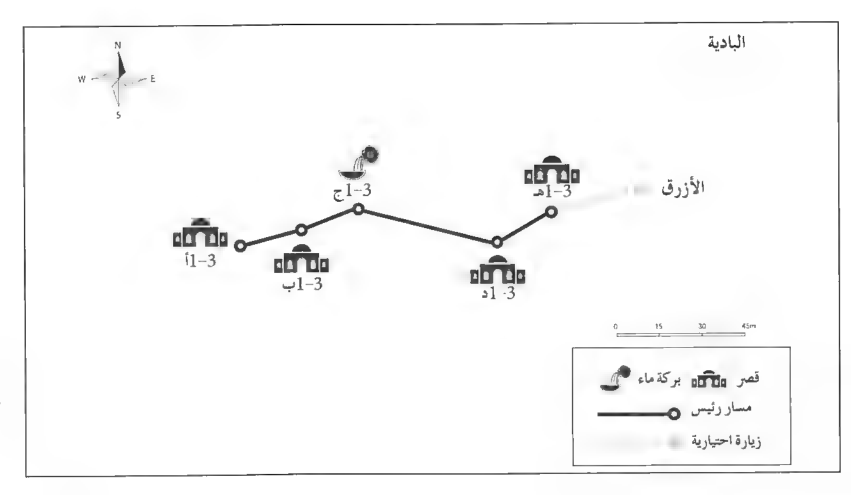
واجهة المشتى في برلين

3-1ج بركة الموقر
3-1د قصر الخرانة
3-1هـ قصير عمره

حياة الترف وتسلية الخلفاء

زيارات اختيارية

محمية الأزرق الطبيعية
محمية الشومري
محمية الأزرق المائية



القسطل، زخرف حجر منحوت، البادية.



قصير عمره، البادية.

توجد في الأردن أكبر مجموعة من المنشآت الأموية المسماة في العادة بـ"القصور الصحراوية". ولقد رفض عدد من الباحثين هذه التسمية على اعتبار أن المناطق التي توجد فيها هذه المنشآت لم تكن صحراوية خلال الفترة الأموية، كما وتدل أنظمة الريّ التي اكتشفت في عدد منها على النشاطات الزراعية التي كانت تجري في محيطها. من الصعب إطلاق مسمى "قصر" ببساطة على كل هذه المنشآت بسبب التنوع الكبير فيها، ويمكن وصف بعضها على أنها "عزب" أو تجمعات صغيرة احتوت على مساكن ومسجد وحمّام وبنية تحتية ملائمة للنشاطات الزراعية، كما كان بعضها محطات للقوافل والتجارة.

معلوماتنا عن هذه المنشآت محدودة نوعاً ما، وهنالك الكثير من الأسئلة التي ما زالت بحاجة للإجابة عن تاريخها وأصحابها واستعمالاتها. ويعود السبب في هذا جزئياً لعدم وجود أي مصادر أموية معاصرة وندرة الكتابات المنقوشة التي ما زالت متواجدة في مواقعها الأصلية، لكن حتى بدون هذه الأدلة الداعمة، تبقى المعالم المعمارية الأموية ذات أهمية تاريخية كبيرة. رغم أن بناء مثل هذه المنشآت خارج المراكز المدنية لم يستمر إلا لفترة قصيرة في العالم الإسلامي، إلا أنها من أقدم الأمثلة المعروفة على العمارة الإسلامية وهي أقدم أمثلة العمارة المدنية في العالم الإسلامي، وخاصة عمارة القصور، كما وتشكل أحد الأمثلة القليلة من العمارة القديمة من حيث بقاء عدد كبير من الأبنية التاريخية (أكثر من 20) من نفس الفترة ونفس المنطقة الجغرافية ونفس طراز البناء. وبالإضافة إلى كونها شواهد مادية هامة على حياة الأمراء في الفترة الإسلامية المبكرة، فهي تمثل استمرارية

الفيلا الرومانية الريفية التي انتقلت إلى الفترة البيزنطية وبالتالي فهي تلقي الضوء على هذا الطراز المعماري أيضاً.

أعطيت العديد من التفسيرات لهذه المنشآت الغامضة منذ أن بدأ الباحثون بدراستها في مطلع القرن العشرين، ففسرت على أنها "قصور ترفيه" حيث مارس أمراء بني أمية النشاطات الترفيهية مثل الصيد وإقامة المآدب. وشاع رأي آخر رأى فيها مثالاً على ذوق رومانسي لحياة البادية حيث الهواء النقي واللغة العربية السليمة بعكس الحال في المدينة. ورغم أن كلمة "بادية" تعني حالياً حافة الصحراء، إلا أنها كانت تعني "الممتلكات الريفية" خلال الفترة الأموية، وفي هذا السياق بقي المعنى الأموي الأصلي للبادية حتى يومنا هذا. كما فسرت المنشآت بمغزى اجتماعي-اقتصادي على أنها مراكز أراض زراعية ورثها المسلمون عن أفراد الأرستقراطية البيزنطية الذين فروا من بلاد الشام بعد الفتح الإسلامي. وأقترح البعض أنها كانت مراكز إدارية وسياسية حيث اجتمع الأمراء الأمويون بشيوخ القبائل المحلية التي اعتمدوا عليها في تدعيم سلطانهم. وبعد ذلك أتت فكرة أن هذه المنشآت كانت محطات على طرق الحج والتجارة الواصلة ما بين بلاد الشام والحجاز. وربما كانت هنالك نواح من الحقيقة في كل من هذه التفسيرات.

احتوت هذه المنشآت في الكثير من الأحيان على مساكن وحمّام ومسجد، وكان بناء الحمّامات يسبق إنشاء بيوت السكن أحياناً إذ لم تكن البيوت أبنية دائمة بالضرورة بعكس الحمّامات. ذكر مؤرخ الفنون الإسلامية أوليغ غرابار أن العديد من هذه المنشآت كانت للاستعمال الموسمي وليست للسكن الدائم، وكانت مرافقها على مستو عال ولكن مرفقاتها العامة كانت قليلة، وعبر الكثير منها عن الرفاهية وخدمت أغراض الترفيه أكثر من التعبير عن القوة والجبروت.

تعود معظم هذه المنشآت للفرع المرواني من بني أمية، المنحدر من مروان بن الحكم

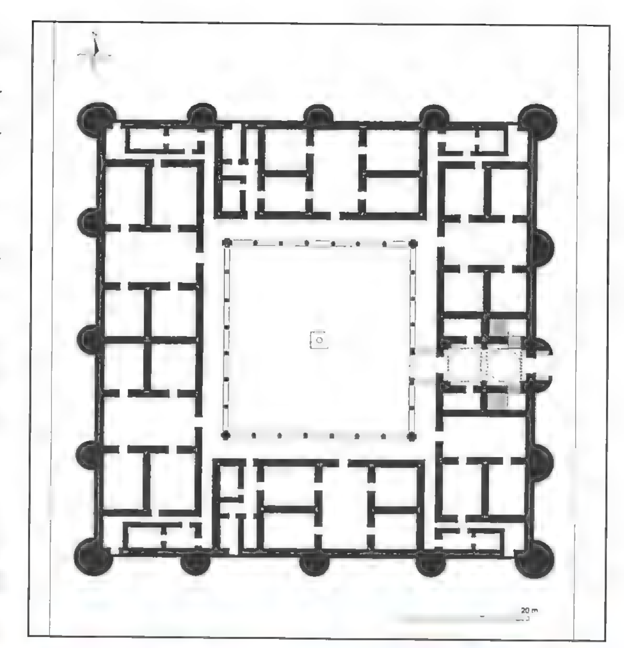


زخارف حجرية منحوتة من قصر الطوبة، متحف الآثار الأردني (رقم J1950)، عمان.



زخرف حجر منحوت، البادية.

مخطط القسطل، قبل عام 126 | 744، البادية (عن P. Carlier, 1984).





القسطل، برج زاوية القصر، البادية.

(64/684-65/685). اقترح البعض أن عبد الملك بن مروان (65/685-86/705) عين أولاده على بلاد الشام ليحكم قبضته على المنطقة وأن هذا النظام استمر حتى سقوط الخلافة الأموية بعد ذلك بجيلين. واستناداً على هذا الرأي، يُعتقد أن ملكية هذه المنشآت اتبعت تقسيم الأراضي المذكور، ولذا كانت المنشآت المبنية في منطقة بعينها من صنيع الأمير أو الأمراء (الذين أصبح معظمهم خلفاء فيما بعد) المعينين على تلك المنطقة.

(محمد الأسد)

3-1 البادية

الوسيلة الوحيدة للوصول إلى البادية هي السيارة أو الرحلات السياحية المنظمة. لا يوجد رسم دخول للمواقع ويمكن زيارتها في أي يوم.

3-1أ القسطل

يقع على الطريق الصحراوية على بعد حوالي 25كم إلى الجنوب من عمان. بالإمكان الوصول إلى الموقع من حمامات ماعين بالتاكسي أو السيارة الخاصة باتجاه الطريق الصحراوي؛ وللقادم من عمان توجد لوحة إرشادية للموقع على طريق المطار.

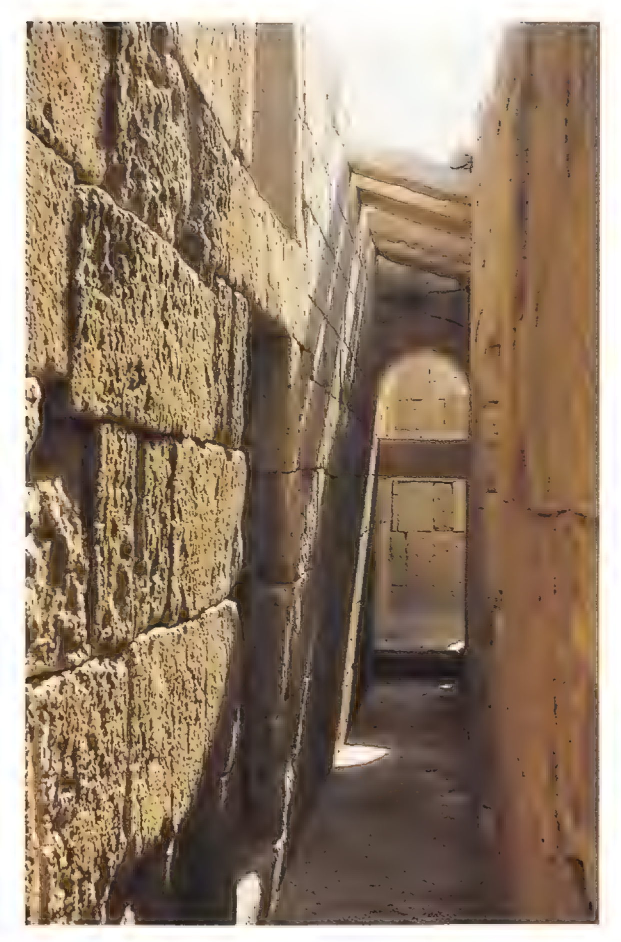
يضم موقع القسطل عدداً من المنشآت: القصر ومسجد وحمّام ومقبرة ومنطقة سكنية ونظام حصاد مائي.

تبلغ أبعاد القصر حوالي 68×68م، ويدعم كل سور من أسواره الخارجية ثلاثة أبراج نصف دائرية بالإضافة إلى الأبراج المقامة في زواياه الأربع، فيما عدا الواجهة الشرقية التي تحتوي على أربعة أبراج يحيط أثنان منها بالبوابة.

يعتقد أن القصر كان مكوناً أصلاً من طابقين، لكن الطابق العلوي قد تهدم. يتكون الطابق الأرضي من ستة بيوت تحيط بساحة مركزية، ويتكون كل بيت من أربع غرف وساحة.

يوجد المسجد إلى الشمال من القصر، وهو مستطيل تبلغ أبعاده 16×5م يتم الدخول إليه عبر ساحة مستطيلة أبعادها 17×10م. شيد المسجد بنفس نوعية الحجارة المستخدمة في القصر والمشذبة بالأبعاد والطريقة ذاتها، ولا تزال المئذنة التي كان يرقى إليها بدرج لولبي موجودة بارتفاع 6م عند الزاوية الشمالية الغربية للمسجد، ويبلغ قطرها 6م. وربما كانت هذه أقدم مئذنة وصلتنا من العمارة الإسلامية.

يعتقد أن حرم المسجد الداخلي كان مسقوفاً أصلاً بالخشب الذي استبدل به لاحقاً عقد برميلي مبني من الحجر، وتمت بالتالي زيادة عرض الجدران الضيقة أصلاً لتحمل ثقل السقف الجديد وقوة دفعه الجانبية. تقع المقبرة، وهي من أقدم المقابر الإسلامية في الأردن، إلى الجنوب الغربي من القصر، ووجد فيها عدد من شواهد القبور الأموية والعباسية، وهي محفوظة الآن في متحف آثار مأدبا. ومن الجدير بالذكر أن القبور المبكرة في هذه المنطقة



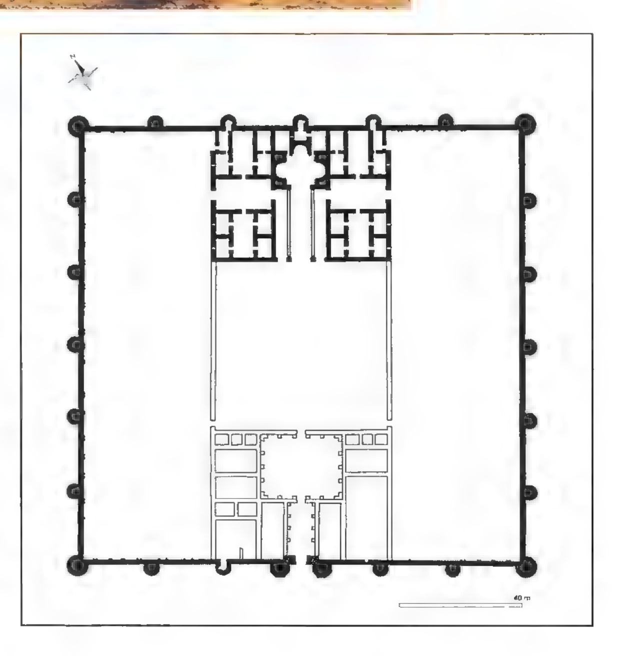
القسطل، ممر في القصر، البادية.

كانت موجهة نحو القدس.

يحتوي نظام تجميع المياه على سد موجود على بعد حوالي 1كم إلى الشرق من القصر. يبلغ طول حائط السد حوالي 400م بسماكة 4.30م. أما البركة البالغة أبعادها 30×22×6م، فتقع على بعد 1كم إلى الشمال الغربي من القصر، وهنالك حوالي 70 بئراً صغيرة موزعة في محيط القصر.



منظر عام لقصر المشتى، البادية.



مخطط قصر المشتى، البادية (عن Grabar, 1973).

رغم الاتفاق على كون القصر أموياً، إلا أن هنالك جدل حول تحديد تاريخه. تفيد إشارة في مرجع تاريخي لاحق على أن بنائه كان قد اكتمل قبل عام 126 /744، لكن من الصعب تحديد سنة الإنشاء. كما استخدم القصر للسكن لاحقاً ما بين القرن السادس والقرن العاشر الهجري / الثاني عشر والسادس عشر الميلادي، خلال الفترتين الأيوبية والملوكية، حين عملت بعض الإضافات البسيطة على منشآت القسطل.

(محمد الأسد)

3-1ب قصر المشتى

يقع القصر بالقرب من مطار الملكة علياء الدولي على بعد حوالي 35كم إلى الجنوب من عمان. عند القدوم من القسطل على طريق المطار،



قصر المشتى، القاعة المواجهة لغرفة العرش والشبيهة بالبازيلكا، البادية.



قصر المشتى، جدار مبني بالآجر عند المدخل، البادية.

يجب الدوران عند جسر المطار والعودة باتجاه عمان، ثم أخذ الطريق الفرعية المؤدية إلى المنطقة الصناعية الواقعة على اليمين.

يبلغ طول قصر المشتى حوالي 144م، وهو أكبر القصور الأموية في الأردن. يحتوي البناء على قاعة استقبال وغرفة عرش ومسجد صغير ومساكن. لم يكتمل بناء القصر، ودمرت أجزاء منه بفعل عوامل الطبيعة خاصة الزلازل، إلا أن أسواره الخارجية والبالغ عرضها 1.7م ما زالت واقفة بارتفاع 3-5.50م. وكان قد أخذ قسم كبير من واجهته الجنوبية المزخرفة إلى برلين في بداية القرن العشرين (أنظر "واجهة المشتى في برلين")، ولكن لحسن الحظ لا تزال توجد بقايا كافية من القصر لتشهد على عظمة هذا الصرح.

بنيت مداميك الجدران السفلية من الحجارة المشذبة، بينما أنشأت الأجزاء العلوية والجدران الداخلية والأسقف المعقودة بالآجر المشوي. تتميز الأسوار الخارجية بوجود 21 برج نصف دائري وأربعة أبراج تكاد تكون مكتملة الاستدارة عند الزوايا. يبلغ قطر كل من أبراج الزوايا 7م، بينما يبلغ قطر كل من الأبراج النصف دائرية 5.25م. وبالرغم المظهر العسكري الذي تضفيه الأبراج على القصر، إلا أنها لم تكن مصممة للأغراض الدفاعية إذ تحوي أربعة منها على مراحيض بينما بنيت الأخرى بصفتها أبراج صماء دون تجاويف فيها.

قسم البناء إلى ثلاثة أجزاء تتبع محورشمالي–جنوبي. لم تبدأ أعمال البناء في الجزئين الجانبيين، ولم تكتمل في الجزء الأوسط. وقسم الجزء الأوسط بدوره إلى ثلاثة أجزاء: ساحة في الوسط وجزء جنوبي وآخر شمالي، كما قسم كل من الجزئين الجنوبي والشمالي إلى ثلاثة أجزاء، وقسمت بعض هذه الأجزاء إلى ثلاثة أجزاء مرة أخرى. يحتوي الجزء الجنوبي على المساكن والمسجد الذي تم التعرف عليه بسبب وجود محراب باتجاه مكة المكرمة. ينتهي الجزء الشمالي بغرفة عرش لها ثلاث حنيات توجد أمامها قاعة مخططها شبيه بمخطط البازيلكا ولها مدخل بثلاثة أقواس.

يظهر تخطيط القصر وأساليب بنائه وتفاصيله المعمارية مزيجاً من المؤثرات البيزنطية والساسانية والفارسية. كان استخدام الحجر في الجدران الخارجية شائعاً في العمارة البيزنطية، أما استخدام الآجر للجدران الداخلية والعقود فهو ظاهرة ساسانية، ويظهر اختلاط التأثيرات أيضاً في زخرف الواجهة الجنوبية (أنظر "واجهة المشتى في برلين"). يتميز هذا القصر بحجمه الضخم نسبة إلى باقي القصور الصغيرة التي بناها بنو أمية، ومن المعتقد أنه كان بني لسكن عدد كبير من الناس، وربما كانوا كافة أفراد البلاط الأموي. كما تدل وضعية غرفة العرش بمحاذاة ومواجهة القاعة الكبيرة على أنه صمم للاحتفالات والعروض الفخمة.

افترض عدد من الباحثين أن الخليفة الأموي الوليد الثاني هو صاحب قصر المشتى، ورغم عدم وجود أدلة تدعم هذه الفرضية إلا أن الوليد الثاني عرف بكثرة الأبنية التي أنشأها خلال فترة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز السنة في 125/ 743–126/ 744.

(محمد الأسد)

واجهة المشتى في برلين

محمد الأسد



واجهة المشتى، متحف برغامون (مرجع رقم 743 | 44)، برلين.

نقل جزء كبير من واجهة قصر المشتى الجنوبية، يتضمن البوابة الرئيسة، إلى "متحف الدولة" في برلين (متحف برغامون). كان الأردن في تلك الفترة تابعاً للدولة العثمانية في فترة حكم السلطان العثماني عبد الحميد (1293 / 1876-1327 / 1909) الذي أهدى الواجهة لقيصر ألمانيا ويلهلم الثاني (1888-1918). قام علماء آثار ألمان بتفكيك الواجهة التي يبلغ ارتفاعها 3.80م والإشراف على شحنها إلى برلين، ومن المحتمل أن الخط الحديدي الحجازي الذي بناه العثمانيون بمساعدة تقنية من الألمان كان قد وصل عندئذ قرب موقع المشتى مما ساعد على نقل الواجهة بالقطار إلى ميناء حيفا على البحر الأبيض المتوسط وشحنها بحراً من هناك إلى ألمانيا لكي يعاد تركيبها وعرضها في برلين.

قسمت الواجهة إلى مثلثات يبلغ ارتفاعها حوالي 2.85م وعرض قاعدة كل منها 2.50م. توجد وردة كبيرة في وسط كل مثلث، وعبئ باقي المثلث بزخارف تتضمن أشكالاً حيوانية ونباتية. يختلف أسلوب زخرفة المثلثات على يمين البوابة الرئيسة وصناعتها عن أسلوب المثلثات الموجودة إلى اليسار من البوابة مما يشير إلى أن فريق حرفي مختلف قام بحفر كل منها. زخرفت الواجهة أمام المسجد بالأشكال النباتية ولم تحتوي على أي حيوانات تبعاً للتعليمات الإسلامية التي تحرم التصاوير الآدمية والحيوانية في المساجد. تم حفر زخارف الواجهة بعد بنائها، ولم تستكمل زخرفة بعض الحجارة فيها.

تُظهر بعض أشكال الزخارف النباتية تأثيرات قبطية، بينما يمكن ملاحظة المواضيع الفارسية في استعمال الحيوانات الأسطورية المأخوذة من الفن الساساني. ومن المحتمل أن بعض الحرفيين كانوا قد استحضروا من مصر وإيران.



تاجية عمود عليها نقش كوفي من بركة الموقر، متحف الآثار الأردني (رقم J5085)، عمان.

3-1ج بركة الموقر

تقع البركة على بعد حوالي 20كم إلى الشرق من عمان. من المشتى، ارجع إلى طريق المطار باتجاه عمان ثم اتخذ المخرج المؤدي إلى سحاب والأزرق للوصول مباشرة إلى موقع البركة.

دمرت مباني الموقر بالكامل تقريباً، إلا أن بقايا من الموقع كانت قائمة في بداية القرن العشرين حين زارها عدد من الرحالة والمستشرقين من بينهم ميوزيل. عندما زار مؤرخ العمارة كريزويل الموقع في بداية الستينات من القرن العشرين، كان الكثير مما سجله الرحالة قبله قد دمر، باستثناء بعض المنشآت المقنطرة المبنية تحت الأرض التي لا تزال موجودة حتى يومنا هذا. أهم البقايا الأموية في الموقع هي بركة الماء الضخمة التي لا تزال مستعملة حتى الآن، ويبدو أنها كانت تخدم القوافل المارة بالمنطقة، إضافة إلى السكان المحليين.

عثر على بعض تاجيات الأعمدة المزخرفة في الموقع تم نقلها إلى متاحف مختلفة، وتضم مجموعة متحف الآثار الأردني في قلعة عمان إحدى التاجيات الهامة التي كانت تعلو عموداً استخدم لقياس ارتفاع الماء في البركة، إضافة إلى جزء من العمود نفسه. توجد على التاجية كتابة عربية بالخط الكوفي تفيد بأن الخليفة يزيد الثاني أمر ببناء هذه البركة سنة 103 / 722 - 104 / 723.

(محمد الأسد)

3-1د قصر الخرانة

يقع على بعد 55كم إلى الشرق من عمان، على الجهة الشمالية من طريق الأزرق. وللوصول إلى الموقع من الموقر استمر على طريق سحاب-الأزرق.

ما زال قصر الخرانة قائماً في معظمه، وهو مبنى مربع تبلغ مساحته حوالي 36.50×35.50م. يتكون المبنى من طابقين من الغرف المزخرفة بالجص المحفور، وتتوسطه ساحة فيها بئر ماء. تحيط غرف

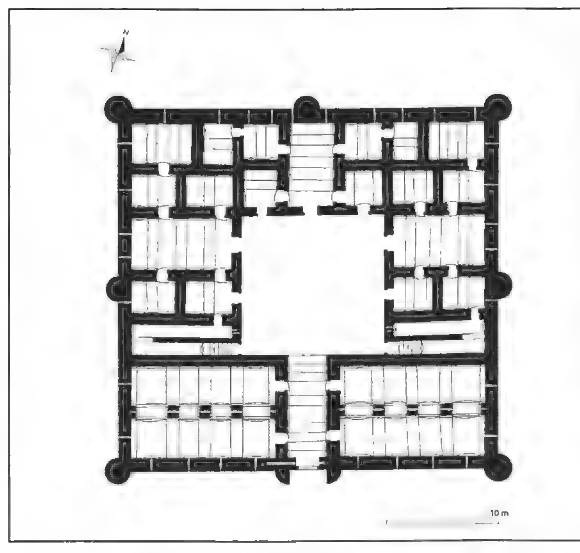
صغيرة بقاعتين مستطيلتين في الجهة الجنوبية الأمامية من المبنى، ويتوسطها الممر المؤدي من المدخل إلى الساحة. يوجد درجان داخليان على الجهتين الشرقية والغربية يصعدان إلى الطابق العلوي.

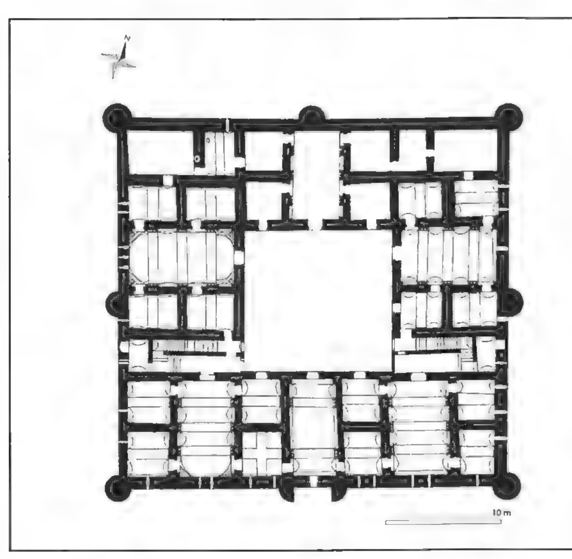
بني القصر بالحجارة غير المشذبة، وكان مكسواً بطبقة من القصارة. توجد أبراج مستديرة على زواياه وبرج نصف دائري في وسط كل من الواجهات الشرقية والغربية والشمالية، أما في الواجهة الجنوبية فيوجد برجين كل منهما على شكل ربع دائرة تقع على جانب المدخل الواقع في الوسط.

زودت الواجهات أيضاً بشريط من الطوب المبني بزاوية عن الخط الأفقي والمتشابك على شكل "حسك السمك" يحيط بالربع العلوي من المبنى.

بالرغم من أن هيئة قصر الخرانة شبيهة بالقلعة، إلا أن المبنى لم يستخدم للأغراض العسكرية، فالأبراج وطلاقات السهام المفتوحة في الواجهات زخرفية لأن الأبراج غير مفرغة وارتفاع طلاقات السهام عن الأرض أعلى من أن تستعمل لهذا الغرض.

يظهر القصر تأثيرات فارسية في أسلوب البناء (كما في الحجر غير المشذب المكسو بالقصارة) والزخرف (كما في الجص المنحوت)، مما حدا بمؤرخ العمارة الإسلامية الشهير كريزويل إلى الاستنتاج بأن المبنى ساساني أو فارسي من فترة الاحتلال الساساني للمنطقة ما بين 614 – 628م، وليس أموياً. لكن ليس من المعروف عن الفرس بأنهم قاموا بأي أنشطة معمارية





مخطط الطابق العلوي في قصر الخرانة، بعد سنة 91 | 710، البادية (عن Ulrice, 1987).

مخطط الطابق السفلي لقصر الخرانة، بعد سنة 91 | 710، البادية (عن Ulrice, 1987).



قصر الخرانة، البادية.



منظر لإحدى القاعات الداخلية في قصر الخرانة، البادية.

خلال فترة الاحتلال، بل على العكس فإن فكرة محاكاة التحصينات وحقيقة كون المظاهر الدفاعية غير فاعلة هي من سمات القصور الأموية الأخرى مثل المشتى.

توجد كتابة مخربشة في القصر فيها تاريخ 27 محرم 92 / 24 نوفمبر 710، وهي تدل على أن البناء كان موجوداً قبل أو نحو ذلك التاريخ. هناك الكثير من الجدل بخصوص التاريخ القصر. وقد أرجعه بعض الباحثين إلى فترة خلافة الوليد الأول (86 /705-96 /715)، بينما أرجعه آخرون إلى ما قبل عام 65 / 685. وإن أخذنا بهذا التاريخ الأول، يكون الخرانة هو القصر الأموي الوحيد المعروف حتى الآن الذي بني قبل خلافة الفرع المرواني من بني أمية. أما بالنسبة لغرض استعمال قصر الخرانة، فيعتقد أنه كان مركزاً لاجتماع أمراء بني أمية بشيوخ القبائل المحلية.

(محمد الأسد)

3-1ج قصير عمره

يقع على بعد 80كم إلى الشرق من عمان و16كم شرقي الخرانة. وللوصول إلى الموقع



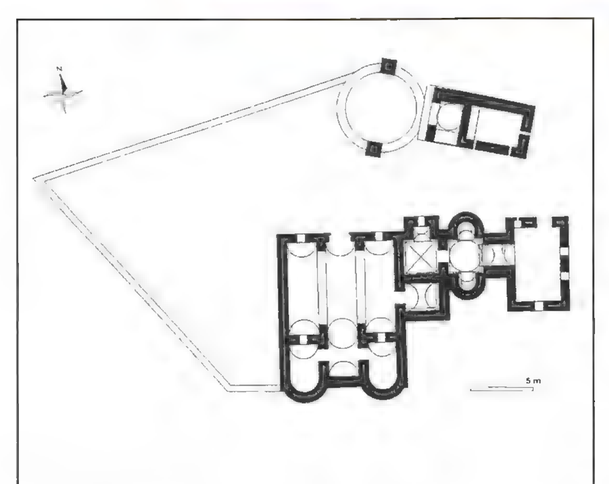
قصير عمره، غرفة الفرن خلف غرفة الحمّام الحارة، البادية.

من الخرانة استمر على نفس الطريق باتجاه الأزرق. الموقع مدْرج على قائمة اليونسكو للتراث العالمي ويحاذيه مركز للزوار.

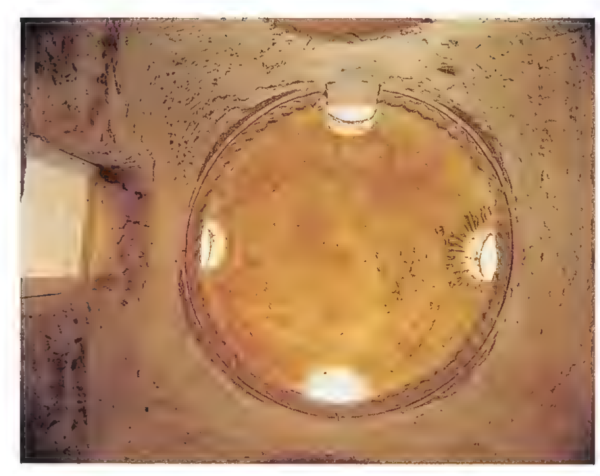
كلمة "قُصَير" هي تصغير "قصر" (المشتقة من Castrum اللاتينية وتعني القلعة أو الحصن). يحتوي هذا القصر الصغير نسبياً والمحفوظ بشكل جيد على قاعة استقبال وحمّام. وكان يزود بالمياه الوفيرة بواسطة ناعورة كانت تشغلها دابة لتخرج المياه من بئر دائرية عمقها 40م مبطنة بالحجارة، وبركة ماء (أنظر "المياه والريّ"). وأظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة وجود مبنى آخر على بعد 300م إلى الشمال الغربي من القصير الذي كان هو والمنشآت المائية التابعة له جزءاً من "ضيعة" كبيرة في البادية.

تتكون البقايا المكتشفة حديثاً من قصر صغير آخر فيه ساحة تحيط بها الغرف، وبرج مراقبة ونظام تزويد بالمياه شبيه بالمنشأة الأولى، وجدران إستنادية لمنع انجراف تربة الرقعة الزراعية.

يعكس شكل قصير عمرة الخارجي توزيع



مخطط قصير عمره، بعد سنة 92 | 711، البادية (عن Grabar, 1973).



قصير عمره، لوحة الأبراج السماوية التي تزيّن قبة غرفة الحمّام الحارة، البادية (تصوير J. L. Nou).

داخله. تبلغ أبعاد قاعة الاستقبال الصغيرة نسبياً حوالي 8.50×7.50م ويحدها من الجنوب ثلاث غرف صغيرة. تحتوي القاعة على ثلاثة أروقة مسقوفة بالعقود البرميلية يفصلها قوسان مستعرضان مدببان قليلاً يعتبران من أقدم الأمثلة على هذا الطراز في العمارة الإسلامية.



قصير عمره، لوحة الملوك الستة، البادية (تصوير J. L. Nou).

يتكون الحمّام الواقع إلى الشرق من قاعة الاستقبال من ثلاث غرف صغيرة. الغرفة الأولى هي غرفة خلع الملابس، وهي مسقوفة بعقد برميلي وتؤدي إلى الغرفة الدافئة المسقوفة بعقد متقاطع وأرضيتها مرتفعة كي تسمح بدوران الهواء الدافئ تحتها. تؤدي الغرفة الدافئة بدورها إلى الغرفة الحارة المسقوفة بقبة معلقة وفيها أربع نوافذ. يصل ممر كان في أعلاه خزان ماء من الغرفة الحارة إلى غرفة الفرن، وكانت الأنابيب الفخارية تصل ما بين خزان الماء والحمّام، بينما حملت أنابيب التصريف المياه المستخدمة من الحمّام إلى حفرة امتصاصية قريبة.

وجدت أرضيات فسيفسائية في غرفتين صغيرتين بمحاذاة قاعة الاستقبال، ورصفت غرف أخرى بالرخام، كم استخدم الرخام لتغطية أسفل الجدران حتى ارتفاع 80سم. إلا أن أهم ما يميز القصر هو الرسومات التي تغطي الكثير من جدرانه وسقوفه، وهي أغنى الرسومات الجدارية التي وصلتنا من الأبنية المدنية السابقة لفترة الرومانسك في أوروبا. تصور الرسومات عدداً كبيراً من المواضيع، فتوجد في قاعة الاستقبال مناظر الصيد والنساء شبه العاريات والتدريبات الرياضية إضافة إلى الحرفيين أثناء عملهم في الحدادة والبناء وقطع الأحجار، كما يظهر أحد الحكام وربما كان صاحب القصر محاطاً بالطيور وخادمين، ويحاذيه تجسيد للشعر والتاريخ والفلسفة.

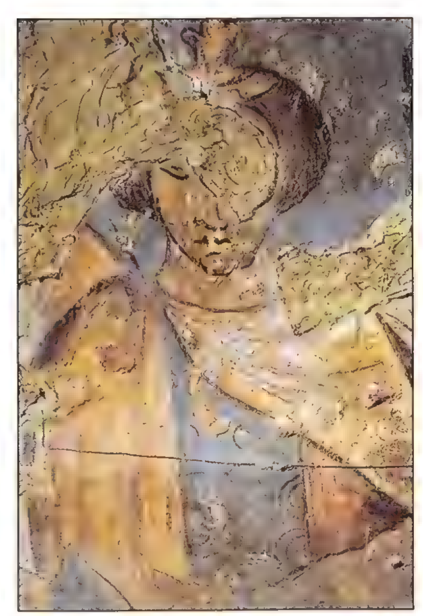
تصور لوحة شهيرة في الحمّام الأبراج

السماوية في نصف الكرة الشمالي، وفيها الدب الأكبر والدب الأصغر، وهي تزين قبة الغرفة الحارة.

إلا أن أشهر رسومات قصير عمره هي لوحة "الملوك الستة" في الجهة الجنوبية من جدار قاعة الاستقبال الغربي. تصور اللوحة الحاكم الأموي محاطاً بستة حكام عرّفوا على أنهم أباطرة بيزنطة وفارس والصين، وملك إسبانيا الغوطي الغربي، ونجاشي الحبشة وملك آخر هندي أو تركي. تعتبر اللوحة على أنها رمز لـ"عائلة الملوك" التي ينتمي إليها بنو أمية، وفيها إشارة إلى مكانة الخليفة الأموي الرفيعة بتقبله بيعة أهم حكام العالم.

بالإمكان ملاحظة التأثير اليوناني في مواضيع العديد من هذه الرسومات، وفي كون بعضها حاملاً لكتابات يونانية. ذكر المؤرخ غلين باورسوك أنه لا توجد أي إشارة في قصير عمره، باستثناء عمارة المبنى، على أن المنطقة كانت تحت سيطرة سلطة إسلامية، ويضيف أن ما نراه هناك هو ثقافة هلنية محلية لم تكن غريبة عن المنطقة. وتقع بعض مناظر الصيد ضمن ملاحظة باورسوك هذه إذ يبدو أنها استوحت من التقاليد البدوية التي تعود إلى أبعد من أي تأثير يوناني.

أرجع البعض قصير عمره إلى الوليد الأول (86 / 705 - 96 / 715) الذي وصلت



قصير عمره، جانب من لوحة الملوك الستة، البادية (تصوير J. L. Nou).

السلطة الأموية أوجها خلال فترة حكمه، وذلك من خلال دراسة لوحة الملوك الستة، إذ أن الوليد كان قد قهر معظم الحكام المصورين في اللوحة (أو أبنائهم في حالة الملك الفارسي)، كما أن فترة حكم ملك اسبانيا رودريك الغوطي من 91/710 إلى 92/711 انتهت بهزيمته على يد القوات المسلمة خلال فترة حكم الوليد. وفي حال كون هذا التفسير للوحة صحيحاً، فإن نهاية رودريك هي تاريخ بناء قصير عمره، أي أنه لا يمكن أن يكون قد بني قبل عام 711/ 92.

(محمد الأسد)

حياة الترف وتسلية الخلفاء

محمد الأسد



قصير عمرة، لوحة في الحمّام تمثل دبّاً يعزف على العود، البادية.

تشهد القصور التي وصلتنا من الفترة الأموية على حياة الترف التي سعى إليها أمراء بني أمية برعايتهم للفنون والعمارة، ونرى انعكاسات ترفهم هذا في كل من أرضيات خربة المفجر الفسيفسائية ومنحوتاتها الجصية، ورسومات قصير عمره، والقاعة الكبيرة التي تتقدم غرفة العرش في قصر المشتى.

إلا أن معظم ما وصلنا عن أسلوب حياة الأمويين هو من المصادر المكتوبة التي يعود أقدمها إلى ما بعد حوالي قرن ونصف من سقوط الخلافة الأموية. وهنالك مصدران هامان أولهما "كتاب الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني (284/897-356/967) بمجلداته الأربعة والعشرين التي جمعت الأغاني والأشعار الرائجة في بغداد خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كما أعطت معلومات عن الأساليب والعادات المتبعة في البلاطين الأموي والعباسي. المصدر الثاني هو "العقد الفريد" لابن عبد ربه (246 / 860 - 328 / 940)، وهو مجموعة كتابات تهدف إلى إرشاد رجال العلم في ذلك الزمان، وتحتوي أيضاً على معلومات عن حياة البلاط الأموي. وعلى غير المعتاد في تلك الفترة، يُظهر الكتابان محاباة لذكرى الأمويين، وربما أثر كون الأصفهاني من سلالة بني أمية، رغم كونه شيعياً، وعلاقة ابن عبد ربه بالبلاط الأموي الأندلسي في قرطبة، على رأيهما المخالف لآراء العديد من معاصريهم المعادية لبني أمية. لكن تبقى الفترة الزمنية الفاصلة بينهما وبين الأمويين في بلاد الشام لتشكك في دقة ما أورداه.

يذكراننا "كتاب الأغاني" و"العقد الفريد" بأن الاستماع للأغاني (وأحياناً المشاركة بالغناء) كان من أهم أساليب السلوى في بلاط أمراء بني أمية. ويذكر أن يزيد الأول، ثاني الخلفاء الأمويين، كان ملحناً وأدخل الغناء والآلات الموسيقية للبلاط الأموي. اشتهر بعض المغنين في البلاط الأموي مثل معبد بن وهب (المتوفي عام 125 / 743 - 744) من المدينة الذي

كان مقرباً من بلاط الوليد الأول ويزيد الثاني والوليد الثاني. أعجب يزيد الثاني بمغنيتين هما حبّابة وسلامة اللتين تتلمذتا على يد معبد. أما الوليد الثاني فكان يؤلف الأغاني ويعزف العود إضافة إلى استمتاعه بالغناء.

أما "عصر الأغنية العربية الذهبي" فأتى بعد سقوط الخلافة الأموية. ربما كان زرياب (المتوفي حوالي عام 236/850) أشهر مغني العرب. كان زرياب عبداً حرر وابتدأ الغناء في البلاط العباسي في بغداد. أثارت موهبته الفذة غيرة منافسيه وأجبرته مكائدهم على الهرب من بغداد. أستقر به الحال في قرطبة عاصمة الأندلس حيث رعاه الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني (206/822-238/852). يعود الفضل لزرياب في إدخال التراث الموسيقي البغدادي الراقي إلى الأندلس، وابتكار أسلوب موسيقي أندلسي. كان من أسس أول معهداً للموسيقى في الأندلس، وبما أنه كان متعلماً ومهذباً، أصبح من المقربين للأمير وله أتباع في البلاط الأموي الأندلسي. ويبدو أن مساهماته في حياة البلاط كانت متنوعة، وتضمن تصميم تسريحات الشعر وطبخ أطباق جديدة وتهذيب آداب التشريفات.

محميات الأزرق الطبيعية

تقع المحميات والموقع الأثري على بعد 110كم إلى الشرق من عمان و28كم من قصير عمره. وهي مفتوحة للزيارة في كل الأوقات. وللاستعلام، يمكن الاتصال بالجمعية الملكية لحماية الطبيعة 06-5334610 أو مركز زوار الأزرق 05-3835225.

تبعد محمية الشومري 10كم إلى الجنوب من الأزرق وتفتح أبوابها للزوار من 7:30 صباحاً إلى 6مساءً. تضم المحمية مساحة 22كم مربع، وهي من أولى المحميات في المنطقة. وتعتبر محمية الشومري للأحياء البرية مكاناً مثالياً لإعادة توطين وإكثار الحيوانات التي كانت قد انقرضت في البادية الأردنية.

محمية الأزرق المائية هي واحة كانت قد جفت وأعيد إحيائها بإعادة ضخ المياه إليها، وهي تحمي بيئة السبخات الحساسة التي تعتبر منطقة لاستراحة وغذاء للطيور المهاجرة في طريقها من وإلى إفريقيا. تهدد فترات الجفاف الطويلة والضخ الجائر للمياه الجوفية بفقدان الواحة التي تقلص حجمها بشكل كبير خلال العقود القليلة الماضية مما أدى إلى تغيير مسار هجرة العديد من الطيور بحثاً عن الطعام. محميتا الشومري والأزرق من المناطق الطبيعية النادرة التي تمكّن زوارها من الاستمتاع بالحياة البرية في بيئتها الأصلية وتعطيهم لمحة عن ثراء وتنوع الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في هذه المنطقة.

القصور الأموية

محمد الأسد، غازي بيشه

اليوم الثاني

3–2 وادي الضليل

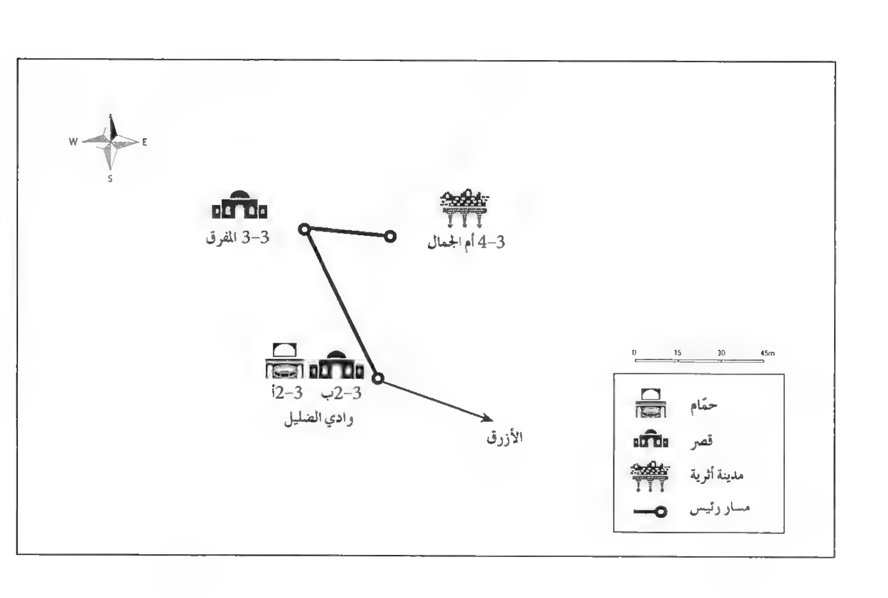
3–2أ حمّام الصراح

3–2ب قصر الحلابات

3–3 الفدين (المفرق)

3–4 أم الجمال

المياه والريّ



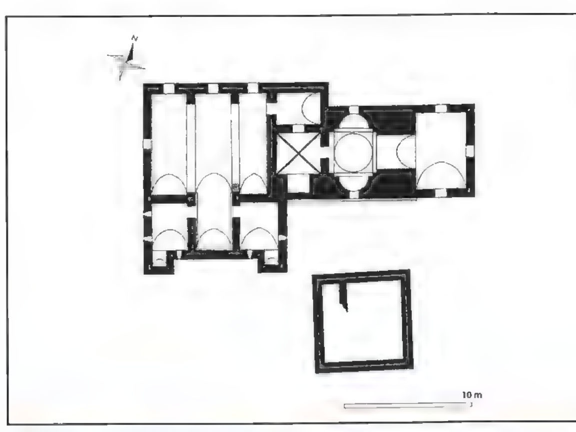
3-2 وادي الضليل

3-2أ حمّام الصراح

يقع على بعد حوالي 55كم شمال شرق عمان و2كم جنوب شرق قصر الحلابات. *للوصول إلى حمّام الصراح من الأزرق اتبع الطريق المؤدية إلى الزرقاء واتجه شمالاً.*

يشبه مخطط بناء حمّام الصراح مخطط قصير عمره، إلا أن حجارته وبناء مداميك جدرانه أفضل تهذيباً. ويتكون المبنى مثل قصير عمره من: قاعة استقبال وحمّام ومنشآت مائية. ويحاذيه أيضاً مسجد حديث العهد وغير مسقوف.

يتم الدخول للبناء من باب في الجدار الجنوبي، تعلوه عتبة حجرية نحت إطار مستطيل يبرز عند طرفيه مثلثين (tabula ansata) وإكليلين مربوط كل منهما بشريط. سقفت قاعة الاستقبال بثلاثة أقبية برميلية مرتكزة على الجدران الجانبية وعقدين مستعرضين ينبثقا من على قاعدتين بارزتين عن الجدران. توجد عند زاوية قاعة الاستقبال الشمالية الشرقية بركة فيها نافورة تصلها المياه من خزان وضع إلى الشرق. توجد حنية في نهاية رواق القاعة الأوسط على جانبيها بابين يؤديان إلى غرفتين جانبيتين كانتا مرصوفتين بالفسيفساء الملونة. وفي الزوايا الخارجية خلف الغرفتين الجانبيتين، يوجد تجويفين مستطيلين يبرزان عند الجدار الشرقي من الواضح أنهما كانا مرحاضين.



مخطط حمّام الصراح، القرن الثاني الهجري | الثامن الميلادي، وادي الضليل (عن Creswell, 1958).



منظر داخلي في حمّام الصراح، وادي الضليل.



حمّام الصراح، الأعمدة الحاملة لأرضية الغرفة الحارة، وادي الضليل

يؤدي باب في زاوية قاعة الاستقبال الشمالية الغربية إلى غرفة خلع الملابس المسقوفة بقبو برميلي، وفي وسط الجدار الشرقي يوجد باب يؤدي إلى الغرفة الدافئة المسقوفة بأقبية متقاطعة. يوجد في نهاية الغرفة، مقابل المدخل، ارتداد شبه مربع مسقوف بقبو برميلي. تخترق ثلاثة تجاويف مستطيلة السقف إلى الخارج في الجزء العلوي من الجدار الجنوبي، وهي مواضع تثبيت الأنابيب الفخارية الحاملة للهواء الساخن. حمل 25 عمود صغير من الآجر المستدير أرضية هذه الغرفة. يؤدي باب في وسط الجدار الشمالي إلى الغرفة الحارة، وفيها على اليمين وعلى اليسار تجويفين شبه دائريين تغطيهما أنصاف قباب هما حوضين ليرش المستحمون أنفسهم بالماء منهما، جدران الحوضين مخرومة بالعديد من الثقوب الصغيرة لتثبيت الرخام فيها. كانت الغرفة الحارة مسقوفة أصلاً بقبة كروية بنيت بواسطة 19 ضلعاً من الحجر الصفائحي الخفيف الوزن. تتكون حجرة التدفئة تحت الأرضية من 16 دعامة وضعت في أربعة صفوف. في الجهة الشمالية يوجد ممر معقود يؤدي إلى فتحة الفرن وإلى ساحة مفتوحة كانت لتخزين الوقود وخدمة الحمّام.

تقع المنشآت المائية إلى الشرق من الحمّام، وتتكون من ثلاثة أقسام رئيسة هي:

أ- خزان ماء مربع مرتفع للسماح بانسياب المياه منه بتأثير الجاذبية.

ب– بئر قطرها 5م مبنية بالحجارة المشذبة.

ج– محيط مستدير مبني في معظمه من الحجارة غير المشذبة والصرار، وهو المنطقة التي كانت تدور فيها البهيمة لتشغيل الساقية ورفع الماء من البئر إلى الخزان.

في النهاية لا بد من الإشارة إلى أن حمّام الصراح لم يكن بناءً منعزلاً قائماً بذاته بل كان مرتبطاً بقصر الحلابات الذي أعيد بناؤه في الفترة الأموية.

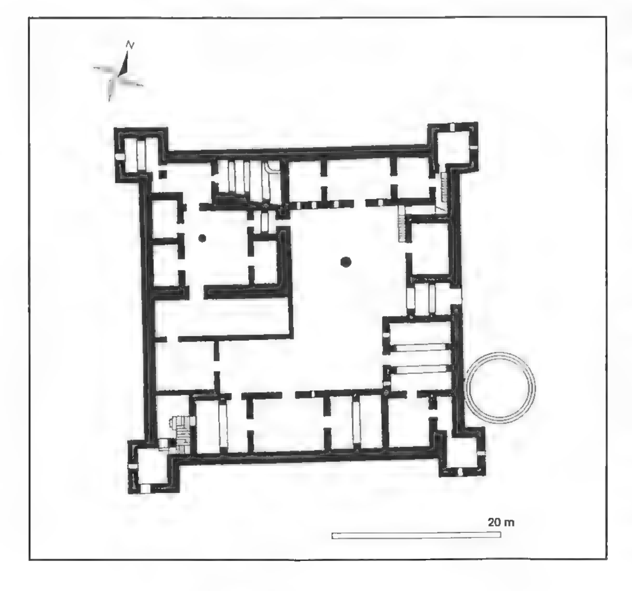
(غازي بيشه)

3–2ب قصر الحلابات

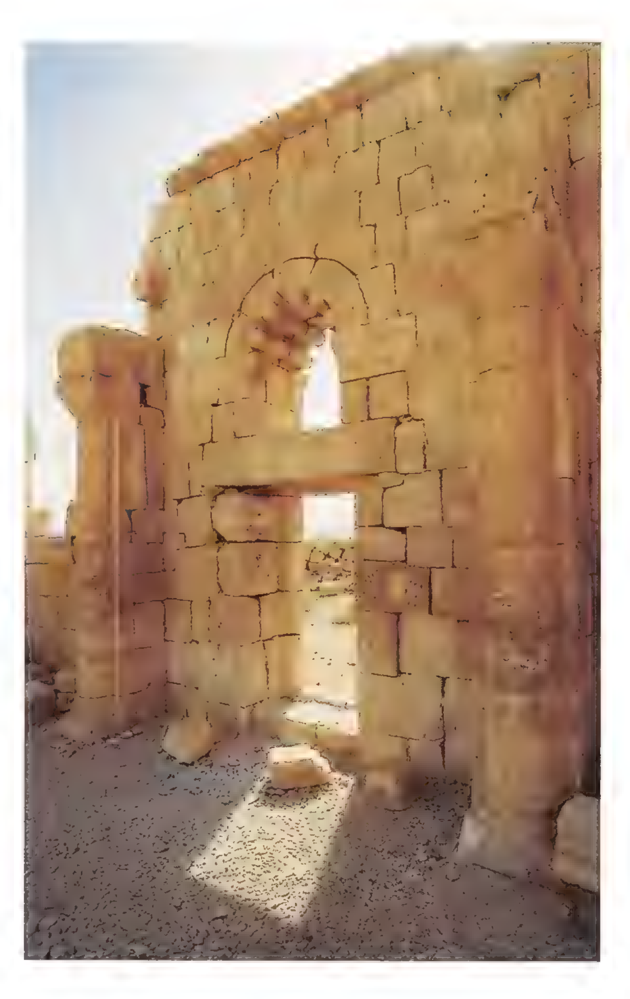
يبعد 65كم تقريباً إلى الشرق من عمان و30كم شرقي الزرقاء، وعلى بعد 18كم (إلى الشمال الغربي) من أقرب نقطة لـ"طريق تراجان الجديدة". بالإمكان الوصول إلى الموقع من حمّام الصراح على نفس طريق الأزرق–الزرقاء باتجاه الشمال. كلا الموقعين مفتوحين للزوار خلال النهار ولا يوجد رسم دخول لهما.

يتكون موقع قصر الحلابات من مجموعة منشآت منتشرة على مساحات واسعة وتشمل: القصر، والمسجد، وبركة ضخمة، وثماني آبار محفورة في السفح الغربي بالإضافة إلى بركة. وفي المنطقة المنبسطة، قريباً من البركة، يوجد فناء زراعي ذو نظام ريّ متطور، وبين البركة والفناء الزراعي توجد مجموعة من البيوت البسيطة أو المتواضعة يبدو أنها كانت تخص العمال والمزارعين. لا بد من إضافة حمّام الصراح الواقع على بعد 2كم شرقاً إلى مجموعة المنشآت هذه.

مخطط القصر مربع طول ضلعه 44م تقريباً، وله أبراج مربعة تبرز عن سمت الجدران في الزوايا الأربع. يتم الدخول إلى المبنى عبر بوابة في وسط السور الشرقي حيث تفتح على ممر يؤدي إلى ساحة مرصوفة ببلاطات حجرية. من المحتمل أن سقائف كانت تحيط بالساحة أصلاً إذ أن سطوح الجدران المواجهة للساحة كانت مغطاة بالقصارة الجصية التي لا تزال أجزاء منها محتفظة ببقايا من الدهان البني الداكن. تحيط مجموعة من الغرف المستطيلة والمربعة ثلاثة جوانب من الساحة المركزية. يحتل مبنى داخلي مستقل القسم الشمالي الغربي، وهو بدوره يتكون من ساحة مركزية محاطة بالغرف من كل الجهات باستثناء الجهة



مخطط قصر الحلابات، وادي الضليل (عن Piccirillo, 1986).



واجهة مسجد قصر الحلابات، وادي الضليل.

الجنوبية. يضم هذا القسم المتكامل ضمن مبنى القصر معاصر عنب وأحواض صغيرة وربما كان هذا القسم مخصصاً لإعداد المواد الغذائية وخزنها. توجد بئر ماء في كلا الساحتين المركزيتين.

هنالك كتابتان يعتقد أنهما مرتبطتان بالمراحل المعمارية للقصر: واحدة باللاتينية مؤرخة لعام 212م وتشير إلى إنشاء قصر جديد، والأخرى باليونانية مؤرخة لعام 529م. إضافة إلى هذه الكتابات، تم العثور على 142 كتابة يونانية وكتابتين نبطيتين وكتابة صفوية وأخرى أرمنية حديثة خلال أعمال التنقيب والتنظيف في القصر. تعود معظم الكتابات اليونانية المحفورة على الحجارة البازلتية المشذبة لمرسوم أصدره الإمبراطور البيزنطي أنستازيوس (491-518م) لإعادة تنظيم شؤون الولاية العربية إدارياً واقتصادياً. من المحتمل أن هذه الحجارة كانت قد جلبت من مدينة قريبة، من أم الجمال على أغلب الاحتمالات، وأعيد استعمالها في إعادة بناء القصر خلال الفترة الأموية. وعند إعادة البناء هذه، أضفيت الزخارف الجميلة للمبنى مثل الجص المنحوت والرسومات الجدارية والفسيفساء الملونة، وتحول القصر بذلك من حصن إلى قصر فاخر. واكب هذا التحول تطور هام في الموقع يمكن ملاحظته في ظهور معالم جديدة مثل المسجد الواقع خارج الأسوار، والفناء الزراعي، وحمّام الصراح التابع لمنشآت قصر الحلابات.

(غازي بيشه)

المياه والريّ

غازي بيشه

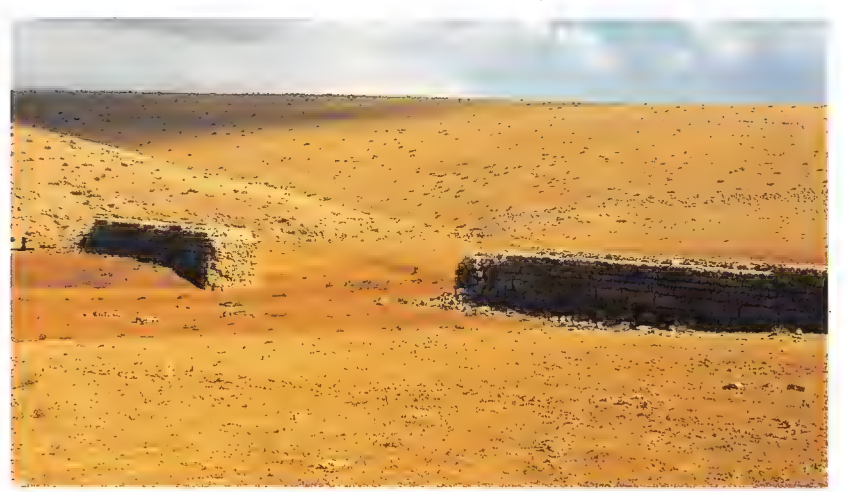
وصل الأردن أعلى درجات التنمية الاقتصادية في الفترة البيزنطية، والتي شملت ازدهار المناطق الريفية. تظهر المسوحات الأثرية أن عدد المستوطنات الريفية في الفترة البيزنطية كان أكبر من أي فترة سابقة، ومن المحتمل أن ازدهار الريف خلال الفترة البيزنطية كان على حساب المدن التي تضاءل حجمها وقلّ عدد سكانها. إلا أن الصراع مع الساسانيين شاب العقود الأخيرة من الحكم البيزنطي (أنظر فصل "الأمويون: نشأة الفن الإسلامي") فكانت تلك عقود انحسار رغم الاستمرارية في بناء الكنائس. للأسف لا تشير المصادر العربية إلى الأنشطة الزراعية في الأردن خلال الفترة الإسلامية المبكرة سوى في إشارات قليلة غير كافية لتكوين فكرة واضحة عن التوجه الكلي للتطور الزراعي آنذاك، إلا أن الأدلة الأثرية والنقوش تغطي هذا النقص وتدل على أن خلفاء وأمراء بني أمية قد رعوا مشاريع الحصاد المائي كجزء من سياسة شاملة لاستصلاح الأراضي. أشار الباحث الفرنسي جان سوفاجيه إلى أن الأبنية المسماة "القصور الأموية الصحراوية" (القسطل، الموقر، المشتى، قصير عمره، وغيرها) كانت دائماً مزودة بمنشآت مائية مثل البرك والخزانات والسدود والقنوات، وأقترح أنها كانت مراكز للنشاطات الزراعية. لم تستخدم تلك المنشآت لتزويد القصر المحاذي بالمياه فحسب، بل كانت تروي الحقول والبساتين أيضاً. توجد العديد من الآبار المحفورة بالصخر في محيط القسطل والموقر والمشتى والحلابات، ونرى السدود الكبيرة في القسطل والقناطر (أنظر "القناطر") ما بين القسطل وأم الوليد. تفيد كتابة عربية بأن يزيد الثاني (بن عبد الملك) أمر ببناء بركة في الموقر (أنظر "بركة الموقر").



السد الجنوبي الشرقي، القناطر.

المياه والريّ

في الحلابات تم تحويل الحصن العائد لما قبل الإسلام إلى قصر فخم مزين بالفسيفساء والجص المحفور والرسومات الجدارية، وواكب هذا التحول بناء منشآت جديدة: حمّام (حمّام الصراح) ومسجد خارج أسوار القصر، وبركة ضخمة وآبار عدة. على بعد حوالي 400م إلى الشرق من القصر، توجد منطقة زراعية محددة بجدران قليلة الارتفاع مساحتها 270×220م أقيم فيها نظاماً للريّ مكون من عدة سدود صغيرة وبوابات سقاية لتوزيع المياه على الرقع المستطيلة داخل حدودها. كان صاحب الفدين (أنظر "الفدين (المفرق)") أحد أحفاد الخليفة عثمان بن عفان، كما امتلك أيضاً أراض واسعة حول القصر هناك. بعكس العراق، حيث أنشأت أنظمة الريّ مع إنشاء المدن الجديدة (الأمصار، ومفردها "مصر") مثل البصرة والكوفة وواسط، فضل أثرياء العرب في بلاد الشام المناطق غير المأهولة واستصلاح الأراضي الجرداء، ربما لتفادي مطالب أصحاب الأراضي والفلاحين، والاستفادة من قلة الضرائب، إذ كان صاحب الأرض المستصلحة يدفع ضريبة العشر وهي أقل من ضريبة الأرض الزراعية (الخراج) مما كان يزيد من عوائد مستثمري الأراضي الجديدة، لذا سعى الأمراء ورؤساء القبائل وكبار موظفي الدولة للربح من تحسين الأراضي الجرداء (الموات)، وانتشرت الزراعة إلى المناطق الواقعة على حافة الصحراء. ذكرت المصادر العربية صفات كل من الخلفاء الأمويين، فكانت صفة الوليد ابن عبد الملك (86/705-96/715) حبه للمعمار، وإنشاء أنظمة الريّ، واستصلاح الأراضي. في عهده، قام الناس باستصلاح الأراضي والمزارع، مؤكدين المثل القائل "الناس على دين ملوكهم".



السد الشمالي الغربي، القناطر.



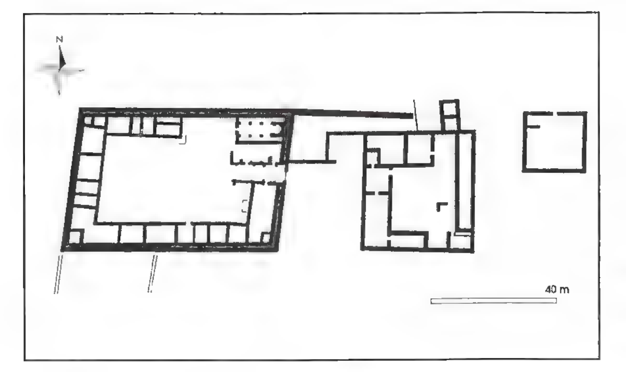
الحمّام، الفدين (المفرق).

3-3 الفدين (المفرق)

يوجد *الموقع ضمن مدينة المفرق، حيث تفترق الطرق المؤدية إلى سوريا شمالاً وإلى العراق شرقاً، على بعد حوالي 70كم إلى الشمال الشرقي من عمان. أسهل الطرق للوصول إلى الموقع من الحلابات عبر الزرقاء ثم الاتجاه شمالاً نحو المفرق. للاستعلامات: مكتب آثار المفرق 02-6231885.*

"فدين" هي تصغير كلمة "فدن" الآرامية والتي تعني السور أو المبنى العالي والمرتفع. سُكن الموقع في العصر الحجري الحديث ومن ثم في العصور البرونزية. في العصر الحديدي، وربما في القرن التاسع قبل الميلاد، أنشئ مبنى محصن مساحته 70×50م لحماية المنطقة من هجمات القبائل البدوية. يبدو أن المبنى دمر في القرن الثامن قبل الميلاد، ربما أثناء حملة الملك الآشوري تغلاث بيلاسر العسكرية في 732ق.م. في الفترة البيزنطية، كان يوجد دير في الموقع تم تحويله إلى قصر في الفترة الأموية.

تتخذ آثار الفدين شكلاً مستطيلاً (180×60م) وتتكون من ثلاث وحدات معمارية رئيسة:



مخطط الفدين (بإذن من عبد القادر الحصان).

– مبنى مستطيل (70×47م) تحيط به أسوار سميكة بنيت بحجارة ضخمة يصل وزن بعضها إلى خمسة أطنان. تتوسط المبنى ساحة مركزية محاطة بالغرف المبنية داخل الأسوار. توجد كنيسة صغيرة عند الزاوية الشمالية الشرقية رصفت أرضيتها بالفسيفساء. هنالك ممر إلى الجنوب من الكنيسة تمت إضافته في الفترة الأموية، وجدت فيه مجموعة من القوالب المعدنية على هيئة حيوانات منها فيل وكبش، كما احتوى نفس الممر على كانون نار برونزي ومبخرة والعديد من الآنية المصنوعة من الحجر الصابوني (أنظر "متحف الآثار الأردني").

– مبنى مربع مساحته 40×40م له ساحة مركزية محاطة بغرف ذات مساحات مختلفة. كان هذا المبنى مسكناً لصاحب الفدين. ألحق به حمّام في الجهة الشمالية بكافة مكوناته من فرن وغرف باردة ودافئة وحارة رفعت أرضيتها على أعمدة لتسخينها، إضافة إلى قاعة لخلع الملابس والاسترخاء. إلى الجنوب من الحمّام يوجد مسجد أعيد إعماره عدداً من المرات كما يستدل من التعديلات على مخططه الأصلي. غطي حائط القبلة الجنوبي بزخارف الجص المحفورة والتي أرخت لبداية الفترة العباسية.

– مبنى مربع صغير مساحته 20×20م وتاريخه متأخر نسبياً.

لدينا معلومات عن تاريخ وأصحاب الفدين من المصادر العربية. ابتاع خالد بن يزيد بن معاوية ضيعة الفدين الزراعية مقابل "الخضراء"، أي القصر ذو القبة الخضراء في دمشق. انتقلت ملكية الفدين فيما بعد إلى سعيد



الأعمدة الحاملة لأرضية الغرفة الحارة في حمّام الفدين (المفرق).

بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان، سليل ثالث الخلفاء الراشدين. تزوجت إحدى بنات سعيد من الخليفة هشام بن عبد الملك، وكانت أختها سعدى زوجة الوليد الثاني وتوفيت قبل تسلمه الخلافة. عند وفاتها تزوج الوليد الثاني من أختها سلمى التي توفيت بدورها قبل مقتل زوجها. يبدو أن ملكية الفدين بقيت في عائلة سعيد حتى نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري / النصف الأول من القرن التاسع الميلادي. خلال خلافة الخليفة العباسي المأمون (197/813-218/833)، قاد سعيد الفديني فتنة ضد الخليفة وطالب بالخلافة لنفسه، إلا أن قوة عباسية بقيادة يحيى بن صالح تمكنت من القضاء على الفتنة وهرب الفديني ودمرت الفدين. تعتبر الفدين من الأراضي التي استصلحت على أيدي أثرياء العرب في بلاد الشام، وذكرت في المصادر العربية على أنها "ضيعة" أي ملكية زراعية. (غازي بيشه)

3-4 أم الجمال

تقع آثار أم الجمال على بعد 20كم إلى الشرق من المفرق. بالإمكان الوصول للموقع من المفرق بالسيارة. للاستعلام يمكن الاتصال بمكتب استعلامات السياحة 02-6267040.

يتكون موقع أم الجمال من قسمين. القسم الأول محفوظ بشكل جيد ويشير إليه علماء الآثار على أنه "بلدة" أم الجمال. امتد السكن في هذا القسم خلال الفترات الرومانية والبيزنطية والأموية، من القرن الثاني حتى منتصف الثامن الميلادي. أما القسم الثاني، فمساحته حوالي نصف مساحة البلدة وسمي بـ"قرية" أم الجمال. وبعكس البلدة، فإن القرية، التي تقع على بعد 200م إلى الشرق من البلدة، مخرّبة بالكامل. سكنت القرية خلال الفترات النبطية والرومانية، بين القرن الأول والقرن الرابع الميلادي. كانت قرية أم الجمال مستوطنة مدنية ولم تحاط بالأسوار مما يدل على الأمن السائد خلال فترة "السلم الروماني" *pax romana* عندما أصبحت المنطقة ولاية رومانية في بداية القرن الثاني الميلادي. تظهر المخلفات الأثرية أن القرية كانت على اتصال مباشر ببصرى الشام (القريبة منها والواقعة حالياً في سوريا) عاصمة الولاية العربية في الإمبراطورية الرومانية. وتذكر





زخارف الجص المحفورة في مسجد الفدين (المفرق).

مخطط أم الجمال (عن de Vries، 1998).
1 الكنيسة الشمالية
2 الكنيسة الشمالية الشرقية
3 الكنيسة الغربية
4 الكاتدرائية
5 خزان الماء الرئيس
6 مركز القيادة
7 كنيسة نومريانوس
8–9 مجمعات سكنية
10 الكنيسة الجنوبية الغربية
11 مصلى الثكنات
12 الثكنات
13–14 مجمعات سكنية

المصادر التاريخية أنه كان لسكان أم الجمال ممثلين في مجلس مدينة بصرى خلال القرنين الثاني والثالث.

أسست بلدة أم الجمال في القرن الثاني الميلادي كمركز إداري وعسكري روماني. كان سكانها في معظمهم جنوداً وإداريين رومان، بينما بقي المدنيون في القرية المجاورة. ولا تزال أجزاء من مبنى القيادة (praetorium) وثكنات الجيش الروماني (castellum) موجودة حتى الآن. بإمكان المرء أيضاً رؤية بقايا أحد أقدم الأبنية في البلدة، وهي البوابة الشمالية الغربية التي تحمل كتابة مؤرخة لفترة حكم الإمبراطور كومودوس (161–192م).



كانت هذه البوابة واحدة من ثماني بوابات في أسوار البلدة الدفاعية.

كانت أهمية أم الجمال خلال الفترة الرومانية ثانوية بالمقارنة مع مدن الديكابوليس الرئيسة مثل بوسترا (بصرى) وفيلادلفيا (عمان) وجراسا (جرش)، وافتقدت التخطيط المدني والصروح المعمارية والعامة التي ميزت المدن الكلاسيكية.

ازدهرت البلدة خلال الفترة البيزنطية، خاصة في القرن السادس الميلادي. شهدت تلك الفترة ضعفاً لسيطرة الإمبراطورية في المنطقة، وربما كانت المدن مثل أم الجمال مسؤولة عن الدفاع عن نفسها. من المحتمل أن البلدة كانت محطة للقوافل المارة بالمنطقة، والأهم من ذلك أنها كانت مركزاً تجارياً للمنتجات الزراعية المحلية. وبعكس الفترة الرومانية التي ازدهرت خلالها المراكز المدنية الكبيرة، تميزت الفترة البيزنطية بازدياد عدد البلدات الصغيرة والقرى في الريف بسبب النمو في إنتاج وتجارة المحاصيل الزراعية، وأم الجمال مثالاً على هذه البلدات الريفية المزدهرة إذ يعتقد أن عدد سكانها قد ازداد خلال تلك الفترة ليصل إلى حوالي 3000 نسمة.

تحولت البلدة خلال تلك الفترة من مركز عسكري وإداري إلى مستوطنة مدنية، وكثر بناء الكنائس فيها كما حدث في المناطق الأخرى خلال الفترة البيزنطية. وجدت بقايا 15 كنيسة في أم الجمال، أكبرها كنيسة جوليانوس التي كانت تؤرخ إلى عام 345، إلا أن الأبحاث الحديثة بيّنت أنها لم تبنى إلا مع نهاية القرن



ثكنات الجيش الروماني، أم الجمال.

الخامس أو في القرن السادس الميلادي.

من المحتمل أن سكان بلدة وقرية أم الجمال كانوا من القبائل العربية المحلية، وتدل الكتابات في الموقع على أنهم استعملوا اللغة اليونانية وأيضاً النبطية التي هي من اللغات السامية المحلية.

استمر السكن في أم الجمال خلال الفترة الأموية إلا أن عدد سكانها تضائل وانحصرت معظم أعمال البناء الأموية على تجديد الأبنية السابقة بما فيها مركز القيادة الروماني الذي أعيدت قصارة معظم غرفه وبلطت أرضية "الغرفة المصلبة" فيه بالفسيفساء. ولا يبدو أن السكن في البلدة استمر بعد الفترة الأموية، وربما هجرت في أعقاب زلزال عام 131 / 749 الذي خلف دماراً شاملاً في معظم مدن وقرى المنطقة.

هجرت البلدة حتى بداية القرن العشرين عندما انتقل إليها عدد من الدروز من جبل العرب القريب من الموقع، وأقاموا فيها لمدة حوالي ثلاثة عقود أعادوا خلالها بناء واستعمال عدد

من الأبنية التاريخية. ومن الصعب تفرقة بناء الدروز عن الأبنية الأصلية عند النظرة الأولى إذ أنهم بنوا بأسلوب شبيه بالبناء الأصلي. كذلك استخدمت الجيوش الفرنسية والبريطانية الموقع كمعسكرات حربية قبل ترسيم الحدود الحديثة بين الأردن وسوريا في العشرينات من القرن العشرين. بعد ذلك سكنت العائلات البدوية المحلية الموقع حتى عام 1975 عندما استملكته الحكومة الأردنية لحماية الآثار فيه. من المثير للانتباه أن اسم "أم الجمال" لم يذكر قبل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، رغم أن هذا الاسم هو ما حفز الاعتقاد بأنها كانت محطة على طريق القوافل. لا نعرف حتى الآن اسم الموقع القديم، ولا تعطي الكتابات العديدة المنقوشة الموجودة في الموقع أي معلومات عن الاسم قبل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي.

لا تتلقى منطقة أم الجمال سوى القليل من الأمطار معدلها 100ملم سنوياً تهطل بين شهري نوفمبر / كانون الأول ومارس / آذار. وبما أنه لا توجد أي مياه جوفية أو ينابيع في الموقع، فقد اعتمد السكان تجميع مياه الأمطار وتخزينها في الآبار والخزانات. وكان لكل مسكن بئر واحدة على الأقل، ويوجد عدد من الخزانات العامة في البلدة.

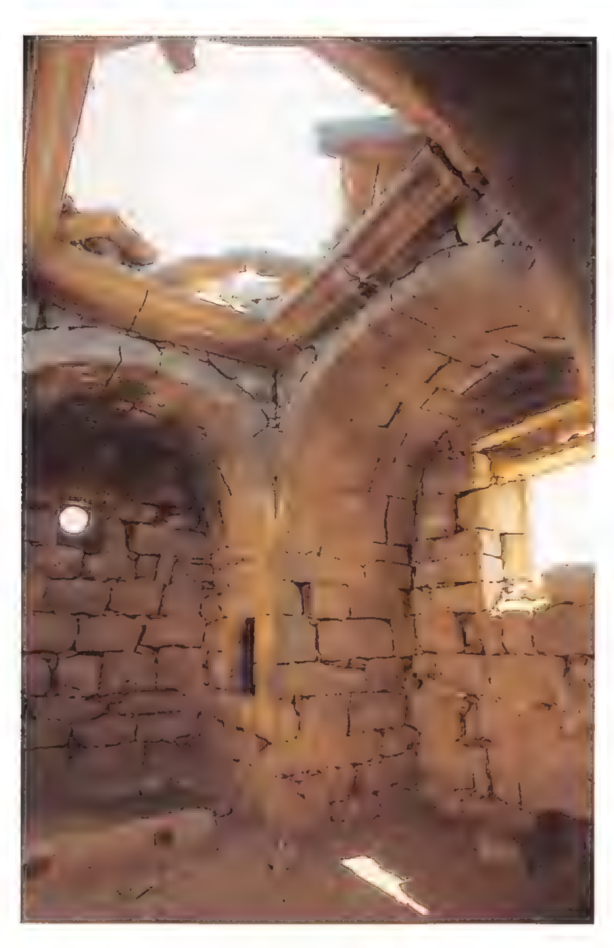
أول ما يلفت النظر في أم الجمال هو حجر



منظر داخلي في مركز القيادة praetorium، أم الجمال.

البازلت الأسود المستخدم في البناء. يضفي هذا الحجر البركاني الداكن نوعاً من الرهبة على الموقع وهو متوفر في المنطقة (منطقة الحرّة). ولم يستخدم للجدران والأسوار فقط، بل استخدم أيضاً للسقوف التي صنعت من ألواح طويلة من البازلت وضعت على نطوف (أو نتوءات في أعلى الجدران جعلت بإزاحة الصف العلوي إلى الداخل)، أو على أقواس بنيت قريبة من بعضها البعض. وحتى الأبواب صنعت من نفس الحجارة بدلاً من الخشب النادر الوجود في المنطقة، ويعزى بقاء عدد كبير من الأبنية في الموقع لاستعمال هذا الحجر الصلب بكثرة فيها.

(محمد الأسد)



منظر داخلي في مركز القيادة praetorium، أم الجمال.



المدن العشر (ديكابوليس) في الفترة الأموية

فوزي زيادين، إينا كيربرج، لارا طعمه، غازي بيشه

4–1 عمّان

4–1أ متحف المسكوكات

4–2 جرش (جراسا)

4–2أ موقع جرش الأثري

4–2ب متحف آثار جرش

فواخير جرش

4–3 إربد

4–3أ متحف آثار إربد (دار السرايا)

4–3ب متحف التراث الأردني

4–4 أم قيس (جدارا)

4–4أ موقع أم قيس الأثري

4–5 طبقة فحل (بيلا)

4–5أ موقع طبقة فحل الأثري

زيارة إختيارية

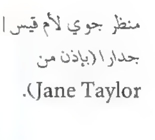
البحر الميت

النقود الإسلامية المبكرة

Itinerary IV
N
W
E
S
4 4أ أم قيس
4–5أ طبقة فحل
4–3أ 4–3ب
إربد
جرش
4 2أ، 4–2ب
عمان
4 1أ
البحر الميت
0 15 30 45km
متحف
موقع أثري
مسار رئيس
مسار اختياري

الكنيسة المثمنة، أم قيس.





منظر جوي لأم قيس / جدارا (بإذن من Jane Taylor).

نشأت مجموعة المدن العشر بعد حملة القائد الروماني بومبي Pompey على سوريا وفتح دمشق عام 64ق.م وتأسيس الولاية السورية، وكان الهدف إعادة بناء المدن التي اعتنقت الحضارة الهيلينية والتي دمرها الإسكندر جانيوس بعد ثورة الحشمونيين عام 167ق.م انتقاما لأبناء جنسه. كان عدد هذه المدن عشرة في الأصل كما يدل على ذلك اسمها، ولكن هذا العدد تغير مع الزمن من إحدى عشر إلى ثمانية عشر مدينة، وكانت سبع منها في الضفة الشرقية للأردن هي: طبقة فحل – بيلا Pella، أم قيس – جدارا / Gadara، قويلية – ابلا Abela، وبيت راس – كابيتولياس Capitolias، وأضيفت إليها اربد – اربلا / Arbela، وجرش – جراسا / Gerasa وعمان – فيلادلفيا Philadelphia.

ومن ناحية أخرى كان العرب الأنباط في أوج ازدهارهم فامتد نفوذهم من الحجاز إلى البتراء وصحراء النقب وسيناء ثم إلى سهول حوران. وحكموا دمشق من 84-72ق.م. كانت المدن العشر حاجزا أمام توسع الأنباط ومركزاً للحضارة الهلينية–الرومانية وذلك في تخطيط المدن وبناء المعابد، ولم يضم هذه المدن أي حلف عسكري ولكن كانت اللغة اليونانية لغتها الرسمية وعبدت الآلهة الهلينية والرومانية إلى جانب الآلهة الشرقية، وكانت تضم المسارح والحمامات وتقطعها شوارع مزينة بالأعمدة. وبعد ثورة ملكة تدمر زنوبيا اجتاح الإمبراطور اورليان الشرق ودمر مدينة تدمر، ولما استولى ديوقلسيان على الحكم عام 184م قسم الشرق إلى ثلاث ولايات هي: فلسطين الأولى والثانية

والثالثة، وكانت عاصمة فلسطين الثالثة مدينة البتراء. وعندما انتصر قسطنطين الكبير عام 313م وجعل القسطنطينية عاصمة له، سمح للمسيحيين بممارسة ديانتهم، وظهرت نهضة معمارية لبناء الكنائس كان أشهرها كنيسة يوحنا لاتران St John Latran في روما وهي على نظام البازليكا وفرشت أرضياتها وجدرانها بالفسيفساء بحيث أصبحت النموذج الأول لبناء الكنائس.

عندما فتح العرب المسلمون سوريا وفلسطين عام 15 /636 انتقلت السلطة سلمياً واستمر المسيحيون ببناء الكنائس وتزينها بالفسيفساء وبسبب تسامح الخلفاء (راجع "المقدمة الفنية والتاريخية"). بعد أن جعل الخليفة معاوية بن أبي سفيان دمشق عاصمة للدولة الأموية أصبحت جرش محطة ذات شأن على طريق الحج إلى الديار الإسلامية المقدسة في الحجاز تليها مدينة عمان – فيلادلفيا.

ففي جرش وعلى جانب الشارع الرئيس المعمد والذي يقطع المدينة من الشرق إلى الغرب كشف التنقيب عن حي أموي أقيم على أساسات رومانية–بيزنطية. كما وظهر على جانب الشارع الكاردو الممتد من الشمال إلى الجنوب ومقابل سبيل الحوريات مسجد أموي صغير. ولكن المسجد الرئيسي ظهر في الحفريات الأخيرة بين السبيل وتقاطع الشارعين الرئيسين.

استمر ازدهار مدن الديكابوليس التجاري وضربت العملة التي كانت تحمل في البدء شعارات بيزنطية إلى أن عرب عبد الملك بن مروان الدواوين والعملة عام 685م. واستفادت المدن العشر في الشمال من الازدهار



شارع الأعمدة في جرش | جراسا.



وجه دينار أموي، عبد الملك بن مروان، متحف المسكوكات | البنك المركزي، عمان.



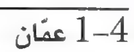
ظهر دينار أموي، عبد الملك بن مروان، متحف المسكوكات | البنك المركزي، عمان.

العمراني في العصر الأموي، فأقيم حمام في أم قيس – جدارا (حمة جادر) في عهد معاوية بن أبي سفيان (41/661-60/680).

وفي أم قيس– جدارا أيضاً كانت الكاتدرائية البيزنطية عند المدخل الغربي للمدينة لا تزال عامرة في العصر الأموي وكذلك الحمامات، أما بيت راس – كابيتولياس فقد اشتهرت بكروم العنب وإنتاج النبيذ فأقام بها الخليفة يزيد الثاني بن الوليد (101/720-105/724) برفقة الجارية حبّابة التي لاقت المنية عندما شرقت بحبة رمان.

واستمر خلفاء بني أمية في اقتباس الفن المعماري القديم لبناء القصور واستراحات الصيد والحمامات وتزينها بالفسيفساء والجداريات (الفرسكو) كما نلاحظ ذلك في قصير عمره وحمام الصراح والحلابات.

(فوزي زيادين)



4-1 عمّان

4-1أ متحف المسكوكات

يقع متحف المسكوكات في البنك المركزي الأردني بوسط عمان. يفتح المتحف أبوابه أيام الأسبوع من الساعة 9 صباحاً – 3 مساءً ولا يوجد رسم دخول. يقتني المتحف أكثر من 2000 مسكوكة من مختلف الفترات التاريخية بدءاً بالهلنستية وحتى الإسلامية، بما فيها الإصدارات الأردنية خلال القرن العشرين. للاستعلامات: متحف المسكوكات 06-4630301.

قلت إصدارات العملة تدريجياً في الفترة الأموية وخلال الفترات الإسلامية اللاحقة. في البداية، استخدم الأمويون في بلاد الشام العملة البيزنطية كعملتهم الرئيسة، بل وأعادوا سكها بوضع شعاراتهم فوق الصور البيزنطية. وفي العراق والأقاليم الشرقية سك الأمويون العملة الفضية (الدراهم) على الطراز الساساني فحملت صورة الملك الساساني وكتابات بالخط

ظهر مجموعة الدنانير المسكوكة في فترة حكم الوليد بن عبد الملك، متحف المسكوكات | البنك المركزي، عمّان.



ظهر مجموعة الدراهم المسكوكة في فترة حكم الوليد بن عبد الملك، متحف المسكوكات | البنك المركزي، عمّان.



الفهلوي، ومع الزمن أضيفت الكتابات العربية وأسماء الخلفاء. في عام 77هـ / 696-697م عرّب الخليفة عبد الملك بن مروان العملة الأموية ووضع مقاييس جديدة للعملة الإسلامية ألغيت فيها كافة التصاوير واستبدلت بالكتابات التي اشتملت على الشهادة وآيات قرآنية (أنظر "النقود الإسلامية المبكرة").

دينار أموي

ضرب هذا الدينار في فترة حكم عبد الملك بن مروان سنة 78هـ / 697-698م.

مجموعة دنانير أموية

مجموعة من الدنانير التي ضربت في فترة حكم الوليد الأول (86 / 705-96 / 715)؛ العملة الصغيرة في الأسفل تساوي ثلث الدينار وضربت عام 91 / 709.

مجموعة دراهم أموية

مجموعة من الدراهم الفضية التي سكت في فترة حكم الوليد الأول (86 / 705-96 / 715) في مدينة واسط بالعراق.

(إينا كيربرج)

4-2 جرش (جراسا)

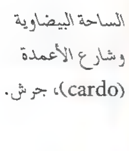
تبعد المدينة عن عمان مسافة 42كم إلى الشمال. الموقع مفتوح يومياً من الساعة 8 صباحاً حتى غروب الشمس، هنالك رسم دخول يشمل زيارة المتحف الموجود في الموقع. المواصلات بين

عمان وجرش متيسرة بالسيارات والباصات. تباع تذاكر الدخول إلى الموقع في منطقة السوق الحرفية بجانب بوابة هادريان. للاستعلامات: مكتب آثار جرش 02-6351014 أو مركز الزوار 02-6351272.

4-2أ موقع جرش الأثري

سكن الإنسان ألأول وادي جرش منذ عصور ما قبل التاريخ بسبب البيئة الممتازة والينابيع الغزيرة والطقس المعتدل، وظهرت أقدم البقايا البشرية فيها إلى الشرق من ميدان السباق (هيبودروم) وبوابة هادريان، حيث عثر على كميات ضخمة من الأدوات الصوانية الدقيقة العائدة إلى العصر الحجري الحديث (حوالي الألف السابعة قبل الميلاد) نتيجة أعمال الفلاحة هناك. وتدل أنصاب الدولمن وقرية من العصر البرونزي المبكر (حوالي 2500ق.م) إلى الشمال الشرقي من الوادي على استمرار السكن في حوض جرش وفي المدينة نفسها. أما التل في داخل الموقع الأثري إلى الشرق من الساحة البيضاوية والمنشأ عليه مبنى المتحف الحالي ففيه بقايا من العصر البرونزي المبكر أو الألف الثالثة قبل الميلاد، عبر العصور البرونزية والحديدية حتى الفترات الهلنستية والبيزنطية والإسلامية المبكرة، وكان توسع المدينة بشكل دائري حول هذا التل القديم.

ذكرت جرش لأول مرة في الفترة الهلنستية في عهد الملك بطليموس الثاني فيلادلفوس (283-246 ق.م) ملك مصر، وهو الذي حكم فلسطين والأردن وسميت عمان باسم أخته-زوجته ارسنوي-فيلادلفيا. أما جرش فسماها أنطيوخوس الرابع "أنطاكيا على الجدول الذهبي (Chrysorhoas)" في بداية القرن الثاني قبل الميلاد. وفي نهاية القرن الأول الميلادي، ذكر المؤرخ فلافيوس يوسيفوس قصة الطاغية ثيودوسيوس صاحب فيلادلفيا الذي حكم في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، والذي طرده السكان من جدارا (أم قيس) فالتجأ إلى جراسا حيث يقال أنه خبأ كنوزه في معبد زيوس، إذ كانت حرمة المعبد تحميه من كل اعتداء وكان عدد من المعابد يتمتع بحق اللجوء من الأعداء. وتدل بعض النقوش أن الأمير الحشموني الاسكندر جانيوس قد حكم جراسا بين 102-76 ق.م. عند احتلال بومبي للمنطقة عام 63 ق.م، ضمت جرش للولاية السورية وأصبحت مركزاً رومانياً رئيساً بعد أن أسس تراجان الولاية العربية عام 106م، ووصلت أوج إزداهرها في ظل السلم الروماني ولكنها بدأت في الانحطاط تدريجياً خلال القرن الثالث عندما أفل ازدهار روما. ورغم خسارة جراسا لمركزها على مفترق الطرق التجارية بين الشمال والجنوب، إلا أنها استمرت بالازدهار بسبب ثرواتها الزراعية وصناعة الفخار والاتجار بها منذ أواخر القرن الثاني، مما ساعد سكان جراسا على الحفاظ على مستويات مرموقة من الثراء حتى الفترات الرومانية المتأخرة والبيزنطية، ولم تنحسر إلا بعد الفتوحات الإسلامية بفترة من الزمن. تشير الأدلة الأثرية إلى انحطاط تدريجي بسبب انهيار الإمبراطورية





الساحة البيضاوية وشارع الأعمدة (cardo)، جرش.



صورة جوية لجرش (من مشروع التصوير الجوي للمواقع الأثرية في الأردن، تصوير B. Bewley).

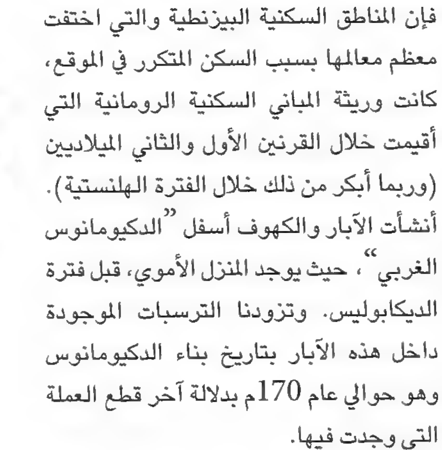
الرومانية وليس بسبب أي تصادم حضاري ما بين العالمين البيزنطي والإسلامي، وفي الفترة العباسية عجّل انتقال مركز السلطة من دمشق إلى بغداد في التدهور الاقتصادي للمدينة بسبب تحول الطرق التجارية عنها.

هنالك أمثلة على الاستمرارية الحضارية رغم التغيرات السياسية في إعادة استعمال المباني المدنية، كما حدث في المسرح الشمالي و"معبد أرتميس. خلال القرنين الأول والثاني الهجريين / السابع والثامن الميلاديين، وأصبح ميدان سباق الخيل (هيبودروم) مركزاً حرفياً لصناعة الفخار في القرن الثالث وحتى السابع الميلادي، وكان بذلك أكبر المجمعات الصناعية. ويبدو أن المشاغل انتقلت من الهيبودروم إلى داخل شمالي المدينة خاصة في المسرح الشمالي، الذي كان شبيهاً بالهيبودروم من الناحية المعمارية، وفي الحوانيت القريبة على

طول شارع الأعمدة (cardo) الشمالي. لم يكن هذا الانتقال بسبب الفتوحات الإسلامية (15/636-40/661) التي لم تسبب أي دمار في جرش، لكن بسبب الزلازل ووباء الطاعون الذي اجتاح المنطقة في منتصف القرن الأول الهجري / السابع الميلادي للمرة الثانية خلال أقل من قرن، وتدل المدافن التي وجدت في حجرات الهيبدروم على وفيات جماعية في منتصف القرن الأول / السابع، وأن هذا المعلم قد اختير للدفن بسبب وقوعه خارج أسوار المدينة إضافة إلى وجود مدافن رومانية قديمة حوله. وقد استمر استخدام مجمع المسرح الشمالي بشكل متقطع، مثل باقي أنقاض جرش، حتى القرن التاسع – العاشر الهجري / الخامس عشر – السادس عشر الميلادي خلال فترة حكم المماليك.

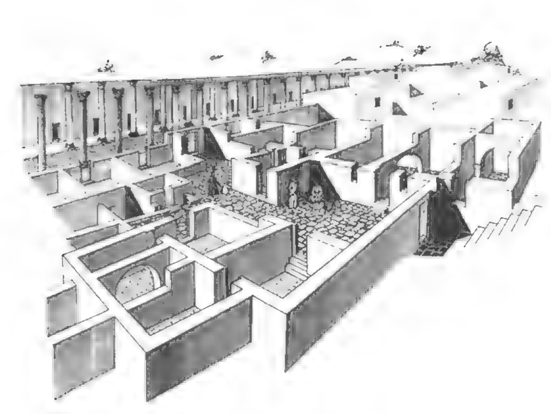
أقيم **المسجد الأموي** (أنظر أيضاً "مسجد جرش الجامع") والمؤرخ إلى القرن الأول – الثاني الهجري / السابع – الثامن الميلادي، على بقايا فيلا رومانية في الجهة الشرقية من شارع الأعمدة (كاردو، المتجه شمال–جنوب) بالقرب من بوابة معبد أرتميس. وكانت عملية إعادة استخدام حجارة المنشآت السابقة، سواء كانت كتلاً حجرية مهدمة أو بقايا ما زالت في أماكنها الأصلية، شائعة في جرش منذ الفترة الرومانية المبكرة وحتى إعادة سكن المدينة من قبل الشراكسة في القرن التاسع عشر. لم يتبق من المسجد بعد زلزال عام 131/749 سوى بلاط الأرضية وبعضاً من المدماك الأول المحيط بالساحة الداخلية ومحراب بارتفاع 1.50م، إضافة إلى بعض أساطين الأعمدة. كان للمسجد مدخلان، الأول في الجدار الغربي والثاني في الزاوية الجنوبية الشرقية، ويبدو أن محراب المسجد كان إعادة لاستخدام حنية الفيلا الرومانية، بينما فسرت المساطب المرتفعة في الزاويتين المتقابلتين على أنهما كانتا مواقع إلقاء الخطب ورفع الآذان. ظهرت بقايا قناة تصب في الشارع الرئيس (كاردو) في الغرفة الجانبية البالغ طولها حوالي 2.5م، أما الغرفة الثانية في الجانب الشرقي والتي كانت مرصوفة بالفسيفساء فيعتقد أنها كانت بيت إمام المسجد. من السهل تبيان مخطط الفيلا الرومانية تحت التعديلات الأموية اللاحقة، إذ تم إعادة استعمال البناء دون تغيير جذري، وربما كانت الفيلا قد دمرت بأحد الزلازل خلال القرن الرابع أو الخامس أو حتى السادس الميلادي، وقد أحدثت هذه الزلازل دماراً كبيراً في العديد من منشآت المدينة.

المنزل الأموي (المؤرخ إلى القرن الأول / السابع – الثاني / الثامن) هو أفضل مثال على منزل خاص من بداية الفترة الأموية، وتقدم معالمه لنا اليوم صورة متكاملة لنظام البيت الإسلامي في الأردن. أقيم هذا المنزل حول ساحة مركزية على أساسات منزل من الفترة البيزنطية المتأخرة (من نهاية القرن السادس إلى بداية السابع الميلادي حسب التقديرات الأثرية)، على جانب أحد الشارعين الرئيسين المتجهين شرق–غرب (دكيومانوس) في جرش، والذي كانت تزينه الأعمدة وله رصيف تنتشر على جانبيه البيوت والحوانيت. وكما يعتقد،

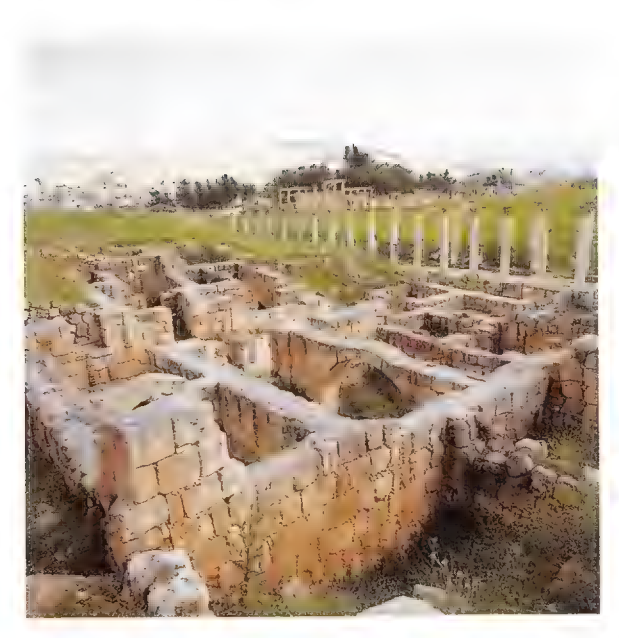


فإن المناطق السكنية البيزنطية والتي اختفت معظم معالمها بسبب السكن المتكرر في الموقع، كانت وريثة المباني السكنية الرومانية التي أقيمت خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين (وربما أبكر من ذلك خلال الفترة الهلنستية). أنشأت الآبار والكهوف أسفل "الدكيومانوس الغربي"، حيث يوجد المنزل الأموي، قبل فترة الديكابوليس. وتزودنا الترسبات الموجودة داخل هذه الآبار بتاريخ بناء الدكيومانوس وهو حوالي عام 170م بدلالة آخر قطع العملة التي وجدت فيها.

أرخ المنقبون فترة بناء المنزل الأموي الرئيسة لعام 39/660، إذ ربط هذا التاريخ بالأدلة الأثرية على زلزال حدث عام 38/659 (أو 37/658) قبل إنشاء المنزل مباشرة. بني المنزل بوحداته العديدة باستخدام حجارة المباني الرومانية والبيزنطية، وفي هذا استمرارية للأسلوب البيزنطي حين استعملت بقايا الأبنية الرومانية المتهاوية بحسب الحاجة، وللإسراع في عملية البناء استخدمت كسر الحجارة وقطع المونة لسد الفجوات بين الكتل الحجرية المتفاوتة بأحجامها وجودتها بغض النظر عن تساوي أبعادها. غطيت الجدران بالمونة الناعمة تم قصرت لتدهن بالشيد أو الطلاء، ويبدو أن أسلوب "الترقيع" هذا تدهور مع مرور الزمن، ربما بسبب تناقص مواد البناء المتوفرة لإعادة الاستخدام. وبرغم شكل المنزل غير المنتظم، وساحته المتداخلة بين وحدات البناء المتشابكة، إلا أن أسلوب إعادة استخدام المنشآت السابقة واضح في معالمه مما وفر الجهد إن لم يكن المال، وذلك بعكس حال بناء القصور الأموية الفخمة. أقترح البعض أن "المنزل الأموي" كان مكوناً



رسم إعادة تصور المنزل الأموي، جرش (رسم A. A. Ostrasz).



المنزل الأموي من الغرب، جرش (تصوير زهراب).



المنزل الأموي من الشمال، جرش.

من طابقين وربما كان يرقى للطابق العلوي بواسطة "الدرج الخلفي" الضيق والمؤدي إلى الساحة الداخلية. كان المدخل الرئيس بالطبع من الدكيومانوس وأدى ممر ما بين الوحدات الأولى (المطبخ وغرف الخزين على الجهتين) إلى فضاء مفتوح وزعت حوله الوحدات السكنية بمساحة 200م مربع بينما بلغت مساحة المنزل 13م شمال-جنوب × 21م

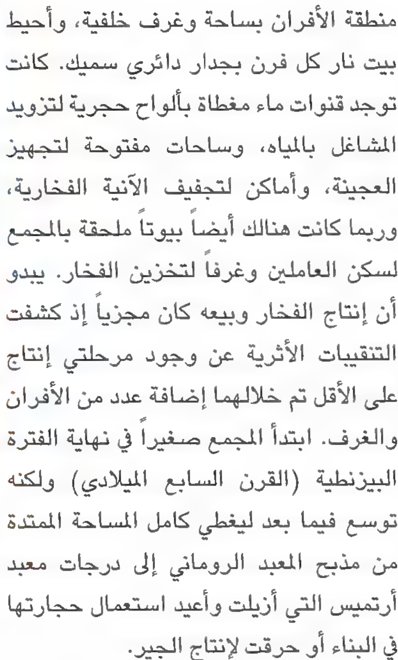
المنزل الأموي، غرفة الاستقبال الرئيسة، جرش.



شرق-غرب. كان السقف مكوناً من ألواح خشبية ربما غطيت بالطين، وهذا الأسلوب كان شائعاً في المنازل العثمانية في جرش وغيرها من القرى خلال القرن التاسع عشر. قسم المنزل إلى وحدات أصغر حجماً خلال القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي بإعادة توزيع الغرف وإغلاق بعض الممرات وفتح ممرات جديدة في الجدران.

كانت أرضيات غرف المساكن منخفضة وينزل إليها بدرجات عبر المداخل المطلة على الساحة. قسمت الغرف الكبيرة فيها إلى وحدتين بقوس مركزي ومثل هذه الظاهرة لا تزال تستعمل إلى الآن، وتبدو واضحة في بيوت بعض القرى من القرن التاسع عشر. أما المطبخ فكان صغيراً ومنخفضاً عن مستوى الساحة أيضاً لكنه زود ببئر ومصاطب. عثر بالقرب من هذه المساكن على نظام لتصريف المياه العادمة مرتبط مع النظام الرئيس والذي كان مستعملاً منذ الفترة الرومانية. بعد زلزال عام 131 / 749 وفترة قصيرة من هجران المساكن، غطت أفران الفخار والمنشآت العباسية هذه المنطقة السكنية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي، وكانت تلك آخر فترة استخدام لهذه المنازل الأموية.

تعتبر مجمعات **أفران الفخار في حرم معبد أرتميس** معاصرة في تاريخها للمنازل الأموية، وقد بنيت باستعمال كتل الحجرية أخذت من مبان رومانية. تكون هذا المجمع الصناعي من شبكة من الغرف والمشاغل أنشأت في وسطها ثلاثة أفران صغيرة حول فرن كبير، وزودت



منطقة الأفران بساحة وغرف خلفية، وأحيط بيت نار كل فرن بجدار دائري سميك. كانت توجد قنوات ماء مغطاة بألواح حجرية لتزويد المشاغل بالمياه، وساحات مفتوحة لتجهيز العجينة، وأماكن لتجفيف الآنية الفخارية، وربما كانت هنالك أيضاً بيوتاً ملحقة بالمجمع لسكن العاملين وغرفاً لتخزين الفخار. يبدو أن إنتاج الفخار وبيعه كان مجزياً إذ كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود مرحلتي إنتاج على الأقل تم خلالهما إضافة عدد من الأفران والغرف. ابتدأ المجمع صغيراً في نهاية الفترة البيزنطية (القرن السابع الميلادي) ولكنه توسع فيما بعد ليغطي كامل المساحة الممتدة من مذبح المعبد الروماني إلى درجات معبد أرتميس التي أزيلت وأعيد استعمال حجارتها في البناء أو حرقت لإنتاج الجير.

بنيت **أفران فخار المسرح الشمالي** بنفس الأسلوب وألحقت بها غرفاً بيضاوية الشكل وجدت فيها بقايا الآنية الفخارية المشوهة بسبب ارتفاع حرارة الشيّ، إضافة إلى "الأسرجة الجرشية" المشهورة بأشكالها البيضاوية ومقابضها المنتهية برؤوس الحيوانات، والتي ابتدأ إنتاجها في أفران الهيبودروم خلال القرن السادس. إن تاريخ إنتاج الأواني الفخارية في جرش، والذي يتضح من أفران الفخار المقامة في ساحة معبد أرتميس، على جانب من الأهمية لأكثر من سبب، فهو يبين استمرار مدينة جرش في الفترة الأموية كمركز هام لإنتاج الأواني الفخارية على نطاق تجاري وكانت تنافس مدن الديكابوليس الأخرى كأم قيس/ جدارا وطبقة فحل/ بيلا وبيسان/ سكايثوبوليس التي أكتشف فيها العديد من أفران الفخار الأموية.



معبد أرتميس، مجمع الفواخير من الفترة الأموية، جرش.

تجدر الإشارة إلى أن مجمع أفران أرتميس هو الوحيد الذي استمر بالإنتاج خلال الفترة العباسية وحتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. بعد ذلك عانت جرش من الركود الاقتصادي وقلّ عدد سكانها بسبب تحول طرق التجارة بين بلاد الشام والعراق، فتحولت إلى قرية صغيرة بسبب انخفاض حجم التجارة، واعتمد اقتصادها على المزارع الصغيرة والصناعات المحدودة لتغطية الاحتياج المحلي.

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه أثناء حروب الفرنجة اتخذ الأيوبيون خرائب معبدي أرتميس وزيوس كحصن لهم، لكن التنقيبات الأثرية لا تدعم هذه المقولة. بعد ذلك اختفت جرش في طي النسيان إلى أن استوطنها



قنديل فخاري أو مبخرة من جرش، متحف آثار جرش (رقم G 1236).

المهاجرون الشراكسة في القرن التاسع عشر، وبهذا أعيدت الحياة إلى المدينة التاريخية العريقة.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن الصورة التاريخية في جرش غير مكتملة بعد بسبب تركيز التنقيبات الأثرية منذ العشرينات من القرن العشرين وحتى الآن على معالم المدينة الضخمة وإهمال المناطق السكنية البسيطة ومخطط المدينة بشكل عام.

(إينا كيربرج)

أكتشف **جامع جرش** عام 2002 بالقرب من الزاوية الجنوبية الغربية لساحة المصلبة الجنوبية. بني الجامع بكتل حجرية أعيد استخدام بعضها من أبنية المدينة القديمة، وتبلغ مساحته حوالي 40م شرق-غرب × 45م شمال-جنوب. يتبع مخطط الجامع الطراز الذي كان يتكون من لساحة تحيط بها الأروقة والذي كان مميزاً للفترة الإسلامية المبكرة، ويظهر فيه صحن ومجنبان ومؤخر بالإضافة إلى بيت الصلاة الذي كان ينقسم إلى اسكوبين موازيين لجدار القبلة الذي فتح فيه ثلاثة محاريب مجوفة أكبرها الواقع في المنتصف. كان مدخل الجامع الرئيس في وسط الجدار الشمالي، من شارع الدكيومانوس الجنوبي، إلا أن هذا المدخل لم يكن كافياً فتم بناء درج عريض بمحاذاة الجدار الشرقي للدخول من شارع الكاردو الرئيس الممتد من الشمال إلى الجنوب والذي كان يضم سوق جرش في الفترة الإسلامية المبكرة. بني الدرج على هيئة نصف دائرة عريضة، وهو شبيه بدرج جامع ابن طولون (القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) وجامع الحاكم في القاهرة (القرن الثالث / التاسع)، إلا أن جامع جرش أقدم من جامعي القاهرة وربما كان قد بني خلال فترة حكم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105 / 724-125 / 743) وإن كان الدرج إضافة لاحقة. من المظاهر الملفتة للنظر في جامع جرش أنه ينحرف قليلاً عن محور مخطط المدينة الروماني وذلك ليكون جداره الجنوبي باتجاه القبلة، وأقيمت حوانيت صغيرة بمحاذاة الجدار الشرقي مما يبين أهمية السوق في الفترة الإسلامية المبكرة. كذلك يلاحظ بأن هذه الحوانيت قد أقيمت بحيث تتوائم مع المخطط المنتظم للمدينة ودون أن تطغي عليه.

(ألان والمزلي)

4-2ب متحف آثار جرش

يقع المتحف على تل جرش داخل الموقع الأثري. يفتح أبوابه يومياً من 8 صباحاً - 6 مساءً خلال الصيف، ومن 8 صباحاً - 5 مساءً خلال الشتاء؛ ومن 9 صباحاً - 4 مساءً أيام الجمع والعطل الرسمية وخلال شهر رمضان. رسم دخول المتحف مشمول بتذكرة دخول الموقع. يعرض المتحف القطع الأثرية المكتشفة في جرش حسب ترتيب العصور وهنالك قطع حجرية معروضة في حديقة المتحف. للاستعلامات: متحف آثار جرش 02-6352267.

قنديل فخاري أو مبخرة (رقم G 1236)

بدأت صناعة هذا الطراز من القناديل أو المباخر الفخارية في نهاية الفترة البيزنطية (نهاية القرن السادس - بداية السابع الميلادي) وأصبح شائعاً في الفترة الأموية حين غطت الزخارف المحفورة والمدهونة باللون الأبيض معظم سطح الإناء. يتخذ القنديل شكل إبريق فتحت فيه ثقوباً صغيرة وفتحة كبيرة لوضع سراج فخاري أو بخور في داخله. كان مثل هذا القنديل يعلق من السقف بواسطة حلقة في أعلاه (هي مفقودة الآن). كانت هذه القناديل عادة تصنع من فخار يضرب لونه إلى الحمرة أو الرمادي، وتزين بخطوط بيضاء أو تحفر عليها الزخارف.

جرة وإبريقين بزخارف مدهونة (أرقام G 234، 236، 1241، 1242).

تطورت الفخاريات الحمراء المدهونة بالأبيض والمميزة للفترة الأموية في شمال الأردن عن الفخاريات البيزنطية، واتخذت الزخارف شكل مجموعات من خطوط متموجة أو دوائر، وصنعت الأواني بزوايا حادة من عجينة نقية ومحززة بأضلع متوازية في أغلب الحيان. استخدمت مثل هذه الأواني بكثرة على الموائد الأموية.



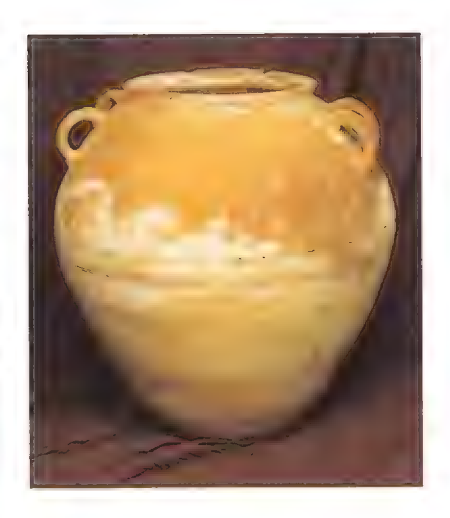
جرة وإبريقين بزخارف مدهونة، متحف آثار جرش (أرقام G 234، 236، 1241، 1242).

سراج فخاري (رقم G 683)

يعتبر هذا السراج الفخاري المصنوع بالقالب



سراج فخاري، متحف آثار جرش (رقم G 683).



جرة خزين فخارية من "المنزل الأموي"، متحف آثار جرش (رقم G 1391).

من عجينة رمادية اللون مثالاً على استخدام صانعي الأواني الفخارية في الفترة الأموية الكتابات كنوع من الزخرف، مما يذكرنا باستخدام الكتابات الزخرفية في جدران المساجد المبكرة (أنظر "قبة الصخرة"). استخدم القالب لصنع هذا السراج المزخرف بخطوط عمودية متوازية وكتابات عربية بالخط الكوفي. يتراوح معدل طول مثل هذه الأسرجة ما بين 13-10سم وأصبحت أكثر تطاولاً في الفترة العباسية (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي).

جرة خزين فخارية (رقم G 1391)

عثر على جرة الخزين هذه في ساحة المنزل الأموي، حيث ربما استخدمت لحفظ ماء الشرب (زير). لونها الأحمر الفاتح كان مميزاً للأواني الفخارية الكبيرة الحجم في تلك الفترة. جعلت للجرة أربعة مقابض لتسهيل عملية تمييلها وإزاحتها وليس لتعليقها وذلك بسبب ثقل وزنها. تعتبر هذه الجرار مثالاً على استمرارية إنتاج الفخاريات من الفترة البيزنطية إلى الإسلامية المبكرة ولا يمكن تحديد فترتها إلا من خلال التنقيب الأثري وربطها بما حولها من مكتشفات. استمر إنتاج هذه الجرار بزخرفها المحزز على الكتف وبنفس الشكل عبر القرنين السادس والسابع الميلاديين وهي حلقة وصل ما بين الحضارتين المسيحية والإسلامية. كانت مثل هذه الجرة تثبت في حفرة صغيرة أو تدفن جزئياً تحت مستوى سطح الأرض للحفاظ على برودة محتوياتها وحمايتها من الوقوع أو الميلان.

قمع فخاري (رقم G 1345)

صنع هذا القمع، وهو أداة مطبخ، على الدولاب بشكل وعاء طبخ مفتوح لكن الخزاف أضاف له "رقبة" مفتوحة عوضاً عن القاعدة المستديرة. أضيف المقبض لتسهيل استخدامه، وتذكرنا الزخارف البيضاء عليه بأواني الطعام الأخرى وبأن الفاخوري استخدم عدداً قليلاً من الأشكال الأساسية لتصنيع العديد من أنواع الآنية العملية. يدل هذا الأسلوب في استخدام القليل من الطرز الأساسية لإنتاج الكثير من التنوع على حرفية عالية لأهمية السرعة وكمية المنتج وتماثل الآنية في عملية التجارة.

(إينا كيربرج)

فواخير جرش

إينا كيربرج

طورت جرش صناعة فخار خاصة بها منذ بداية تواجدها كقرية في العصر البرونزي. إلا أن هذه الصناعة لم تشتهر إلا في الفترة الهلنستية عندما أصبحت جرش مدينة ذات أهمية تجارية وأنتجت الآنية المقلدة للخزفيات المستوردة لاستهلاك الأسواق المحلية الأقل ثراءً في المنطقة. استمر صانعو الفخار في صقل مهاراتهم وطوروا فخاراً محلياً مميزاً خلال الفترة الرومانية، ووصلت صناعتهم أوجها في القرن الأول قبل الميلاد. ازدهرت جرش عندئذ بسبب ثروتها الجديدة الناتجة عن ازدياد التجارة في كافة السلع، والتي بدورها شجعت الحرفيين المحليين لتطوير منتجاتهم. بحلول الفترة الأموية، عرفت جرش بأنها أحد أهم مراكز صناعة الفخار وصدرت منتجاتها إلى مناطق عدة، ووجدت الصحون والأسرجة التي صنعت خلال الفترة البيزنطية المتأخرة في البتراء جنوباً وبصرى شمالاً وفي طبقة فحل في غور الأردن إضافة إلى قلعة عمان. استمر الفاخوريون بإنتاج سلعهم المميزة في جرش خلال الفترة الأموية المبكرة (القرن الأول – بداية الثاني الهجري / السابع – الثامن الميلادي)، إضافة إلى أواني الطبخ والطعام التي لم تتغير كثيراً في شكلها وزخرفها حتى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حين ظهرت أشكال جديدة خاصة الزبادي الصغيرة الشبيهة بالكؤوس ذات القواعد المنبسطة والزخارف المدهونة، وفي نفس الفترة ابتدأ ظهور الأواني المزججة المستوردة من خارج المنطقة (أنظر "متحف آثار مأدبا").



جرة وإبريق وزبادي فخارية مزخرفة بالدهان الأحمر، من أوديون (المسرح الصغير) وقلعة عمان، وجرش. متحف الآثار الأردني (أرقام J 14698, 12292, 14748, 14757, 5199, 5205)، عمان.

استمر استخدام الدهان الأبيض على الأواني التي تضرب في لونها إلى الحمرة وزخرفت الأواني الرمادية بالتحزيز كما كان الحال في الفترة البيزنطية المتأخرة لكن الزخارف نفسها تغيرت وأضيف إليها أشكال جديدة.

يبدو أن استمرارية إنتاج الفخار في جرش كان بسبب الحكم الإسلامي المتسامح بعيد الفترة البيزنطية، إذ أن هذا الإنتاج هو انعكاس لاستمرارية تجارة المدينة مع الخارج. استمر إنتاج الفخار من الفترة البيزنطية إلى الأموية دون انقطاع في جميع مدن الديكابوليس، وتميز



وعائي طبخ، متحف الآثار الأردني (رقم J 14805, 14807)، عمان.



قالب لقاعدة سراج فخاري و"سراج جرشي"، متحف آثار جرش (رقم G 681، 685).

إنتاج كل مدينة باختلافات بسيطة في العجينة والأشكال، إلا أن إنتاج جرش كان أجودها.

بإمكان المرء اليوم رؤية ما يذكرنا بتجارة الأواني الفخارية المربحة والمتمثلة في الأفران والفواخير التي أنشأت في الساحة الأمامية لمعبد أرتميس. كذلك عثر على أفران من نفس الفترة داخل وحول المسرح الشمالي القريب من المعبد وداخل الحوانيت الرومانية على شارع الكاردو الشمالي بمحاذاة البوابة المؤدية إلى معبد أرتميس. إن إعادة استعمال مواد البناء المأخوذة من أبنية قديمة لم تقتصر على الفترة الإسلامية المبكرة، بل هي ظاهرة نشاهدها في المباني البيزنطية خاصة الكنائس التي شيدت بواسطة حجارة نقلت من منشآت رومانية.

اكتشفت أفران الفخار الإسلامية المبكرة (القرنين الأول – الثاني الهجري / السابع – الثامن الميلادي) خلال التنقيبات التي قام بها جيرالد هاردينغ في الخمسينات من القرن العشرين في الساحة الصف دائرية لمسرح جرش الجنوبي، وبعد ذلك في السبعينات في المصطبة السفلى لمعبد زيوس. هذا ويلاحظ أن معظم منشآت صناعة الفخار السابقة للفترة الإسلامية كانت قد وجدت في المنطقة الجنوبية، وكان أكبرها خارج أسوار المدينة في ميدان سباق الخيل (هيبودروم) بينما وجدت المنشآت الأصغر حجماً في ساحة معبد زيوس ومركز السوق المالي (Macellum). في المقابل فإن منشآت صناعة الفخار الإسلامية الكبيرة موجودة في نصف المدينة الشمالي، وربما كان سبب هذه النقلة مرتبطاً بوباء الطاعون الذي ضرب المدينة قبيل وأثناء الفتح الإسلامي والذي يبدو أنه قد ترك ناحيتها الجنوبية مهجورة باستثناء مدافن ضحايا الطاعون.

ما زالت هنالك مناطق عدة بحاجة إلى التنقيب بين مركز المدينة وأسوارها الشمالية والغربية والجنوبية (أي المنطقة المحمية حالياً) حيث توجد العديد من الكنائس وحيث تحتفظ الأرض في باطنها بالكثير من تاريخ المدينة. في عام 1990 قامت دائرة الآثار العامة بالكشف عن أجزاء من سور المدينة الغربي حيث عثر على كميات من طمم أفران الفخار وعلامات حرق وأحواض محاذية لمداميك السور السفلية مما دل على أن مشاغل الفخار كانت قد أسست داخل السور الغربي من نهاية الفترة الرومانية حتى أواخر البيزنطية، أي منذ القرن الثالث وحتى نهاية القرن السادس أو بداية السابع الميلادي.

كان أسلوب بناء أفران الفخار الأموية في المسرح الشمالي شبيهاً بالأفران البيزنطية

فواخير جرش

المتأخرة كتلك المكتشفة في ميدان السباق والمؤرخة لنهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي. واكتشفت استمرارية طرز الأشكال والزخارف في أفران المسرح الشمالي الأموية المبكرة حيث وجدت بقايا الآنية المصهورة بفعل ارتفاع الحرارة داخل حجرات الشيّ ومن ضمنها "الأسرجة الجرشية" البيزنطية المميزة بمقابضها المنتهية برؤوس حيوانية والتي وجدت إلى جانب "الزبادي الجرشية" التي كانت تصنع خلال الفترة البيزنطية والمتأثرة بالفخاريات "القبطية" في مصر.

تعطي بعض "الأسرجة الجرشية" دلائل على استمرارية استخدام بعض الرموز الدينية مثل "الصليب اليوناني" حتى بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي مما يدل على التسامح الديني في تلك الفترة، ومن المحتمل أن هذه الأسرجة كانت تلقى رواجاً لدى المسيحيين والمسلمين على حد سواء لفائدتها العملية بغض النظر عن الرموز الدينية التي حملتها. كما أعطت أسرجة أخرى وجدت في الموقع تاريخاً دقيقاً للأفران الأموية وإنتاجها إذ حملت كتابات تدل على اسم الصانع ومكان الصنع (جرش) وتاريخ الصنع حسب التقويم الهجري (أنظر "متحف آثار جرش").

3-4 إربد

تقع إربد على بعد 88كم شمالي عمان ويمكن الوصول إليها عبر مدينة جرش بالسيارة الخاصة، أو بالحافلة أو سيارة الأجرة. وتمر الطريق إلى إربد بتل الحصن القديم. للاستعلامات: مكتب آثار إربد 02-7277066.

إربد هي المدينة الثانية في الأردن إلى الشمال الغربي من عمان بالقرب من الحدود الأردنية-السورية في الرمثا، القريبة من موقع تل الرميث الأثري الذي يعتقد أنه موقع راموث جلعاد والذي يرجع بتاريخه إلى مطلع العصر البرونزي القديم .

يقع تل إربد في شمال المدينة الحالية حيث تم اكتشاف مدافن من مطلع العصر البرونزي القديم (3200-3000ق.م) ومن أواخر العصر البرونزي الوسيط (1900-1550ق.م) ثم من مطلع العصر الحديدي (1200-1000ق.م). يرتفع تل إربد 578 متراً عن سطح البحر وكانت أبعاده الأصلية حوالي 400×500م، وكان يحيط بالتل سور ضخم بعرض ثلاثة مداميك من الحجارة البازلتية الغشيمة والذي يرجع إلى حوالي 2000ق.م. كانت المياه تصل إلى المدينة عبر قناة حفرت تحت الأرض وهي لا تزال مستخدمة في أيامنا هذه مجرى لمياه الأمطار.

يعتقد أن إربد هي اربيلا Arbella إحدى المدن العشر الديكابوليس، ولكن الإشارة الوحيدة لهذه المعادلة جاءت في فهرس المدن Onomasticon ليوزيبيوس Eusibius في القرن الرابع الميلادي - في 314-315م - ويضع هذا المؤلف المدينة في مقاطعة فلسطين الثانية، على تخوم اليهودية وضمن أراضي بيلا Pella / طبقة فحل.

اشتهرت المدينة في الفترة الأموية باسم أربد (بفتح الألف) بسبب قربها من بيت راس حيث أقام الخليفة يزيد الثاني بن عبد الملك مع جاريته حبابة وفيها توفيت هذه الجارية بعد أن شرقت بحبة رمان، فحزن عليها كثيرا وتوفي الخليفة في هذه المدينة أيضاً عام 105 / 724.

اشتهرت **بيت راس** الواقعة على بعد عشرة كيلومترات شمالي مركز مدينة إربد اكثر من هذه المدينة، وعرفت باسم كابيتولياس Capitolias وهي إحدى المدن العشر ولكنها ليست أقدم من إربد. سبب شهرة بيت راس آثارها الرومانية-البيزنطية الماثلة للعيان، إضافة إلى نظام جمع المياه الذي يضم قناة حفرت في الصخر من أعلى التل وتجلب مياه الأمطار إلى بركة ضخمة. تم اكتشاف كنيسة العذراء مريم قرب مسجد البلدة وإلى الشمال منها كشف التنقيب عن سوق تجارية من العصور الإسلامية تعلوه القناطر.

ظهر في ساحة مدرسة بيت راس الثانوية مدفن روماني مزين بالجداريات الملونة، كانت في حالة جيدة عند اكتشافها وتمثل إحدى اللوحات حرب طروادة وانتصار البطل اليوناني أخيل Achilleus على عدوه هكتور Hector ابن ملك طروادة وهو يجره حول أسوار

فسيفساء من قصر الحلابات، متحف آثار إربد.



المدينة خلف عربته. وفي نفس هذا المدفن لوحة تمثل خلق الإنسان على يد الإله بروميثيوس Prometheus.

(فوزي زيادين)

متحف آثار إربد (دار السرايا)

انتقل المتحف حديثاً إلى دار السرايا العثمانية في وسط مدينة إربد القديمة. يفتح أبوابه يومياً من 8 صباحاً – 6 مساءً ومن 9 صباحاً – 4 مساءً أيام الجمع والعطل الرسمية وخلال شهر رمضان. يعرض المتحف القطع الأثرية المكتشفة في محافظة إربد حسب ترتيب العصور وهنالك قطع حجرية معروضة في حديقة المتحف. للاستعلامات: متحف آثار إربد 02-7245613.

فسيفساء من قصر الحلابات

لوحة الفسيفساء هذه هي جزء من أرضية الغرفة رقم 4 في القصر وتذكرنا زخارفها بنقوش السجاد الفاخر. يتكون الإطار من أشكال هندسية ودوائر في داخلها ثمرات الرمان وهو من أفضل أمثلة زخرفة الفسيفساء في المباني الإسلامية المبكرة، وهنالك أمثلة مشابهة في القصور الأموية الأخرى مثل القسطل. تشكيل اللوحة الهندسي هو نموذج للفن الأموي لكن بعض العناصر مثل الرمان والأشرطة المتموجة لها ما يشابهها في الفن الروماني.



فسيفساء من قصر الحلابات، متحف آثار إربد.



سراجين فخارين، متحف آثار إربد (رقم 1977، 2182).

فسيفساء من قصر الحلابات

تصور اللوحة الثانية حيوان البدن أو الماعز الجبلي وخلفية تظهر فيها بعض العناصر النباتية. نفذت لوحات قصر الحلابات بمهارة فائقة من قبل عدة صناع نستدل عليهم من أساليبهم المختلفة في تنفيذ لوحات غرف القصر.

سراجين فخارين (رقم 1977، 2182).

ابتدأت صناعة "الأسرجة الجرشية" المعروفة بمقابضها المنتهية برؤوس الحيوانات



سراج فخاري، متحف آثار إربد (رقم 130).

خلال الفترة البيزنطية المتأخرة، واستخدم الخزافون الأمويون قوالب مماثلة لكنهم حوروا زخارفها وحسنوا عليها، فأضافوا قناة صغيرة بين فتحتي التعبئة والفتيل لمنع انسكاب الزيت وقاموا أحياناً بختم أسمائهم وتأريخ منتجاتهم وأصبحت الكتابات عليها أهم معالمها الزخرفية، مما سمح للمؤرخ أخذ فكرة دقيقة عن تاريخ صناعة هذه الأسرجة والطبقات الأثرية المكتشفة فيها. يدل استخدام الأسماء وعلامات الصناع على ازدهار الإنتاج وتميزه في القرنين الأول وبداية الثاني الهجري / نهاية السابع والثامن الميلاديين. تدل الكتابات على هذه الأسرجة على أنها صنعت في جرش لكنها وجدت في العديد من المواقع في الأردن.

سراج فخاري (رقم 130)

يجمع هذا السراج المصنوع بالقالب خصائص الصناعة البيزنطية والإسلامية، فلونه الأحمر وشكله العام وزخرفة الخطوط الإشعاعية ميزات بيزنطية معروفة، أما القناة ما بين فتحتي الزيت والفتيلة وشكل الفوهة فهي من ميزات الأسرجة الأموية (وإن كان أقدم الأمثلة على وجود القناة الواصلة بين الفتحتين في الأسرجة اليونانية ذات البطانة السوداء والرومانية المصنوعة في بلاد الغال)، إلا أن الصليب الكبير الذي يزين القناة هو رمز مسيحي وهذا المثال فريد حتى الآن رغم أن العديد من "الأسرجة الجرشية" المصنعة خلال الفترة الأموية كانت تحمل صليباً تحت

المقبض، وربما كان هذا السراج الفريد قد صنع خصيصاً لعائلة مسيحية خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي.



إبريق زجاجي صغير من طبقة فحل، متحف آثار إربد (رقم 2131).

إبريق زجاجي صغير من طبقة فحل/ بيلا (رقم 2131)

كان من الصعب تحديد تاريخ هذا الإبريق الزجاجي الفائق الصنع وتأكيد ما إذا كان بيزنطياً متأخراً أو أموياً مبكراً لولا وجوده في طبقات الحفر الأموية في الموقع. للزجاج الأموي نفس مواصفات الزجاج البيزنطي المبكر بما في ذلك لونه الشفاف المائل للزرقة أو الاخضرار. وقد حددت مادة الزجاج وأساليب صناعتها الأشكال المنتجة بأسلوبي النفخ والقالب. كان الزجاج المصنوع بالقالب ثميناً ولم ينتج على نطاق واسع في تلك الفترة (بعكس زمننا الحاضر إذ يتوفر لدينا الزجاج المصنع بالقوالب ويندر الزجاج المصنوع بالنفخ).

قنديل زجاجي من أم قيس/ جدارا (رقم 1892)

من النادر العثور على إناء زجاجي كامل غير مكسور، ولا سيما القناديل الزجاجية الكاملة. انتشرت القناديل الزجاجية خلال الفترة البيزنطية لإنارة الكنائس، وصنعت بأشكال عدة شبيهة بأشكال كؤوس الخمر. كان صناع الزجاج البيزنطيون والأمويون عمليين مثلهم مثل صناع الفخار، وبسبب العقلية التجارية الضرورية لنجاح صناعتهم، استخدموا أشكالاً رئيسة محدودة وقاموا بإدخال تغييرات بسيطة فيها لصنع الآنية المختلفة: فمثلاً بإضافة أربعة مقابض يصبح من السهل تعليق الكأس بالسلاسل البرونزية لجعله قنديلاً. هذا المثال هو كوب حوّله الصانع إلى قنديل، وكان الفتيل يغمس بالزيت داخله ويرتكز خارجاً على الفوهة. وهنالك قناديل زجاجية بقاعدة طويلة مدببة بلا مقابض كانت توضع في حلقات برونزية وتعلق من السقف مثل الثريا أو النجفة. كانت معظم



قنديل زجاجي من أم قيس، متحف آثار إربد (رقم 1892).

منحوتة بازلتية من الأزرق، كلب صيد، متحف التراث الأردني، جامعة اليرموك، إربد.



4-3ب متحف التراث الأردني

المتحف تابع لكلية الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك. يفتح أبوابه من الساعة 10 صباحاً – 5 مساءً أيام الدراسة، ومن 10 صباحاً – 3 مساءً خلال الفصل الصيفي وشهر رمضان. لا يوجد رسم للدخول. العرض مقسم حسب المواضيع والفترات التاريخية من العصر الحجري القديم حتى الفترة العثمانية. يركز المتحف على التطور التقني والاجتماعي كونه مؤسسة تعليمية. للاستعلامات: متحف التراث الأردني 7276277-02، فرعي 4275.

منحوتات بازلتية من الأزرق

وجدت لوحات النحت البارز هذه في بركة ماء في الأزرق الجنوبي (الحمية المائية)، وتعتبر مثالاً واضحاً على "الفنون الصغرى" المستوحاة من العالم الكلاسيكي ما قبل الإسلام. توجد أمثلة مشابهة لكلب الصيد والحصان المجنح Pegasus والفازة التي تنبثق منها سيقان نباتية في فسيفساء أرضيات الكنائس البيزنطية والفسيفساء المعاصرة من القرنين الأول والثاني الهجري / السابع والثامن الميلادي. الحصان المجنح هو أجمل المنحوتات هذه ويصور المخلوق الأسطوري الذي حمل بيرسيوس عبر بحر إيجه ليعمر مدينة هاليكارناسوس على الساحل الغربي لآسيا الصغرى (تركيا). نفذت هذه المنحوتات بمهارة فائقة بالرغم من نحتها على لوحات من الحجر البازلتي الصلب، فجاءت المنحوتات



منحوتة بازلتية من الأزرق، فازة تنبثق منها سيقان نباتية، متحف التراث الأردني، جامعة اليرموك، إربد

القناديل الزجاجية مستخدمة لإنارة الكنائس والمساجد، وباستثناء الحكام وكبار الأثرياء، لم يكن باستطاعة معظم الناس شراء القناديل الزجاجية غالية الثمن واكتفوا بالأسرجة الفخارية للإنارة.

(إينا كيربرج)



منحوتة بازلتية من الأزرق، حصان مجنح، متحف التراث الأردني، جامعة اليرموك، إربد.

متسمة بالحيوية والبساطة. يلاحظ أن أطراف هذه اللوحات البازلتية قد قصّت بزوايا حادة قصد منها أن تتداخل وتتشابك لتشكل واجهة ذات عقد نصف دائري.

منحوتة زخرفية من القسطل

أصبحت المنحوتات الحجرية من الزخارف المعمارية الشائعة خلال الفترة الأموية، وبشكل خاص لزخرفة القصور والمباني الفاخرة. انتشر هذا الشكل من الزخارف في القصور الأموية في الأردن مثل قصر المشتى والقسطل وغيرهما، وأظهر بوضوح مهارة الصانعين في ذلك الزمن والتي استندت بلا شك على المهارات المتأصلة عند الحرفيين منذ الفترة الرومانية حين انتشرت المنحوتات على جدران الأبنية المدنية والعامة. تمثل التجديد في الفترة الأموية في التركيز على الأشكال الهندسية والنباتية واستبعاد الأشكال الحية في معظم المنحوتات. هذا القرص الوردي المحصور ضمن إطار دائري حوله زهرات بسيطة هو نموذج لبعض العناصر الزخرفية التي أصبحت شائعة في الفترة الأموية.

(إينا كيربرج)

4-4 موقيس / جدارا / أم قيس

تقع المدينة في الزاوية الشمالية للأردن على بعد 120كم شمالي عمان و30كم عن إربد على ملتقى الحدود السورية – الفلسطينية، وتظهر على الطريق إليها لوحات إرشادية ممتازة. تصلها الحافلات من إربد ولكن السيارة الخاصة أو سيارة الأجرة هي الأفضل. وتنطلق أيضا حافلات إلى أم قيس من عمان. للاستعلامات مكتب آثار أم قيس 02-7500071 أو متحف أم قيس 02-7500072.



منحوتة زخرفية (قرص وردي) من القسطل، متحف التراث الأردني، جامعة اليرموك، إربد.

4-4أ موقع أم قيس الأثري

كانت المدينة إحدى منارات الثقافة والفنون التي اشتهرت في حوض البحر المتوسط بسبب

شعرائها وفلاسفتها وخطبائها. تتميز أم قيس بموقعها على تلة ترتفع 378م عن سطح البحر وتطل على منظر فريد لبحيرة طبريا ومرتفعات الجولان وحمامات جادر في وادي اليرموك.

في الفترة الهلنستية اشتهرت جدارا على أنها إحدى الحصون التي يصعب الاستيلاء عليها، وقد ذكرها لأول مرة المؤرخ الروماني بوليبيوس Polibius في أحداث عام 218ق.م وقال عنها «أمنع المدن في محيط المنطقة». كان ذلك عندما احتاج السلوقيون سوريا وفلسطين لاستعادتها من البطالمة وحصار انطيونوس الثالث للمدينة التي استسلمت له دون مقاومة. وكشف التنقيب عند المدخل الرئيسي في الجهة الجنوبية لأم قيس عن السور الهلنستي الذي تدعمه أبراج نصف دائرية بارزة.

اعتنقت مدينة جدارا، مع المدن الرومانية الأخرى في الأردن مثل بيلا / طبقة فحل وابيلا / قويلبة ثم جراسا / جرش، تخطيط المدن الأغريقية المعروف بالهيبودامي Hippodamian وأصبحت مدناً هيلينية والتي تعتمد اللغة اليونانية للمعاملات الرسمية، وتؤمن بالآلهة الوثنية. وفي نظر الجاليات اليهودية التي كانت تقيم في الأردن فإن اعتناق الحضارة الهلينية كان يعتبر تحدياً لتقاليدهم الدينية. وقد أثار اعتناق الحضارة الهلينية في القدس على يد الكاهن ياسون مشاعر اليهود الأصوليين، فأشعل الكاهن ماتاتياس الحشموني هو وأولاده الخمسة الثورة على انطيوخوس الرابع عام 167ق. م وهاجموا المدن السلوقية بعنف كبير، فدمر إسكندر جنايوس جدارا في حوالي 80ق.م، ولكن القائد الروماني بومبي أعاد إليها استقلالها عام 63ق.م عندما استولى على سوريا ورفع أنقاضها تكريما لدمتريوس أحد المعتقين المقربين إليه، والذي كان ثرياً. فبدأت جدارا عهداً جديداً هو عهد المدن العشر (ديكابوليس) والذي أقيمت فيه معظم أبنية المدينة. وهي لا تزال ظاهرة إلى اليوم.

أنشأت مجموعة المدن العشر في حكم الإمبراطور تيباريوس من أجل قمع الثورات والحد من توسع العرب الأنباط إلى الشمال في سوريا. وفي 30ق.م ألحق الإمبراطور أغسطس مدينة جدارا بمملكة هيرودوس الكبير مع هيبوس / فيق في مرتفعات الجولان.

تذكر الأناجيل الأربعة أن السيد المسيح زار منطقة جدارا وشفى فيها رجلين مسكونين بالشياطين (متى 8: 28 - 34). وفي هذه المدينة بنيت كاتدرائية عند المدخل الغربي فوق مدفن روماني، ويذكر الإنجيل أن الرجلين المجنونين خرجا من القبور.

بعد موت هيرودوس الكبير ألحقت مدينة جدارا بالولاية السورية. في عام 106م، في عهد تراجان، ضمت مملكة الأنباط إلى روما وأصبحت تتبع الولاية العربية. عرفت جدارا عصرها الذهبي في القرن الثاني الميلادي فأصبحت تفخر بشوارع الأعمدة والمدرجات والبزيليكا (المركز الإداري) وسبيل الحوريات وميدان السباق والحمامات العامة.

في القرن الثالث الميلادي ظهرت المسيحية في المدينة في عهد الإمبراطور ديوقلسيان الذي أعاد تنظيم الولاية العربية وأصبحت جدارا

تتبع ولاية فلسطين الثانية. وفي ذلك الزمن حكم على بعض المسيحيين من جدارا بالموت، ولكن في عهد قسطنطسن الكبير تم السماح بممارسة الشعائر المسيحية ولما أصبحت الديانة الرسمية، تحولت المدينة إلى أسقفية.

في الفترة الأموية تحولت المدينة إلى قرية صغيرة واشتهرت بالخمرة التي تغنى بها الشعراء العرب. وجد نقش باللغة اليونانية في الحمّة القريبة من أم قيس يذكر اسم الخليفة معاوية بن أبي سفيان في القرن الثامن الميلادي والذي أمر بترميم الحمامات.

وصف المعالم الأثرية: يمكن أن يدخل الزائر المدينة من الجهة الجنوبية حيث تم الكشف عن الأسوار التي ذكرناها والتي تدعمها الأبراج النصف دائرية.

تؤدي الطريق إلى المدرج الغربي الذي بني من الحجارة البازلتية ويرتفع في دورين: في الأول يوجد أربعة عشر صفاً من المقاعد بينما في الثاني عشرة فقط ويوجد ممر بين الدورين، بينما تمر بين المقاعد سبعة أدراج. الجدار الخلفي الغربي تهدم كلياً لكن المسرح قد أعيد بناؤه. كان في الساحة الوسطى تمثال لآلهة الحظ تايكي من الرخام الأبيض وقد نقل إلى المتحف.

يقطع المدينة الشارع المرصوف المستقيم/ الكاردو المتجه من الشمال إلى الجنوب والذي يمر من جانب البزيليكا والمدرج الغربي. فالقسم الشرقي من المصطبة التي تحمل البزيليكا محفورة في الصخر بينما الجانب الغربي محمول على أقواس برميلية استعملت



الكنيسة المثمنة، أم قيس.

للحوانيت. تم تحويل جزء من البزيليكا الرومانية إلى كنيسة مثمنة في القرن الخامس الميلادي وظلت قائمة حتى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي.

يمر شارع الأعمدة المرصوف والمتجه من الشرق إلى الغرب بمحاذاة البزيليكا ثم بين سبيل الحوريات والحمامات العامة والتي ظلت قيد الاستعمال بعد الفترة البيزنطي حتى الفترتين الأموية والعباسية. يستمر الشارع المرصوف إلى الغرب ليتصل بطريق طبريا. وكشف التنقيب عن الرصيف على طول هذا الشارع حيث ظهر العديد من الأعمدة المتساقطة ويصل إلى برج مستدير كان يحرس البوابة الغربية للمدينة.

إلى الجنوب من البوابة الغربية ظهر مدفن ضخم أثناء الغارات التي تعرضت لها المدينة بعد حرب 1967. يعلو هذا المدفن قبة معلقة تحملها العقود في الزوايا الأربع وفي واجهته الغربية ثلاثة محاريب للدفن، وظل قيد الاستعمال في الفترتين الرومانية والبيزنطية، وتمت توسعة هذا المدفن في الساحة الشرقية في القرن السادس الميلادي. بنيت كاتدرائية فوق المدفن ظلت قيد الاستعمال حتى الفترة الأموية وهي التي بنيت في ذكرى أعجوبة السيد المسيح في شفاء الرجال المسكونين بالشياطين كما ذكرنا.

يستمر شارع الأعمدة إلى الغرب حتى يصل إلى ميدان السباق الذي يبلغ طوله 225م، وإلى الغرب من ميدان السباق وعلى بعد 45م منه أقيمت بوابة المدينة الضخمة والتي يبلغ



منظر جوي للمقبرة العائلية والكنيسة، أم قيس (بإذن من Jane Taylor).

عرضها 45م بارتفاع 13.5م ويتوسطها قوس كبير وعلى جانبيه قوسان صغيران. يستطيع الزائر أن يدخل المدينة من البوابة الشرقية حيث يوجد مدفن عائلي روماني له بوابة بازلتية ويذكر النقش اليوناني أنه يخص جرمانوس وروفوس.

ثم يمر الشارع أمام المدرج الشمالي الذي يبلغ قطره 85م ولكنه تردم ولم يتبق منه إلا بعض العقود البازلتية، وأمامه تمتد ساحة الفورم أو السوق العامة وفيها معبد من الحجارة الكلسية الهشة والذي يرجع إلى الفترة الهلنستية، والذي أقيم للإله زيوس ألمبيوس حيث ظهر تمثاله الرخامي في السوق العامة، وهو الآن معروض في المتحف الذي أنشأ في بيت عائلة الروسان التراثي والذي يرجع إلى العهد العثماني. تعرض في إحدى قاعات هذا المتحف تماثيل الحوريات التي وجدت في السبيل وتمثال رخامي للإله هرمس–مركوري، إله الخصب والتجارة بالإضافة إلى تمثال الإله زيوس ألمبيوس المذكور أعلاه.

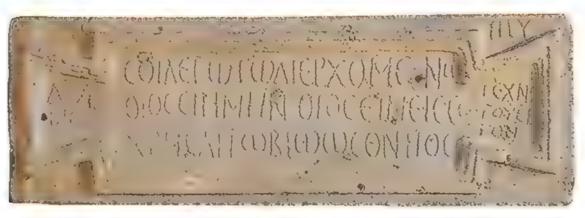
عند مدخل هذا المتحف نقش على حجر بازلتي باللغة الأغريقية وجد عند أحد المرافق وهذه ترجمته وهو بالشعر:

«إليك أقول أيها المار من هنا
كما أنت الآن كنت أنا
وكما أنا الآن ستكون أنت
فتمتع بالحياة كأنك تموت غدا

كتبه أرابيوس الشاعر» تاريخ 418 للديكابوليس أي 355-356 ميلادي والشاعر أرابيوس – أي العربي هو دون شك من أهالي

الحمّام، أم قيس.





كتابة جنائزية من أم قيس، متحف آثار أم قيس.

جدارا / موقيس التي اشتهرت بشعرائها كما ذكرنا واسم المدينة موقيس – أم قيس مشتق من جدر اليرموك Ieromachos باليونانية.

(فوزي زيادين)

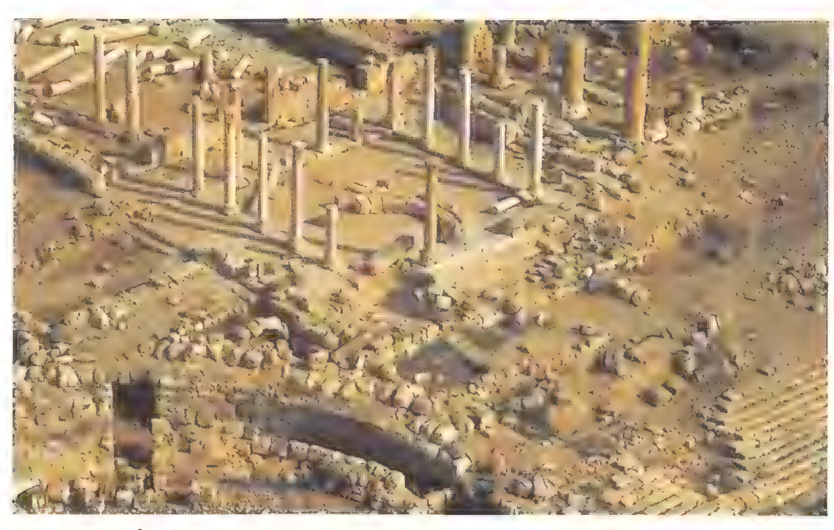
4–5 طبقة فحل (بيلا)

يقع التل في غور الأردن على بعد 95كم إلى الشمال الغربي من عمان. أسهل وسيلة للوصول إلى الموقع من أم قيس هي بواسطة السيارة عبر غور الأردن. الطريق جميلة خاصة مشاهد نهر اليرموك ومرتفعات الجولان. هنالك استراحة سياحية مطلة على الموقع الأثري. توجد أضرحة خمسة صحابة

في الأغوار الشمالية بمحاذاة الطريق ما بين أم قيس وطبقة فحل. للاستعلامات: مكتب آثار طبقة فحل 02-6560849.

4-15أ موقع طبقة فحل الأثري

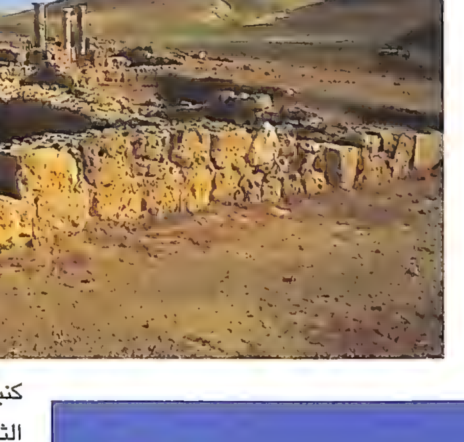
تقع بيلا (طبقة فحل) على مسافة 4كم إلى الشرق من نهر الأردن عند السفوح المطلة على غور الأردن جنوبي بحيرة طبريا، وتشرف على مرج بني عامر. كانت المدينة تقع عند مفترق طريقين رئيستين من طرق الشرق القديم، الأولى تصل الجزيرة العربية جنوباً بدمشق في الشمال، والثانية تصل ما بين المرتفعات الأردنية شرقاً وساحل البحر الأبيض المتوسط في الغرب. يتكون معظم الموقع من تل أثري بيضاوي الشكل يمتد إلى الشمال من وادي جرم الموز وهو وادٍ صغير ينحدر من الهضبة الواقعة إلى الشرق من الموقع، ويرتفع منحدر التل الجنوبي حوالي 30م عن الوادي. إلى الجنوب من وادي جرم الموز، يرتفع تل طبيعي يعرف بتل الحصن استخدم لآلاف السنين منذ العصر البرونزي الوسيط وحتى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي للسكن وكموقع دفاعي كما استغلت سفوحه لدفن الموتى.
بدأت التنقيبات الأثرية في الموقع عام 1958 وما زالت مستمرة حتى الآن، وإضافة إلى التنقيب في تل بيلا الرئيس وتل الحصن فقد أجريت المسوحات الأثرية في أرجاء المنطقة وتم التنقيب في عدد من المواقع الأصغر مثل وادي الحمّه. أظهرت التنقيبات والدراسات الأثرية أن منطقة طبقة فحل من أغنى المناطق الأثرية في الأردن، وأن السكن فيها امتد من العصر الحجري القديم الأسفل (قبل حوالي مليون سنة) وحتى وقتنا الحاضر.
ذكرت طبقة فحل لأول مرة باسمها السامي القديم "فحل" في النصوص المصرية من القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وتكررت الإشارات إليها في السجلات المصرية اللاحقة التي تبين بأن فحل ازدهرت خلال العصر البرونزي الوسيط والمتأخر (خاصة القرن الرابع عشر-الثالث عشر قبل الميلاد) حين استعمل سكانها العديد من الحاجيات الثمينة المستوردة من مصر وقبرص واليونان والتي وجدت في مقابرهم من تلك الفترة. قلّ عدد سكان فحل وانحسرت مساحة المدينة خلال العصر الحديدي، ولم تذكر في العهد القديم (إلا إذا ذكرت باسم غير معروف لنا). لم تظهر التنقيبات سوى أبنية قليلة من العصر الحديدي المتأخر خلال القرن السابع إلى الرابع قبل الميلاد وحتى الفترة الهلنستية، مما قاد علماء الآثار إلى الاعتقاد بأن الموقع كان شبه مهجور خلال تلك الفترة.
بعد غزو قوات الاسكندر الكبير لشرقي البحر الموسط عام 332-331ق.م وما تبعه من تنظيمات في الحكم والاقتصاد وحتى الثقافة، عرف الموقع باسم بيلا وبدأ ينتعش كغيره من المدن الهيلنستية، وشارك سكانها في النشاطات التجارية التي توسعت أثناء حكم البطالمة في مصر.
جلب الاحتلال السلوقي لجنوب الشام سنة 200ق.م مزيداً من الازدهار لبيلا التي

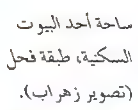


مجمع بيلا المدني بما فيه الكنيسة والمسرح، طبقة فحل (تصوير زهراب).

اتسعت مساحتها خلال القرن التالي، إذ بني فيها العديد من المنشآت الجديدة، وأصبحت اليونانية لغة الثقافة والتجارة. تغير اسم المدينة السامي القديم، فحل أو فحر، إلى بيلا نسبة للمدينة المقدونية التي ولد فيها الاسكندر الكبير. تضمنت المكتشفات من الفترة الهلنستية المتأخرة في الموقع كميات كبيرة من القطع المستوردة إضافة إلى الفخار المصنوع محلياً. وبحسب المؤرخ فلافيوس جوزيفوس، فلقد اقتحم القائد الحشموني الاسكندر جانيوس بيلا سنة 83-82ق.م ودمرها، ومما يؤكد روايته هذه اكتشاف آثار حريق هائل في طبقات الفترة الهلنستية المتأخرة في الموقع. أنهى القائد الروماني بومبي حكم الحشمونيين والسلوقيين عام 63ق.م، وأصبحت بيلا إحدى مدن الديكابوليس. حصلت تطورات ملحوظة في المدينة خلال الفترة الرومانية ما بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الرابع الميلادي، وفي عام 83-82م أصدرت المدينة أول عملة برونزية باسمها. كشفت التنقيبات عن عدد من منشآت المدينة التي بنيت في الفترة الرومانية، بما فيها الحمّامات العامة ومسرح صغير ضمن المجمع المدني بالقرب من النبع، إضافة إلى السوق أو المجمع العام (فورم) بمحاذاة وادي جرم الموز. وتشير الكتابات على الأحجار الميلية أن الطريق الواصلة ما بين بيلا وجراسا / جرش كانت قد حسنت خلال عام 160-161.

ازدهرت بيلا خلال الفترة البيزنطية حين انتشرت فيها الكنائس وتوسعت المناطق السكنية على سفوح المرتفعات. مع نهاية القرن الرابع الميلادي أصبحت بيلا مركز أبرشية واعتنق معظم أو ربما جميع سكانها الديانة المسيحية. كشفت التنقيبات عن ثلاث كنائس كبيرة، ربما كانت أحدها كاثدرائية المدينة وهي الكنيسة الموجودة ضمن المجمع المدني، وتوجد


منطقة سكنية، طبقة فحل (تصوير زهراب).


ساحة أحد البيوت السكنية، طبقة فحل (تصوير زهراب).



كنيسة ثانية في الناحية الغربية بينما تقع الثالثة على منحدر عالٍ إلى الشرق. تشير الأدلة الأثرية إلى بناء الكنيسة الوسطى في المجمع المدني في بداية القرن الخامس الميلادي وإعادة إعمارها في النصف الأول من القرن السادس، وتؤرخ الكنيستين الشرقية والغربية للقرن الخامس الميلادي. وصلت مساحة بيلا في أوج ازدهارها إلى 21 هكتار وتراوح عدد سكانها بين 5000-7000 نسمة.

انتكست فترة الازدهار تلك في بداية القرن السابع الميلادي عند الاحتلال الفارسي ما بين 614 و628. وفي عام 14/635 انتصرت جيوش المسلمين على البيزنطيين في معركة فحل بالقرب من المدينة وأعطى المسلمون الأمان لسكان بيلا وعاهدوهم على الاحتفاظ بحقوقهم الشخصية والمدنية وكافة التزاماتهم مقابل دفع الجزية. أثبتت التنقيبات الأثرية أن فتح بيلا كان سلمياً، إذ استمرت الكنائس البيزنطية الثلاث والمناطق السكنية تؤدي وظائفها دون انقطاع من الفترة البيزنطية إلى

الحكم الإسلامي. تغير اسم المدينة في الفترة الإسلامية من "بيلا" إلى "فحل" واستعادت بذلك اسمها السامي القديم.

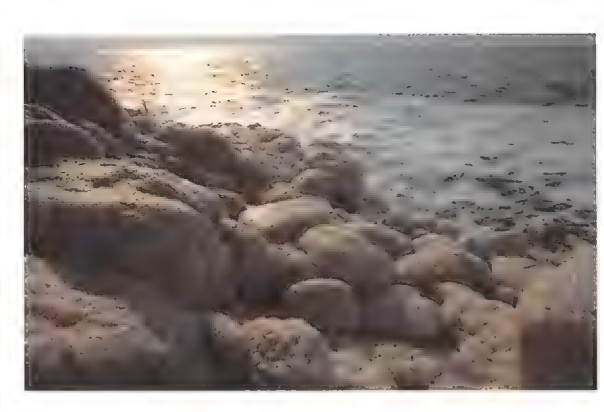
حافظت التنظيمات الإدارية الإسلامية في عام 18 / 639 على دور فحل الإداري، والذي استمر إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حين ذكرت في كتب الجغرافيين العرب، بما فيها "كتاب المسالك والممالك" لابن خرداذبه، كمركز إداري وعسكري في جند الأردن. كشفت التنقيبات الأثرية عن مناطق سكنية شاسعة احتوت العديد من القطع واللقى الأموية والعباسية في الموقع.

يبدو أن تعداد سكان فحل قد قلّ خلال الفترة الأموية، وبالإمكان استخلاص ضمور وضع المدينة الاقتصادي وثروتها العامة من هجرة العديد من المنشآت العامة والمباني السكنية. إلا أنه من ناحية أخرى هناك الفخاريات الأموية المتنوعة والفاخرة والمقتنيات الثمينة التي تعكس وضعاً على جانب من الازدهار الإقتصادي، وهذا ما تؤكده بقايا المواشي من تلك الفترة والتي اكتشفت بأعداد كبيرة أثناء التنقيبات الأثرية.

كذلك يبدو الثراء النسبي لبعض سكان الموقع في الفترة الأموية في البيوت السكنية، فهذه البيوت الواقعة على التل الرئيس أعيد بناؤها بعد زلزال عام 39 / 659-660 حيث تكونت من طابقين حول ساحة أمامية واسعة، واتسم بناء هذه البيوت بالمتانة إذ شيدت المداميك السفلية باستعمال كتل حجرية رتبت في مداميك منتظمة، وفوقها ارتفع البناء بالطوب الطيني بينما سقفت الغرف بألواح الخشب والبوص والطين. كانت غرف السكن في الطابق العلوي



ضاحية سكنية، طبقة فحل (تصوير زهراب).



البحر الميت، غور الأردن (تصوير زهراب).

التي طليت جدرانها أحياناً بالجص والألوان، ورصفت أرضياتها بالحصى الأبيض. أما الطابق السفلي فقد استعمل للخزين وكإسطبلات وحظائر لحشر الماشية كالبقر والخراف والماعز والخيل والحمير، بينما خصصت الباحة الأمامية لبعض النشاطات المنزلية. عثر على بقايا هذه المواشي في طبقة الهدم الناتجة عن زلزال عنيف تعرض له الموقع في سنة 131 / 749.

بالرغم من التدمير الذي لحق بالموقع نتيجة هذا الزلزال العنيف فأن السكان لم يهجروه كلية بل انتقلوا إلى بقعة مجاورة. كشفت التنقيبات في منطقة تقع إلى الشمال الشرقي من التل عن أبنية كبيرة من الفترة العباسية من القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي. وفي الفترة المملوكية (647 / 1250-923 / 1517) والعثمانية (857 / 1453-1335 / 1917)، أقيمت بعض المباني السكنية على التل الرئيس، بالإضافة إلى مسجد صغير.

(لارا طعمه)

البحر الميت

يبعد البحر الميت حوالي 50كم إلى الغرب من عمان. للوصول إليه من طبقة فحل، اتبع الطريق الرئيسة عبر غور الأردن إلى الشونة الجنوبية. بالإمكان استئجار سيارة من المشارع المحاذية لطبقة فحل، ومن الشونة لمنتجعات البحر الميت التي تتطلب رسم دخول.

سطح البحر الميت هو أخفض نقطة على اليابسة، إذ ينخفض سطحه حالياً إلى مستوى 418م تحت سطح البحر، ويؤمه الزوار لفوائده العلاجية. سكنت شواطئ البحر الميت منذ القدم، وعدا عن الأملاح كان البحر الميت مصدراً هاماً للقار الذي كان مادة نادرة مطلوبة في مصر وسومر وكنعان. موقع تليلات الغسول القريب من نهاية البحر الميت الشمالية هو أقدم قرى العصر الحجري النحاسي المعروفة، وقد أعتقد المنقبون الأوائل أنها موقع "سدوم وعموره". أما موقع المغطس الذي اكتشف حديثاً فيوجد على الضفة الشرقية لنهر الأردن إلى الشمال مباشرة من البحر الميت، ويعتقد أن يوحنا المعمدان قام بتعميد السيد المسيح هناك. على ضفاف الشاطئ الشمالي الغربي للبحر الميت توجد كهوف قمران التي اكتشفت فيها مخطوطات البحر الميت الشهيرة.

النقود الإسلامية المبكرة

غازي بيشه

بعد انتصارهم العسكرية السريعة أثناء فتوحات بلاد الشام والعراق ومصر، سيطر العرب المسلمون على شعوب وأراض كان اقتصادها معتمداً لقرون على نظام نقدي متطور. تكون هذا النظام من العملة الذهبية (Solidi) التي كانت حكراً إمبراطورياً في الدولة البيزنطية، والعملة الفضية (درهم) للإمبراطورية الساسانية. إلا أن مراكز سك العملة في بلاد الشام كانت قد توقفت قبل الفتوحات بزمن طويل، لذا لم تتوفر الخبرة المحلية في هذا المجال عند قدوم المسلمين. لم يكن لدى العرب الفاتحين خبرة في سك نقودهم الخاصة، فتبنوا بالتالي النظم الإدارية والاقتصادية التي كانت سائدة في الأراضي التي فتحوها، ففي الولايات الغربية (بلاد الشام ومصر) قلدوا العملة البيزنطية التي كانت متداولة هناك في بداية القرن السابع الميلادي، وفي الولايات الشرقية (العراق وإيران) سكوا العملة على طراز الدراهم الفضية الساسانية، ولهذا يتم تقسيم النقود الإسلامية المبكرة إلى طرازين رئيسين:

الطراز العربي–البيزنطي الذي حمل صوراً وكتابات يونانية أو لاتينية أو عربية، وسك حسب التقليد البيزنطي.

الطراز العربي–الساساني الذي حمل كتابات بهلوية (فارسية وسيطة) و / أو عربية، وسك تبعاً للدراهم الساسانية بما فيها صورة الملك الساساني (غالباً صورة خسرو الثاني) على الوجه، أما الظهر فحمل صورة مذبح النار الزرادشتي محاطاً بحارسين.



وجه عملة برونزية من الطراز العربي–البيزنطي (بإذن من نايف القسوس).



ظهر عملة برونزية من الطراز العربي–البيزنطي (بإذن من نايف القسوس).

بعد ذلك بفترة (اختلف الباحثون في تحديد مدتها) ظهرت نقود عربية محورة عن النقود المحلية في بلاد الشام، خاصة في دمشق. ورغم اعتقاد بعض الباحثين أن العرب قاموا بسك العملة بعد الفتح مباشرة، إلا أن مايكل بايتس من جمعية المسكوكات الأميركية ذهب إلى القول بأن العرب لم يسكوا العملة قبل عام 71/691–72/692، مضيفاً بأنه حتى تلك السنة لجأ العرب إلى استخدام النقود الذهبية والنحاسية المستوردة من بيزنطة، والعملة

ظهر عملة فضية من الطراز العربي– الساساني (بإذن من نايف القسوس).





وجه عملة فضية من الطراز العربي– الساساني (بإذن من نايف القسوس).

الفضية الساسانية المتداولة في العراق وإيران. بعبارة أخرى – حسب بايتس – فإن العرب لم يقوموا بسك عملة جديدة قبل عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65/685-86/705) باني قبة الصخرة في القدس. مهما كان الأمر فقد شهد عصر الخليفة عبد الملك إصدارات تجريبية في المرحلة الانتقالية 74 /694 – 77 / 697 التي سبقت إصلاحاته المالية سنة 77/697. من هذه الإصدارات التجريبية

دينار سك في السنوات 74-77 يظهر عليه في الوجه صورة الخليفة الملتحي واقفاً وسيفه على جنبه، مرتدياً ثوباً طويلاً ومعتمراً الكوفية (غطاء الرأس)، وكتب في الهامش الدائري بالخط الكوفي: "بسم الله، لا إله إلا الله، وحده، محمد رسول الله". أما الظهر فحمل الصليب المحور فوق درجات وفي الهامش كتابة كوفية: "بسم الله، ضرب هذا الدينر سنة (...)".
في سنة 77/697 قام عبد الملك باصلاحاته

وجه دينار أموي ذهبي، عبد الملك بن مروان (بإذن من نايف القسوس).





ظهر دينار أموي ذهبي، عبد الملك بن مروان (بإذن من نايف القسوس).

المالية وأزيلت الصور من قطع العملة وحل محلها كتابات عربية تشتمل على آيات القرآن الكريم. إلا أن العملة الفضية التي تقتصر على الكتابات العربية لم تظهر حتى عام 79 / 698. تضمنت الكتابات التي سكت على الطراز الجديد الشهادة، وسور من القرآن الكريم: "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله" و"الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد" إضافة إلى كتابة في الهامش تذكر تاريخ الضرب.

كان إصلاح العملة جزءاً من سياسة عبد الملك بن مروان في تعريب الإدارة الأموية وتعبيراً عن الصراع العقائدي والاقتصادي ضد البيزنطيين، وما كان لهذه الخطوة أن تنجح لولا الأساسات الاقتصادية القوية للدولة الأموية.



التجار والحجاج

فوزي زيادين، غازي بيشه، إينا كيربرج، محمد الأسد

اليوم الأول

5–1 غور الصافي / زغر

5–1أ دير عين عباطه (دير النبي لوط)

5–2 العقبة

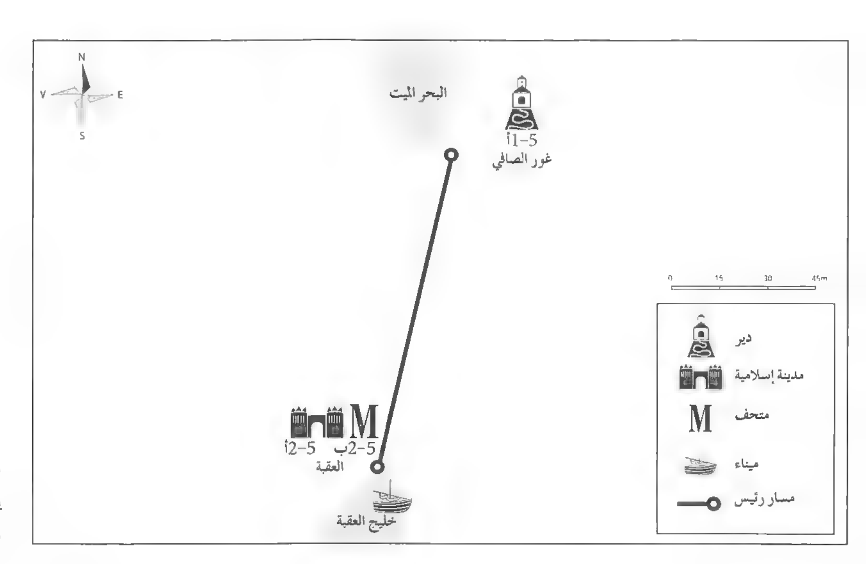
5–2أ مدينة أيله الإسلامية

5–2ب متحف آثار العقبة

زيارة إختيارية

وادي رمّ (وادي إرم)

حصون الفيالق الرومانية وتخطيط المدن



تكوين صخري طبيعي يعرف بـ"امرأة لوط"، طريق البحر الميت.

تجتاز الهضبة الأردنية من الشمال إلى الجنوب طريقان رئيسيتان تجاريتان: فالطريق الأكثر شهرة هي طريق الملك والتي كانت معروفة منذ الألف الثاني قبل الميلاد على الأقل، فهي التي سلكها الملوك الأربعة حسب العهد القديم لكي يجتاحوا المدن الخمس في حوض البحر الميت (سفر التكوين، 14). تبدأ هذه الطريق في دمشق وتمر بعمان / فيلادلفيا ثم تعبر وادي الموجب / الأرنون وتمر بالهضبة المؤابية ثم ببلاد أدوم لكي تنتهي عند أيله / العقبة على البحر الأحمر. وسلكت قوافل الأنباط هذه الطريق لكي تحمل التوابل إلى سوريا.

بعد أن تم الاستيلاء على مملكة الأنباط وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية عام 106م، أمر الإمبراطور تراجان برصف هذه الطريق من 111-114م من بصرى الشام في حوران – جنوب سوريا – إلى أيله / العقبة، وسميت عندئذ "طريق تراجان الجديدة".

كانت البتراء – وهي مركز تجاري وفيها قبر النبي هارون الذي يقصده الحجاج – على ملتقى ثلاث طرق قوافل: فبالإضافة إلى طريق تراجان الجديدة والطريق من أذرح إلى معان، كانت هناك طريق ثالثة تمر بأعلى الهضبة عند رأس دلاغة ثم القناة وتعرف "بدرب الرصيف"، وكانت تلك طريق قوافل الحجاج في الفترات الإسلامية مارة بالحميمة / الحوراء، وهذه المحطة بناها الحارث الثالث ملك الأنباط (87-62 ق.م) لتكون موقفاً بين أيله العقبة ووادي رم / إرم والبتراء. في الحميمة كشفت التنقيبات الحديثة نظاماً مائياً ممتازاً أقامه الأنباط ثم معسكراً رومانياً وخمس كنائس بيزنطية.

في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65 / 685 - 86 / 705) ابتنى علي بن عبد الله بن العباس قصراً ومسجداً في الحميمة من أجل أبناء قبيلته ثم أخذ يستضيف الحجاج المتوجهين إلى الديار الإسلامية المقدسة. ثم طالب ابنه محمد بالخلافة، ونجح اتباعه بالإطاحة بالدولة الأموية عام 132/750 (انظر "الأمويون: نشأة الفن الإسلامي" و"الحميمة").

عبرت القوافل وادي رم الجذاب والذي يشتهر بجباله الرملية العالية عبر العصور. فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد كان هذا الوادي مركز الاتصال بين قبائل ثمود وعاد والأنباط، وظل معبراً وملتقى طرق في الفترات الإسلامية، ففيه عدة نقوش إسلامية وبقايا مسجد في وادي رابغ.

بعد أن تعبر وادي اليتم تصل الطريق إلى أيله / العقبة حيث تم اكتشاف المدينة الإسلامية، وهي مرفأ أعاد تخطيطه وبناءه الخليفة عثمان بن عفان في حوالي عام 29 /650.

تنطلق الطريق الثانية الموازية لطريق تراجان من اليادودة بالقرب من عمان وتسير عند سيف البادية مارة بأم الرصاص / ميفعة وتصل إلى اللجون ثم أذرح، فهذه المحطة بين البتراء ومعان والجزيرة العربية أقامها العرب الأنباط وفي عهد الإمبراطور تراجان بنى فيها الرومان معسكراً للجيش ظل قيد الاستعمال حتى الفترة البيزنطية. وفي عام 8 /630 أقام



منظر جوي لوادي رمّ (إ.ر.م).

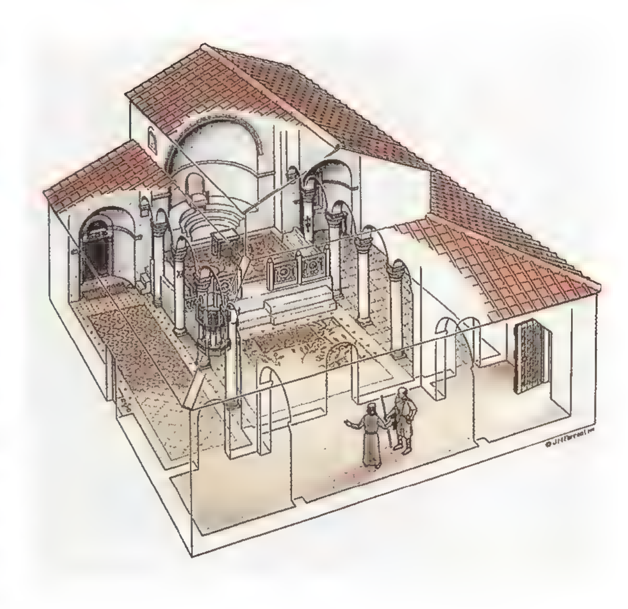
أسقف أيله وأذرح والجرباء معاهدة صلح مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلّم) في تبوك، وبموجب هذا الصلح سمح البيزنطيون لقوافل المسلمين أن تمر في هذه المنطقة. ثم أن التحكيم بين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان تم في أذرح عام 37 / 658.

(فوزي زيادين)

5-1 غور الصافي/ زغر

تقع زغر في خربة الشيخ عيسى، قرب غور الصافي، وذلك على الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الميت وعلى بعد 63كم إلى الجنوب الغربي من الكرك. ذكرت زغر للمرة الأولى في سفر التكوين 2:14 وذلك في حملة الملوك الأربعة الذين جاءوا من الشرق ليجتاحوا المدن الخمس في حوض البحر الميت، وتظهر المدينة في هذا الحدث باسم "بالع" ويعتقد أن حملة البنوك الأربع حدثت في عهد سيدنا إبراهيم أي في الألف الثاني قبل الميلاد. ولكن عالم العهد القديم دي فو de Vaux يعتقد أن سفر التكوين 14 من الصعب أن نجد له ذكراً في التاريخ لأن الهدف منه هو إدراج سيدنا إبراهيم في الأحداث التاريخية للمنطقة.

ثم ذكرت زغر مرة أخرى في سفر التكوين 19 في سياق الدمار الذي لحق بصدوم وعامورة، ففي هذا السفر يذكر أن لوط ابن أخي سيدنا إبراهيم توسل إلى يهوه لكي يحمي المدينة الصغيرة، أي زغر. ومن هذه المدينة احتمى لوط في كهف في الجبل (أنظر «دير النبي لوط») وحسب الرواية فإن لوط نام مع ابنته الكبرى فولدت ابنا سمته مؤاب، أما الصغرى فنامت مع عمها وولدت ابنا سمته «ابن عمي» وهو جد العمونيين. وعثر من خلال الاستكشافات الحديثة على سور عظيم وصف بأنه يعود إلى مدينة زغر.



رسم تصوري لدير النبي لوط، غور الصافي.

ذكرت زغر مرة أخرى في نبؤة أرميا (إصحاح 48) واتسعيا (إصحاح 15) في أحداث القرن السادس قبل الميلاد: «يصرخ قلبي من أجل مؤاب من أجل الهاربين منها إلى زغر» (اتسعيا 5:15). تشير هذه النبؤة إلى اجتياح البابليين إما في عهد نبوخذ نصر الثاني في 598 ق.م أو في عهد نابونئيد في عام 552ق.م، وذلك في طريقه إلى تيماء في شمال غربي الجزيرة. استولى آخر ملوك البابليين على مؤاب وأدوم وخلد ذكره في منحوتة في جبل السلع جنوب الطفيلة.

في عهد الأنباط أصبحت زغر محطة على طريق البتراء – البحر الميت، حيث كان يستخرج القار من أجل بيعه إلى المصريين واستخدامه في التحنيط. وبسبب وقوعها على طريق استراتيجية، استولى الحشموني إسكندر جانيوس على زغر عام 83–82 ق.م، ولكن خلفه هرقان الثاني أعادها إلى الملك النبطي الحارث الثالث (85–62 ق.م.). وبعد استيلاء الرومان على مملكة الأنباط عام 106م أقيم معسكر روماني في زغر، ويقع هذا المعسكر فوق خربة الشيخ عيسى في الموقع المسمى أم الطوابين. في عهد الإمبراطور هدريان (117–138م) ذكرت زغر مرة أخرى في وثائق باباثا، وكانت هذه سيدة غنية من أصل يهودي وكانت تسكن في موعوز، وهو مرفأ زغر على البحر الميت. فلما قامت ثورة باركوفيا اليهودية في عام 132م، أخذت وثائقها وخبأتها في مغارة قرب عين الجدي. كانت باباثا قد تزوجت مرتين ولكن يبدو أنها وقعت في مشكلة عند زواجها الثاني، حسب وثائقها، إذ رفضت زوجة بعلها الثاني الطلاق منه، فرفعت باباثا قضية في المحكمة على هذه الزوجة وكذلك على يوحنا بن اجلاس وعلى عبد عبودات بن اللوتاس وهم الأوصياء على ولدها اليتيم يسوع. وقد أقيمت المحكمة في هذه القضية أمام قاضي البتراء أو قاضي الربة / أريوبوليس الروماني.

لما أعاد ديوقلسيان تنظيم الولاية العربية في أواخر القرن الثالث الميلادي أصبحت زغر تتبع ولاية فلسطين الثالثة. وفي خريطة مأدبا الفسيفسائية (منتصف القرن السادس الميلادي) تظهر كنيسة في زغر إلى اليمين من بستان نخيل، ويظهر اسمها «بالق».

في القرون الوسطى ازدهرت مدينة زغر وكانت هذه الواحة تشتهر بإنتاج التمور والنيلة والعصائر والسكر والبلسم.

5-1أ دير عين عباطة (دير النبي لوط)

يبعد 170كم جنوب عمان في بلدة الصافي وعلى بعد كيلومترين إلى الجنوب من «مدينة البوتاس» على البحر الميت. يمكن الوصول إلى الموقع عن طريق وادي عربة، وننصح الزائرين من عمان أن يتبعوا طريق البحر الميت عبر ناعور ثم يتابعون إلى الجنوب حتى غور الصافي، والأفضل استعمال المواصلات الخاصة. يمكن زيارة الموقع خلال ساعات النهار والدخول إليه مجاني، ويتم حالياً الإعداد لمتحف بالقرب من الموقع. للاستفسار الاتصال بمكتب آثار الأغوار الجنوبية: 03-2302845.

ذكر موقع الحج هذا في رواية لوط وعائلته عندما هربوا أثناء تدمير صادوم وعمورة، فقد أمرهم يهوه ألا يتوقفوا مطلقا في السهل وألا أن ينظروا وراءهم «(....) ولكن امرأة لوط التفتت خلفها فتحولت إلى عمود ملح» (سفر التكوين 19:26)، ثم ترك لوط زغر «الصغيرة» (وهي خربة الشيخ عيسى) والتجأ إلى التلال. وهناك أقام، كما يروي العهد القديم، مع ابنتيه في كهف.

في خريطة فسيفساء مأدبا (القرن السادس الميلادي) يظهر دير النبي لوط فوق مدينة زغر (غور الصافي الحالية) ويبدو البناء في الخريطة على شكل مستطيل وأمامه مثلث فيه كوة مستديرة وعلى الجنب ثلاث نوافذ.

يقع الدير على بعد 63كم جنوب الكرك فوق غور الصافي ويطل على الطرف الجنوبي للبحر الميت. تحتل المعالم الأثرية سفح جبل صخري شديد الإنحدار حيث نحتت في الصخور الداكنة صومعات عديدة للنساك. وتنبع في أسفل الجبل عين ماء يسميها ياقوت الحموي الجغرافي العربي (1225م) «عين ريا» وهي إحدى بنات لوط. كشفت التنقيبات الأثرية عن دير وكنيسة ذات ثلاث حنيّ. في صحن الكنيسة الأوسط لوحتان من الفسيفساء مزينة بأشكال هندسية وطيور تحيط بها فروع نباتية لولبية،



الخريطة الفسيفسائية في كنيسة القديس جورجيوس بمأدبا، يظهر عليها هنا غور الصافي / زغر ودير لوط.



منظر جوي لدير النبي لوط، غور الصافي.

وتحمل نقشا يرجع تأريخه إلى 71 / 691 أي في أوائل الفترة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان. وجد في الجانب الشمالي من الحنية المركزية مقعد صغير من الحجر الصابوني الطري / الستياتيت مزين بالأعمدة الصغيرة وبلوحات منحوتة. أما الكهف المجاور للحنية فقد كان في الأصل مدفناً يرجع إلى العصر البرونزي القديم، ويعتقد أنه المكان الذي التجأ إليه لوط وبناته بعد دمار صادوم وعمورة بنار السماء. ذكرت هذه الرواية في العهد القديم في سفر التكوين 19 وفي القرآن الكريم في سورة هود 11 : 74 – 83.

ترجع الفسيفساء الهندسية أمام الكهف إلى عهد الأسقف أيوب والكاهن سوزيموس رؤساء الكنيسة والدير، ويعود تاريخها إلى مرحلة إعادة بناء الكنيسة في الفترة الأموية عام 71 / 691 في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وتحت هذه الفسيفساء توجد أرضية أقدم منها ترجع إلى شهر نيسان من عام 606م، وهذا التاريخ تؤكده المكتشفات الأثرية. وتوجد إثباتات أخرى تدل على أن الموقع كان مقاماً دينياً في مطلع القرن السادس الميلادي: إلى الشمال من الكهف تم العثور على نزل يأوي الحجاج يتوسطه بهو كبير للاجتماع وبالقرب منه فرن ضخم وغرف كثيرة، وتم اكتشاف بئر استعملت للدفن الجماعي في نفس الموقع. وإلى الجنوب من الكنيسة يقع خزان عظيم للماء كان يجمع مياه الأمطار بواسطة قناة حفرت في سفح التل وكانت مغطاة بالجص.

على جانب الطريق الحديثة، على الشاطئ الشرقي للبحر الميت وإلى الجنوب من جسر وادي الموجب، يشاهد المار تمثالاً متحجرا يطل على المنحدر الصخري الهائل. وبحسب المعتقد الشعبي فان هذا التمثال هو لامرأة لوط التي تحولت إلى عمود ملح.

(فوزي زيادين)

2-5 العقبة

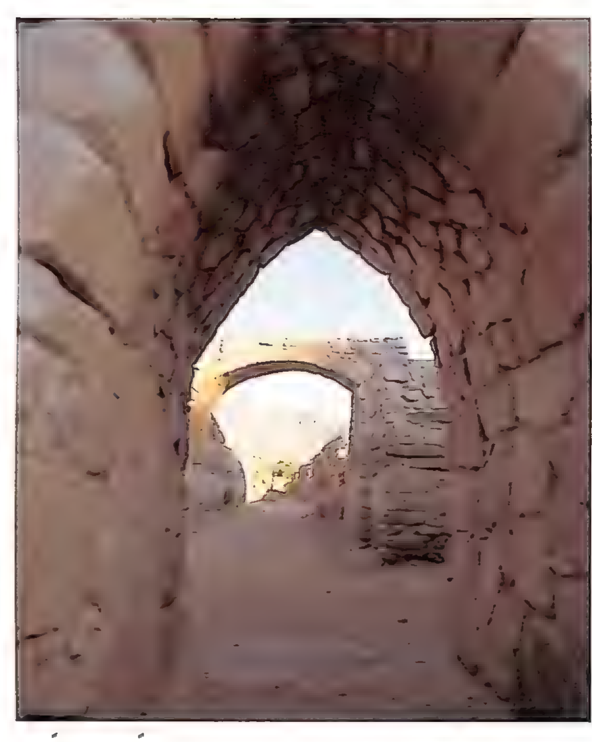
تبعد حوالي 340كم إلى الجنوب من عمان. أفضل وسيلة للوصول إليها من دير عين عباطه هي بواسطة التاكسي أو السيارة الخاصة عن طريق وادي عربه باتجاه الجنوب. وهنالك باصات سياحية ونقل عام من عمان ومدة الرحلة حوالي 4 ساعات. للاستعلامات: مكتب آثار العقبة 2019063-03 أو مركز الزوار 2013731-03.

2-5أ مدينة أيله الإسلامية

توجد آثار المدينة القديمة على الشاطئ ضمن منطقة الفنادق الحديثة. الموقع مفتوح للزوار في أي وقت بدون رسم دخول. للاستعلامات: مكتب آثار العقبة 2019063-03 أو مركز الزوار 2013731-03.

تقع مدينة العقبة (وهو اسم الموقع منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) على رأس خليج العقبة في شمالي البحر الأحمر، ضمن حفرة الانهدام الكبرى وعلى طرف وادي عربه الجنوبي. تجري الينابيع الجوفية تحت هذا الوادي وتصب في البحر أسفل المدينة الحديثة؛ بالتالي بإمكان السكان الحصول على المياه العذبة بحفر الآبار بعمق أمتار قليلة للوصول لهذه الينابيع. تحيط الجبال الشاهقة والصحراء بالمدينة: سيناء إلى الغرب، النقب إلى الشمال، وحسمى ووادي رمّ إلى الشمال الشرقي. عندما قدمت قوات الثورة العربية الكبرى من وادي رمّ إلى شواطئ خليج العقبة عام 1917، كانت العقبة قرية صغيرة بيوتها من الطين موزعة بين حدائق النخيل، إلا أن ترابها كان يخفي تاريخاً يعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد. ذكر الموقع في المصادر التاريخية بأسماء عدة منها أيله، أيلانا، إلينا، هيلا، أيلات، وويله. أظهرت الدراسات الآثارية الحديثة أن موقع الاستيطان كان ينتقل عبر الحقب التاريخية من الشمال إلى الجنوب بسبب انحسار رأس الخليج. يوجد تل المقص أقدم المواقع المكتشفة في المدينة والذي يعود إلى العصر الحجري النحاسي (حوالي 3500ق.م) على بعد 4كم إلى الشمال من رأس الخليج بالقرب من مطار المدينة الحديث، وقد وجدت فيه دلائل على صهر خامات النحاس من وادي عربه وتصنيع الحلي من أصداف البحر الأحمر. أما موقع العصر الحديدي الثاني والثالث (القرن الثامن-الخامس قبل الميلاد) فيوجد في تل الخليفي على بعد 500م من رأس الخليج داخل الجزء الأردني من المنطقة المعزولة على الحدود ما بين الأردن وإسرائيل.

حاول نلسون غلوك، وهو أول من نقب في تل الخليفي في الأربعينات من القرن العشرين، أن يربط الموقع بـ«عصيون جابر» حيث بنى الملك سليمان أسطولاً أبحر إلى بلاد عُفر (الصومال) وعاد بـ420 صاعاً من الذهب، لكن التنقيبات الحديثة عارضت هذا الربط وأظهرت أن الموقع لم يوجد قبل القرن الثامن قبل الميلاد، أي أن بدايته كانت بعد فترة الملك سليمان بحوالي



مدينة أيله الإسلامية، بوابة المدينة المؤدية إلى السوق والمبنى المركزي، العقبة.

مائتي عام. كان الموقع تجارياً وصناعياً، إذ كان محطة للقوافل ووجدت فيه دلائل على صهر النحاس من خامات وادي فينان. سكن الأنباط أيله ومحيطها في القرن الأول قبل الميلاد حيث اشتغلوا بتربية الماشية وبنوا ميناءً تجارياً استخدموه أحياناً لعمليات القرصنة عندما حاول الرومان تحويل تجارة جنوبي الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر لتفادي تكاليف مرور القوافل عبر مملكة الأنباط، وكان البخور والمر أهم السلع التجارية المستوردة من جنوبي الجزيرة العربية وأغلاها ثمناً واستقطبت تجار «أيلانا» إلى اليمن لشرائها. في عام 106م احتل الإمبراطور الروماني تراجان مملكة الأنباط وضمها للولاية العربية التي أوجدها لإمبراطور، وأصبحت أيله بذلك تحت الحكم الروماني المباشر. اكتمل بناء «طريق تراجان الجديدة» (Via Nova Traiana) التي امتدت من بصرى الشام إلى أيله بين 111-114م، وقسمت إصلاحات الإمبراطور ديوقلسيان (284-305م) الإدارية والعسكرية الولاية العربية إلى قسمين، نقل بموجبها القسم الجنوبي (شرقي البحر الميت) إلى ولاية فلسطين الثالثة. عند نهاية القرن الثالث الميلادي نقل الفيلق العاشر الروماني Legio Fretensis من القدس إلى أيله حيث بقي هناك حتى نهاية القرن الخامس. خلال حكم الإمبراطور البيزنطي ليو الأول (457-474م)، احتل القائد العربي أمرؤ القيس جزيرة Iotabe وهي إما جزيرة فرعون الحالية أو جزيرة تيران في خليج العقبة وطرد ضباط الضرائب البيزنطيين منها. بعد ذلك زار أمرؤ القيس الإمبراطور في القسطنطينية حيث تلقى الهدايا منه وأعلن أميراً على "بلاد العرب الصخرية" (Arabia Petraea). من الصعب تفسير هذه الأحداث بوجود الفيلق العاشر الروماني في أيله، إلا أنه من المحتمل أن أمرؤ القيس تحالف مع البيزنطيين الذين أوكلوا إليه مهمة حماية طرق التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى شواطئ البحر المتوسط. كانت أيله مركزاً لعدد من الأساقفة بدءاً بأسقفها الذي حضر مجمع نيقية الكنسي عام 325م. كشفت التنقيبات الأثرية منذ عام 1994 عن مدينة أيله

النبطية–الرومانية–البيزنطية على بعد حوالي 2كم جنوب شرق تل الخليفي في "الحديقة الدائرية" غربي مدينة العقبة الحديثة، وكشف فيها عن مبنى بازيليكي كبير من الطوب الطيني يعود إلى القرن الرابع الميلادي عرّفه المنقبون على أنه كنيسة، وإن كان هذا التعريف صحيحاً فإن هذا المبنى يعتبر أقدم كنيسة اكتشفت حتى الآن في الأردن وفلسطين. استسلمت العقبة سلمياً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم عام 8 /630 وأعطي الأمان لسفن المدينة وقوافلها. في منتصف القرن الأول الهجري / الثامن الميلادي، أسس المسلمون مصراً (مدينة جند) إلى الجنوب من المدينة الرومانية–البيزنطية. اكتشفت هذه المدينة خلال التنقيبات الأثرية التي ابتدأت عام 1986 وتعتبر مثالاً نادراً على تخطيط المدن الإسلامية المبكرة. تبلغ مساحة المدينة الإسلامية 165 × 140م ويقطعها شارعان متعامدان يصلان ما بين بواباتها الأربع، ويوجد مبنى مربع بأربعة عقود في المركز عند تقاطع الشارعين. تم تحويل هذا المبنى المركزي إلى مسكن فاخر مزخرف باللوحات الجدارية في فترة لاحقة. أما الجامع فقد غطى معظم الجزء الشمالي الشرقي من المدينة، وبنيت أروقته المعمدة حول ساحة عريضة بينما جعلت في قاعة الصلاة صفين من الأعمدة في ناحيته الجنوبية الغربية، وفي وسط جدار القبلة فتح محراب مجوف.

أحيطت المدينة بأسوار ضخمة وأبراج على شكل حدوة الحصان. يشبه مخطط المدينة المنتظم هذا مخططات الحصون الرومانية، كتلك الموجودة في أذرح واللجون في جنوب الأردن، وربما كان مستوحى من مخطط الحصن البيزنطي في أيله والذي لم يكشف عنه بعد (أنظر "حصون الفيالق الرومانية



مدينة العقبة الإسلامية، المسجد الجامع، العقبة.



سراج من الحجر الصابوني من أيله الإسلامية، متحف آثار العقبة (رقم AM 10).

وتخطيط المدن"). بالإضافة إلى كونها محطة لاستقبال التجارة البحرية والبرية، استفادت أيله من كونها على درب الحج إلى مكة، واستمرت بالازدهار حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حين عانت من سلسلة من الكوارث كالزلازل والقلاقل القبلية وهجمات الفرنجة. استمرت ظاهرة انتقال السكن في العقبة من الشمال إلى الجنوب في العصور الوسطى حين أسست مستوطنة جديدة حول القلعة المملوكية، على بعد حوالي 1كم إلى الجنوب من مدينة أيله الإسلامية المبكرة.

(غازي بيشه)

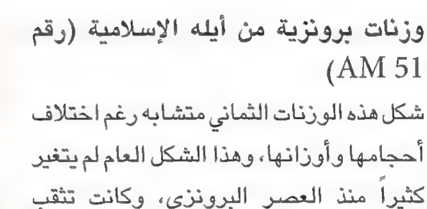
وزنات برونزية من أيله الإسلامية، متحف آثار العقبة (رقم AM 51).

5-2ب متحف آثار العقبة

بمحاذاة قلعة العقبة، في "بيت الشريف الحسين بن علي" التاريخي. يفتح أبوابه يومياً من 8 صباحاً – 6:30 مساءً في الصيف، ومن 8 صباحاً – 5:30 مساءً في الشتاء، يوجد رسم دخول. تضم المعروضات مكتشفات أثرية من أيله وتل المقص والحميمة ومواقع أخرى في محافظة العقبة. للاستعلامات: متحف آثار العقبة 2013861-03.

سراج من الحجر الصابوني من أيله الإسلامية (رقم AM 10)

يعتبر هذا السراج الذي ينسب للفترة الإسلامية المبكرة أو الأموية فريداً من حيث المادة والطراز والشكل. رغب أثرياء تلك الفترة باقتناء القطع المصنوعة من الحجر الصابوني الذي يتميز بلونه الداكن وسهولة الحفر عليه. عرف الحجر الصابوني في الشرق القديم، واستعمل بشكل خاص في صناعة الأختام الأسطوانية والدائرية. يتخذ السراج شكل صحن دائري يحفظ فيه زيت الوقود وتبرز عنه عشر فوهات مثلثة المقطع توضع فيها فتيل الإنارة، ويبدو بهذا شكل السراج كطبق نجمي.



قطع زخرفية برونزية من أيله الإسلامية، متحف آثار العقبة (أرقام AM 47، 45، 44، 546، 46).

وزنات برونزية من أيله الإسلامية (رقم AM 51)

شكل هذه الوزنات الثماني متشابه رغم اختلاف أحجامها وأوزانها، وهذا الشكل العام لم يتغير كثيراً منذ العصر البرونزي، وكانت تثقب أحياناً في الوسط وتتخذ شكل خرزة مستديرة أو مخروط. كان الثقب الأوسط لتعليقها وحفظها، وكانت الوزنات تعلق أحياناً في خيط مما يسهل حملها وحفظها كمجموعة.

قطع زخرفية برونزية من أيله الإسلامية (أرقام AM 47، 45، 46، 546، 44)

كانت هذه القطع الزخرفية الصغيرة أجزاء من آنية أو أغراض منزلية أخرى. عرفت القطع الزخرفية البرونزية في كافة المناطق وعبر الأزمنة المختلفة لذا فمن الصعب تأريخها. تم تأكيد أن نسبة هذه القطع إلى الفترة الإسلامية من طبقات التنقيب الأثري التي وجدت فيها ومقارنتها بقطع شبيهة معروفة، وبالإمكان تأكيد التاريخ أيضاً بفحصها مخبرياً لمعرفة تركيبها وطريقة صناعتها التي اختلفت عبر الفترات التاريخية.

عملة ذهبية من أيله الإسلامية (رقم AM 654)

قطعة العملة هذه من أيله الإسلامية نادرة ليس فقط لأنها ذهبية، بل لأنها تظهر النقلة من الحضارة البيزنطية إلى الإسلامية. ضرب

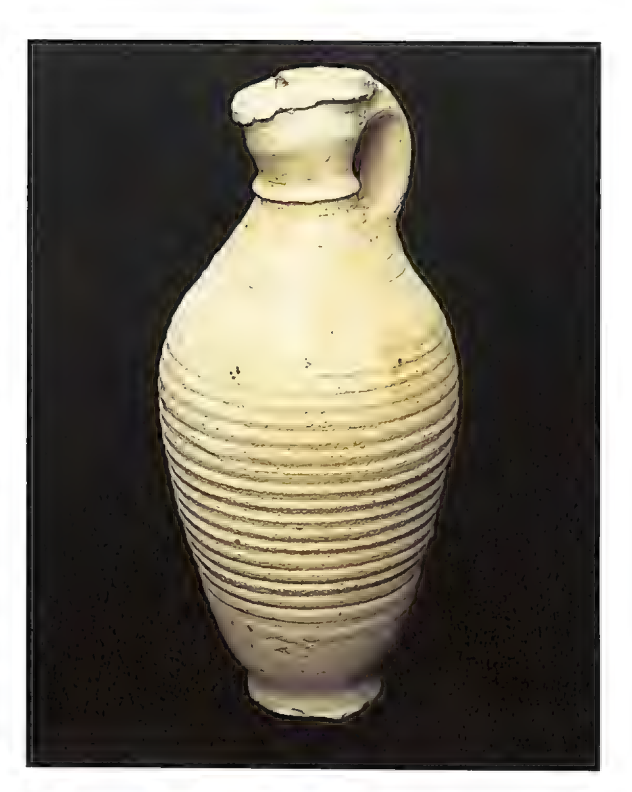


ظهر عملة ذهبية من أيله الإسلامية، متحف آثار العقبة (رقم AM 654).

وجه عملة ذهبية من أيله الإسلامية، متحف آثار العقبة (رقم AM 654).

إبريق فخاري أبيض من أيله الإسلامية، متحف آثار العقبة (رقم AM 633).

قطع عاجية من أيله الإسلامية، متحف آثار العقبة (رقم AM 52).





هذا الدينار في نهاية الفترة البيزنطية ويحمل على وجهه صورة الإمبراطور هرقل حاملاً صولجان الصليب، وحوله ولديه. على الظهر صليب فوق درجات وكتابة يونانية. كان هرقل الذي حكم من 610-640م قد تمكن من الانتصار على الساسانيين وطردهم من بلاد الشام ولكن ما لبث جيشه أن هزم من قبل العرب المسلمين لتدخل المنطقة في مرحلة تاريخية جديدة.

إبريق فخاري أبيض من أيله الإسلامية (رقم AM 633)

كانت عجينة هذا الإبريق البسيط البيضاء وشكله مثار نقاش بين المختصين لأن الشكل والعجينة الخالية من الزخارف كانا شائعين خلال الفترة الأموية والعباسية المبكرة – أي من أواخر القرن الأول وحتى نهاية الثالث الهجري/ السابع إلى التاسع الميلادي – وبغض النظر عن تاريخه الدقيق فقد وجد مثل هذا الإبريق في العديد من منازل الفترة الإسلامية المبكرة. هذا وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه العجينة البيضاء قد ظهرت في فترات تاريخية سابقة، وكانت شائعة في الفترة الرومانية المبكرة وخاصة في جنوب الأردن في البتراء والعقبة حيث صنع هذا الإبريق واستعمل لصب الماء. وفي وقتنا الحاضر تستعمل مثل هذه العجينة البيضاء في الأردن وفلسطين للآنية المخصصة للماء مثل الزير والقلة أو الشربة إذ يساعد لونها الأبيض في الاحتفاظ ببرودة محتوياتها.

قطع عاجية من أيله الإسلامية (رقم AM 52)

كان العاج دائماً مادة ثمينة تستعمل لتزيين الأثاث بالتعشيق أو لصنع أغراض الزينة الصغيرة. إحدى هذه القطع هي رأس دمية "قبطية" بعينين واسعتين، وتكمن أهمية الدمية في أنها تعطينا دليلاً مادياً واضحاً على التجارة بين موانئ مصر والعقبة. زخرفت القطعتين الأخرتين بالأساليب المعروفة في الشرق الأدنى منذ القدم، مثل عاجيات نمرود الشهيرة من نهاية العصر الحديدي. تعود القطع الثلاث المصورة هنا إلى الفترة الإسلامية المبكرة.

وادي رمّ (وادي إرم)

يقع وادي إرم على بعد 340كم إلى الجنوب من عمان و25كم إلى الشمال من العقبة. للوصول إليه من كلا المدينتين، اتبع الطريق الصحراوية ثم الإشارات المؤدية لوادي رمّ حيث يوجد الموقع على بعد 35كم من الطريق. المنطقة مفتوحة للزيارة وهنالك رسم دخول إليها، ومن الضروري استخدام سيارات الدفع الرباعي للتوغل فيها. المنامة متاحة في عدد من المخيمات السياحية. للاستعلامات: استراحة رمّ السياحية 03-2018867.

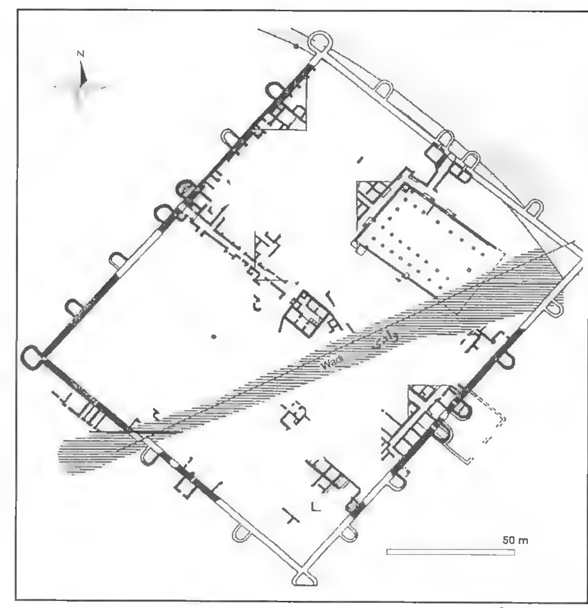
جمال صحراء رمّ برمالها الحمراء وجبالها الصخرية الشامخة أخاذ. وفي هذه البقعة من الأردن انتشرت محطات القوافل النبطية على طول طريق القوافل إضافة إلى المستوطنات البشرية القديمة منذ العصور الحجرية. فيها العديد من أنظمة الريّ والمنشآت المائية التي أقامها الأنباط لجمع مياه الأمطار باستخدام تضاريس الطبيعة، مما فتح المجال لسكن الصحراء و عبور القوافل التجارية. هذا وقد تمت الاستفادة من هذه المنشآت كالأقنية والخزانات والبرك في الفترات اللاحقة.

كذلك اشتهر وادي رمّ بالرسوم والكتابات العربية الشمالية (الصفوية والثمودية) التي نقشت على واجهات جباله الصخرية والتي تدل على تجوال القبائل وتنقلهم من شمال صحراء السعودية (مدائن صالح والعلا) إلى العقبة وحتى سيناء، كما تدل الكتابات المعينية في الوادي على مرور تجار جنوب الجزيرة العربية عبره. أما تسمية إرم فلقد استوحت من كتابة ثمودية وجدت في معبد اللات النبطي تشير إلى قبيلة عاد المذكورة في القرآن الكريم (سورة الفجر آية 6 – 9): "ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد" .

في التاريخ الحديث شهد وادي رمّ عدة معارك خلال الثورة العربية الكبرى ضد الحكم العثماني.

حصون الفيالق الرومانية وتخطيط المدن

غازي بيشه



مخطط مدينة أيله الإسلامية (عن Whitcomb, SHAJ 5, 1995).

عند الحديث عن "المدينة الإسلامية" يتوارد للذهن منظر شوارع القصبات الضيقة والمتعرجة التي تنتهي في معظمها بطريق مسدود. تصل هذه الشوارع إلى مناطق سكنية منعزلة حيث تفتح البيوت إلى الداخل لحماية خصوصية قاطنيها. في وسط المدينة توجد السوق المفعمة بالحيوية وأصوات الباعة. وبكلمات أحد الدارسين "(...) يبدو أن عدم الانتظام والعشوائية هي من صفات المدن الإسلامية. واجتماعياً، فإن المدينة الإسلامية تمثل خليطاً من مجموعات غير متجانسة وأفراد ذوو اهتمامات متناقضة".

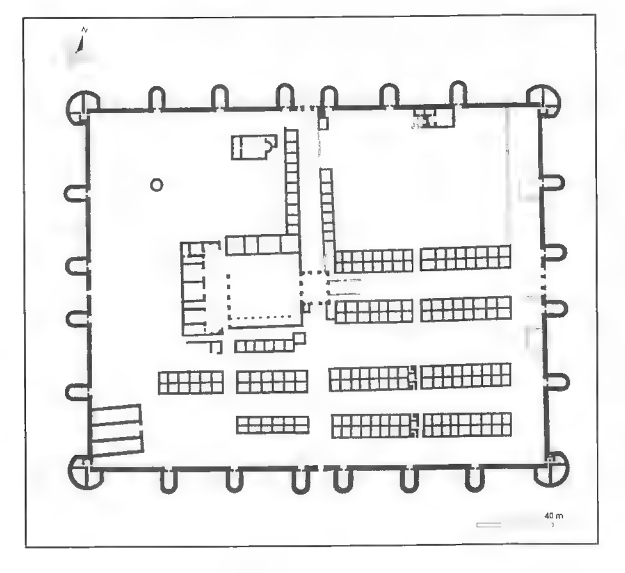
وبحسب بعض المعلقين، فإن هذه الخواص قد نتجت عن غياب المؤسسات المدنية والحكومات المحلية في المدن الإسلامية، وبالتالي تبدو المدينة في هذا النموذج المتخيل على أنها ثابتة وجامدة لا تتغير مع الزمن. هذه الصورة في الحقيقة بعيدة عن الدقة لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الجغرافية أو عامل الزمن وطبيعة النمو المدني المصاحبة لهما.

لتسهيل الأمور، تقسم المدن الإسلامية أحياناً إلى طرازين: المدينة "المحدثة" أي المدينة التي أسست في الفترة الإسلامية بإرادة حاكم أو أسرة حاكمة، والمدينة "التلقائية" أي التي استمرت ونمت طبيعياً من فترات سابقة. من أهم الأمثلة على الطراز الأول "دور الهجرة" مثل البصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر، والقيروان في تونس. كانت هذه في الأصل مخيمات كبيرة لتوطين القبائل المهاجرة، وأسست للسيطرة على سكان البلدان المفتوحة من غير العرب إضافة إلى كونها قواعد تنطلق منها الفتوحات. بعد أقل من جيلين، اتسعت دور الهجرة هذه لتصبح مدن جند دائمة (أمصار، ومفردها "مصر") وشجعت الدولة العرب على سكناها فأصبحت مراكز النشاط الثقافي والاجتماعي والسياسي في الدولة، واستمرت هذه الأمصار بالنمو والازدهار مما يدل على نجاح تكوينها أصلاً. إن معرفتنا بتخطيط الأمصار وتوزيع دروبها وساحاتها وأبنيتها العامة يعتمد أساساً على المصادر التاريخية العربية، وقد أظهرت الأبحاث الحديثة أنها لم تكن عشوائية بل بنيت حسب مخططات منتظمة ومدروسة. قسمت أرض كل مصر إلى مناطق سكنية (خطط) بحسب القبائل التي سكنتها، وجعل في الوسط

فضاء مفتوح (رحبة أو صحن) للاستخدامات الحكومية والعامة. بني المسجد الجامع في هذه الرحبة وإلى الجنوب منه (ناحية القبلة) كان قصر الحاكم (دار الإمارة)، مما يشير إلى وحدة الدولة والدين. من المركز انبثقت الشوارع الرئيسة (المناهج) بعرض 40 ذراع (20 متر) والطرق التي فصلت ما بين الخطط بعرض 20 ذراع (10 متر)، وتفرعت الأزقة من الطرق بعرض سبعة أذرع. كانت الشوارع منتظمة وإن لم تكن متعامدة، وكونت شبكة من الجادات الرئيسة والفرعية فصلت بين المناطق السكنية. تقسيم المدينة إلى خطط بحسب القبائل كان لتسهيل السيطرة عليها وتجنيد أفرادها في الجيش ودفع رواتبهم.

عندما وصل العرب المسلمون إلى سوريا والأردن وفلسطين، وهي بلاد ذات تاريخ مدني طويل، كانت المدن الكلاسيكية فيها بشوارعها المعمدة ومعابدها ومسارحها قد تغيرت بشكل ملموس وفقدت أبهتها القديمة، فاختفت الحمّامات الضخمة وخربت المعابد الشامخة واعتدت الحوانيت والبيوت الركيكة على الشوارع العامة، كما اختفت المجالس البلدية المستقلة ليحل محلها الأساقفة ورجال الدين الذين أصبحوا المسؤولين عن إدارة شؤون المدن. وبما أن الفاتحين الجدد لم يكن لديهم الخبرة الكافية في تخطيط المدن، فإنهم لم يقوموا بإدخال تعديلات رئيسة على المدن التي فتحوها لكنهم أدخلوا استعمالات جديدة عكست القوى المحركة في المجتمع الإسلامي. لهذا السبب قام العرب عند بناء مدينة جديدة مثل أيله (العقبة)، بتبني مخطط الحصن الروماني المنتظم بشارعيه الرئيسين المتقاطعين في المركز (أنظر "مدينة أيله الإسلامية"). لم تكن أيله مثالاً فريداً إذ استخدمت المخططات المنتظمة في بناء عنجر بلبنان وقصر الحير الشرقي في سوريا. تظهر هذه الأمثلة أنه، وبعكس النظرة السائدة، فإن عدم الانتظام كان منذ البداية غريباً عن الفن والعمارة وتخطيط المدن الإسلامية بينما سادت مفاهيم التماثل والتناسق عليها. كذلك لم يمنع غياب المجالس البلدية المستقلة ازدهار العديد من المدن الإسلامية، كما لم يستثني تكوين المجتمعات المتكاملة الموحدة والمتكافلة اجتماعياً. كانت المدينة في الفكر الإسلامي المبكر ضرورة لوصول الفرد إلى الكمال الأخلاقي والثقافي.

مخطط الحصن الروماني في اللجون (عن Parker، SHAJ 5, 1995).



التجار والحجاج

فوزي زيادين، غازي بيشه، إينا كيربرج، محمد الأسد

اليوم الثاني

5–3 الحميمة

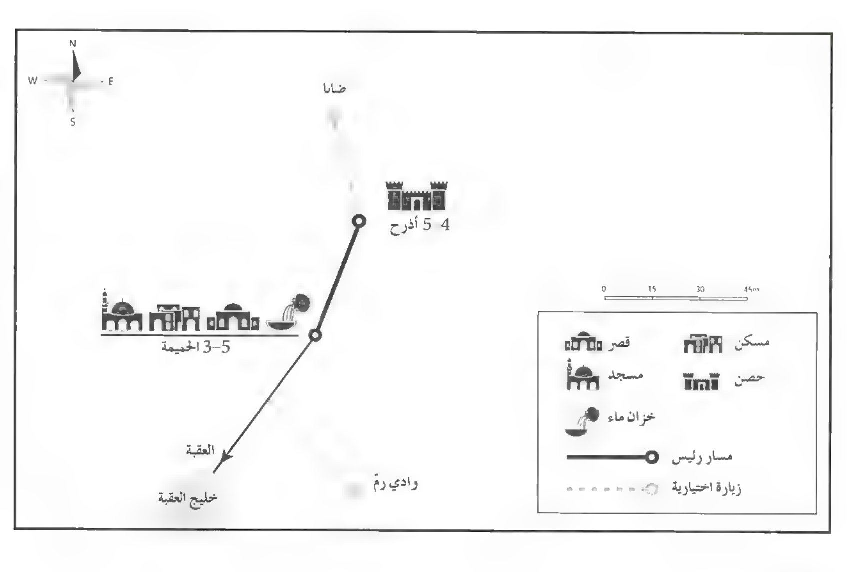
5–3 أذرح

زيارة اختيارية

محمية ضانا الطبيعية

أرض الأنبياء والصحابة

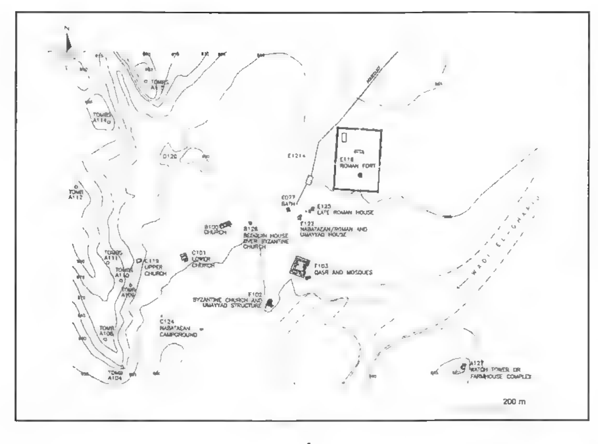
دروب الحج الشامي إلى الديار الإسلامية المقدسة



5-3 الحميمة

يقع الموقع على مسافة 280كم إلى الجنوب من عمان، و60كم شمال العقبة. بالإمكان الوصول إليه من وادي رمّ أو العقبة بالسيارة على الطريق الصحراوي باتجاه الشمال، حيث توجد إشارات للموقع وطريق تصل إلى مركز الزوار الحديث على مسافة 8كم من الطريق الرئيسة. لا يوجد رسم دخول للموقع، والزيارة مفتوحة طيلة النهار. للاستعلام، يمكن الاتصال بجمعية الحميمة العباسية السياحية 03-2014385.

تنبع أهمية موقع الحميمة التاريخية من كونها مركز العباسيين خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، وحيث خططوا ثورتهم للإطاحة بالأمويين. كشفت المسوحات والتنقيبات الأثرية منذ عام 1980 عن معلومات جمة بخصوص أنماط الاستيطان البشري في الحميمة على مدى أكثر من ألفي عام، وإن كانت أقدم المخلفات في المنطقة تعود إلى العصر الحجري القديم في "طور فراج" إلى الغرب مباشرة من الموقع إضافة إلى وجود بعض البقايا الأدومية من العصر الحديدي حوله. يعود تأسيس الحميمة إلى فترة الملك النبطي الحارث الثالث (حكم من 87-62ق.م) حين سميت بـ"حورا" أو "حوراء". كشفت التنقيبات عن عدد من القبور النبطية وبقايا منزل، إلا أن أعظم المخلفات النبطية هي نظام الريّ المتكامل في المنطقة، وهو يدل على عبقرية الأنباط في جمع وتخزين المياه. بلغ طول القنوات الحاملة لمياه ينابيع الشراه حتى الحميمة حوالي 26كم، كما سجلت المسوحات أكثر من 50 **خزان ماء** نبطي في مساحة 240كم مربع حول الموقع هي منطقة تجميع مياه الأمطار الهاطلة على الجبال المحيطة. تبلغ سعة خزاني الماء في وسط الموقع أكثر من 900 متر مكعب ولا يزال البدو



خريطة منطقة الحميمة/ الحوراء (عن Oleson et al. ADAJ 43, 1999).



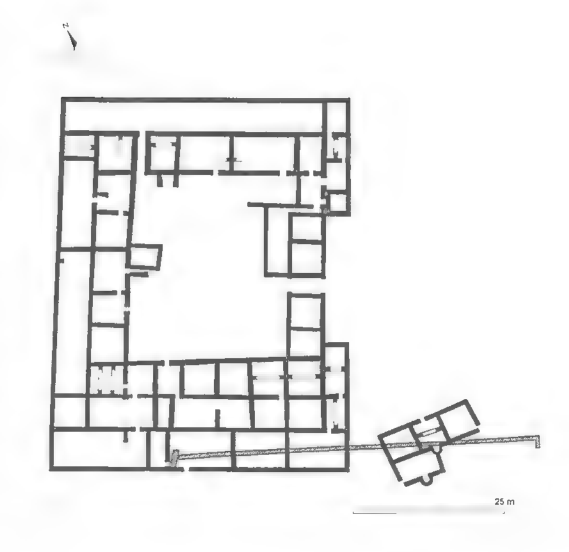
خزان نبطي، الحميمة.

بعد الاحتلال الروماني لمملكة الأنباط عام 106م، استمرت أهمية الحميمة (هاوارا أو هافارا كما حرف اسمها عندئذ) لوجودها على طريق تراجان الجديدة التي بناها الإمبراطور تراجان لربط بصرى الشام بأيله / العقبة في 111-114م، مكملة بذلك مكانتها على طريق القوافل النبطية التي أنشأ الموقع أصلاً بصفته محطة لخدمتها.

خلال الفترة الرومانية، بني حصن في ناحية الموقع الشمالية أرخ تأسيسه إلى القرن الثاني الميلادي، وأضيف إليه حين إعادة تنظيم ديوقلسيان للمقاطعة العربية في نهاية القرن الثالث – بداية الرابع الميلادي. تبلغ أبعاد الحصن 205 × 150م وله أربع أبراج في زواياه إضافة إلى أبراج مستطيلة صغيرة بارزة على طول أسواره. أظهرت التنقيبات عن استمرارية أهمية الموقع خلال الفترة البيزنطية، وكشف حتى الآن عن خمس كنائس من القرن السادس وبداية السابع الميلادي استمر استعمال اثنتين منها على الأقل في الفترة الأموية.

بحسب المصادر التاريخية، ابتاع علي بن عبد الله بن العباس "قرية" الحميمة في الفترة الأموية خلال خلافة عبد الملك بن مروان (65 / 685 - 86 / 705)، بينما تشير مصادر أخرى إلى أن بني أمية وهبوه إياها. وبعد وفاة علي ابتدأ ابنه محمد بالدعوة العباسية للإطاحة بحكم بني أمية.

بنى علي بن عبد الله قصراً ومسجداً صغيراً في الحميمة، وغرس فيها 500 شجرة زيتون.



مخطط قصر بني العباس، الحميمة (عن Oleson et al. ADAJ 43, 1999).

المحليون يستعملون أحدهما حتى الآن. جُعلت خزانات المياه الصغيرة دائرية إذ أن بناء هذا الشكل وعزله مائياً أقل تكلفة وأسهل، أما الخزانات الكبيرة فمعظمها مستطيل الشكل لسهولة سقفها. وبرهنت منشآت الماء النبطية على فاعليتها لدرجة أنها استخدمت عبر الفترات اللاحقة.

المسجدان في الحميمة، محراب أحدهما في مقدمة الصورة والثاني في خلفيتها، الحميمة.



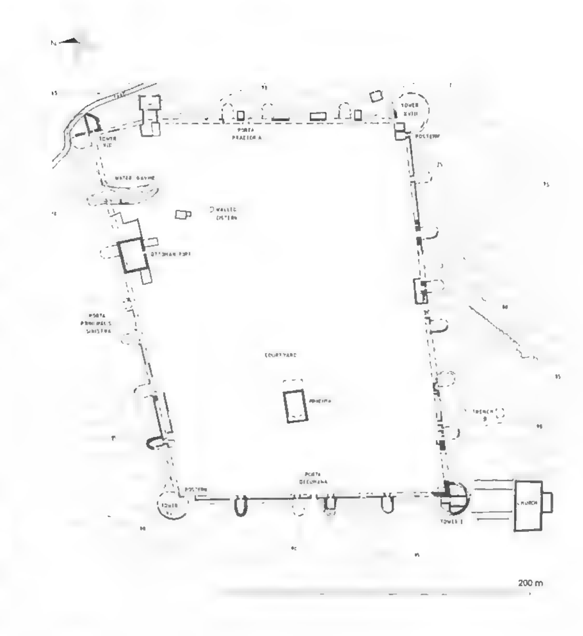
بني **القصر** على أساسات قديمة بمساحة 64×50م وتكون من ساحة مركزية محاطة بغرف سكنية، إلا أن نظام البيت الشائع في الفترة الأموية، وهو عبارة عن غرف موزعة حول ساحات أصغر مساحة، لم يتبع في هذا المبنى. لا توجد أبراج على أسوار القصر وبوابته مرتدة عن السور الأمامي. تختلف هذه المظاهر المعمارية عما اتبع في بناء القصور الأموية في بلاد الشام خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، وهي تدل على تأثيرات من الجزيرة العربية أكثر من بيزنطه، ولا غرابة في هذا لأن علي بن عبد الله أتى إلى الحميمة من مدينة الطائف في الحجاز.

لم تحدد بعد طبيعة غرف القصر باستثناء غرفة وجد فيها طابون للخبيز، وغرفة أخرى مواجهة للمدخل كانت مزخرفة بالرسومات الجدارية التي دمرت بحريق هائل، ووجد فيها العديد من القطع الثمينة أهمها آلاف الكسر العاجية، وربما كانت هذه قاعة الاستقبال في القصر. تم ترميم بعض هذه الكسر العاجية، وجمعت لوحات عليها زخارف نباتية وهندسية وصور طيور إضافة إلى ست لوحات بطول حوالي 30سم على كل منها نحت شخص يرتدي قميصاً طويلة وسروال فضفاض، يبدو أن أربعة منهم جنود حاملين رماحاً طويلة، ويشير طراز اللوحات إلى تأثير فارسي أو شرقي، وربما كانت اللوحات العاجية زينة خزانة من الخشب دمرت في الحريق. تدل هذه المكتشفات على ترف حياة سكان القصر، ولا بد من الإضافة أن بني العباس تاجروا مع البلاد البعيدة واستضافوا المسافرين من بلاد الشام والحجاز في الحميمة (إضافة إلى أعوانهم من خراسان حيث انتشرت دعوتهم مما ساعد على سرية بقائها).

يوجد **مسجد صغير** على بعد حوالي 10م من زاوية القصر الجنوبية الشرقية، بنيت عليه غرفة في مطلع القرن العشرين ولم يتبق من الأصل سوى ثلاثة مداميك. مخطط المسجد

صورة جوية لقصر بني العباس في الحميمة.





مخطط الحصن الروماني في أذرح (عن .A Killick, 1983 تقرير غير منشور).

معيني وبالإمكان رؤية محرابه من الخارج، وتبلغ أطوال كل من جدرانه 5.75-5.60م. لم يوجه المسجد إلى مكة بدقة لكن هذه الظاهرة شائعة في المساجد المبكرة حين كان توجيه العديد منها تقريبياً.

هذا المسجد من أصغر المساجد الإسلامية المبكرة المكتشفة في بلاد الشام، ويدل صغر حجمه على أنه كان لاستخدام الأسرة التي تقطن الموقع فقط. كشف عن مسجد آخر إلى الجنوب الشرقي مباشرة بني جداره الغربي على محراب المسجد الأول، لكن لم يتمكن المنقبون من تحديد تاريخه، ويبدو أنه كان مفتوحاً بدون سقف. لم يكتشف مسجد جامع في الحميمة حتى الآن، ولم تحوَل أي من كنائسها إلى مساجد خلال الفترات الإسلامية، مما يوحي بأن معظم سكانها بقوا على الدين المسيحي خلال الفترة الإسلامية المبكرة على الأقل. نجح العباسيون في الإطاحة بالأمويين وتركوا الحميمة إلى العراق ليؤسسوا دولتهم عام 132/750. استمر السكن في الموقع خلال الفترات اللاحقة، وإن لم يكن بحجم الفترات السابقة، حتى السبعينات من القرن العشرين حين رحل السكان إلى "الحميمة الجديدة" على الطريق الصحراوي.

(محمد الأسد)

4-5 أذرح

تقع على بعد 120كم شمال العقبة و20كم غربي معان. للوصول إلى الموقع من الحميمة اتبع الطريق الصحراوية شمالاً إلى معان ثم اتجه إلى الغرب حيث توجد إشارات للبلدة. لا يوجد رسم دخول والموقع مفتوح طيلة النهار.

تقع أذرح عند حافة الصحراء ما بين وادي موسى ومعان، حيث يبلغ معدل هطول المطر أقل من 200مم سنوياً، إلا أن وجود نبع ماء قرب الموقع عوض عن شح الأمطار ويبدو أنه كان سبب اختيار هذه البقعة بالذات للبناء والسكن. أهم معالم الموقع **حصن روماني** ضخم مخططه شبه منحرف وتبلغ أبعاده 246م في الشمال، 248م في الجنوب، 177م في الغرب، و207م في الشرق. ما زالت الأبراج الدفاعية الضخمة قائمة بمحاذاة الأسوار لكن داخل الحصن مليء بالردم والحجارة. بنيت قلعة عثمانية ارتفاع

أسوارها 6م على سور الحصن الشمالي.
توجد كنيسة بيزنطية خارج زاوية الحصن الجنوبية الغربية، وجعل السور الشرقي منحرفاً عند نهايته الشمالية لاحتواء النبع وحمايته داخل الحصن في جهته الشمالية الشرقية. يبدو أن الحصن كان مقسماً أصلاً إلى أربعة أجزاء بواسطة شارعين متعامدين يتقاطعان في المركز ويصلان إلى أربع بوابات. إضافة إلى هذه البوابات الأربع الرئيسة، هنالك ثلاث ممرات جانبية برميلية الشكل وربما كان هنالك المزيد منها لكنها دمرت الآن.
سكن موقع أذرح بسبب موقعه على طريق تجارة رئيسة. وزادت شبكة الطرق التي أنشأت خلال الفترة الرومانية من أهمية موقع أذرح الاستراتيجي، وبخاصة طريق تراجان الجديدة. ورد أقدم ذكر لأذرح في أعمال بطليموس (القرن الثاني الميلادي) حيث ذكرت كبلدة في بلاد العرب الصخرية. كما وردت أذرح في مرسوم جستنيان من بئر السبع حيث ذكر أنها كانت تدفع 650 قطعة ذهبية وهذه أعلى ضريبة دفعتها مدينة ضمن ولاية فلسطين الثالثة الرومانية، مما يدل على أهميتها خلال القرن السادس الميلادي حين قوي نفوذ الغساسنة الذين أوكلت إليهم بيزنطة بمسؤولية حفظ أمن المنطقة. من المثير للاهتمام أن أحد المصادر العربية من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ذكر أن إعمار أذرح وإعادة بنائها كان على يد الملك الغساني الحارث بن جبله. في عام 8 / 630، حين دخل هرقل القدس منتصراً بعد هزيمة الساسانيين، وصل النبي محمد إلى تبوك وهناك قابلته وفود أيله وأذرح وجربا (المجاورة لأذرح) حيث عقدوا صلحاً دفعت أذرح بموجبه 100 دينار للمسلمين، وهذا المبلغ أقل بكثير من الضريبة البيزنطية



القلعة العثمانية داخل الحصن الروماني، أذرح.



القرية التراثية، ضانا.

في عهد جستنيان ربما لأن عدد السكان كان قد انخفض خلال تلك الفترة. عند اندلاع معركة صفين (عام 36 / 657) بين قوات الخليفة علي بن أبي طالب ومناصري معاوية بن أبي سفيان والي بلاد الشام، اتفق الطرفان على التحكيم لحقن دماء المسلمين. التقى الطرفان في أذرح وهنالك تمت خديعة مناصري الخليفة علي. في عام 41 / 661 التقى الحسن أكبر أبناء علي معاوية في نفس الموضع وأعلن ولاءه له، مما مهد الطريق لانتقال الخلافة إلى بني أمية. في 67 / 687-68 / 688 سكن علي بن عبد الله بن العباس وأسرته في أذرح لكنهم تركوها بعيد ذلك إلى الحميمة (أنظر "الحميمة") ومن هناك انطلقت الدعوة العباسية التي أدت إلى الإطاحة بحكم الأمويين في 132 / 750.

(غازي بيشه)

محمية ضانا الطبيعية

تقع ضانا على مسافة حوالي 25كم جنوب الطفيلة، إلى الشمال من الشوبك على "طريق الملوك". المحمية هي إحدى سبع محميات طبيعية تشرف عليها "الجمعية الملكية لحماية الطبيعة" والتي تدير أيضاً مخيمين سياحيين داخل المحمية لمبيت الزوار. تعتبر منطقة ضانا من أفضل المناطق في الأردن لمشاهدة ودراسة النباتات والحيوانات ضمن بيئتها الطبيعية، إضافة إلى جمال المنطقة الأخاذ. مشروع محمية ضانا من أكبر مشاريع حماية الطبيعة في الشرق الأوسط وتضم سبع بيئات طبيعية مختلفة تبدأ من حوالي 250م تحت سطح البحر وترتفع إلى 1500م فوق سطح البحر للجبال الصخرية المشرفة على وادي عربه. في القديم اعتمد سكان قرية ضانا على التجارة عبر وادي عربه التي تضاءلت خلال القرن العشرين مما حدا بمعظم أهل القرية لهجرتها بحثاً عن وظائف في أماكن أخرى، إلا أن مشروع ضانا شجعهم على إعادة إحياء قريتهم عبر ترميم البيوت العثمانية وإدخال الصناعات الحرفية والتقليدية. للاستعلامات: محمية ضانا الطبيعية 03- 2270497.

أرض الأنبياء والصحابة

محمد الأسد

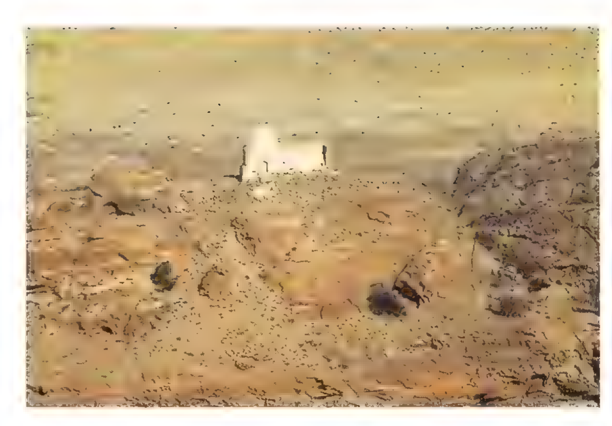
يحوي الأردن الحديث العديد من المواقع الهامة لاتباع الديانات التوحيدية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، إذ ترتبط هذه المواقع بأحداث وشخصيات ذكرت في الإنجيل بعهديه القديم والجديد، وفي القرآن، وفي تاريخ كل من هذه الديانات. وبما أن هنالك تواصل ما بين الإسلام والمسيحية واليهودية، فمن الطبيعي أن تكون العديد من المواقع التوراتية هامة أيضاً للمسلمين.

البقايا التاريخية في معظم هذه المواقع هي نتاج الترميم أو الإعمار الحديث، وبالتالي فإن أهمية المواقع هي في الذاكرة الجماعية التي تحويها أكثر منها في عمارتها.

ربطت التقاليد المواقع في الأردن بعدد من الأنبياء مثل نوح وإبراهيم ولوط واسحق وموسى وهارون وإيليا وشعيب وداوود وسليمان ويوشع ويحيى وعيسى عليهم السلام. يعتقد أن جبل نبو بالقرب من مأدبا هو مكان وفاة النبي موسى، ومكاور الواقعة إلى الجنوب من مأدبا والمشرفة على البحر الميت ربما كانت حيث قطع رأس يوحنا المعمدان (النبي يحيى) الذي يُعتقد أنه قام بتعميد السيد المسيح عيسى على الضفة الشرقية من نهر الأردن عند وادي الخرّار. كما شاع أن أحد الكهوف في الجبال المشرفة على البحر الميت في غور الأردن هو "كهف لوط"، المكان الذي لجأ إليه النبي لوط مع ابنتيه عند دمار صدوم وعموره. يحتوي الموقع على دير بيزنطي وكنيسة النبي لوط من القرن السادس الميلادي (دير عين عباطه). إضافة إلى هذا، ربطت بعض التقاليد أضرحة الأنبياء هارون ويوشع وشعيب بمواقع في الأردن حيث توجد مقامات يوشع وشعيب



ضريح النبي نوح، قرب الكرك.



مقام النبي هارون، قرب البتراء.

بالقرب من السلط، ومقام هارون بالقرب من البتراء.

ظهرت أهمية منطقة الأردن للحج المسيحي منذ الفترة المسيحية المبكرة، وأول حج مدون وصلنا هو حج امرأة تدعى ايجيريا يعتقد الباحثون أنها كانت راهبة إسبانية عاشت في نهاية القرن الرابع الميلادي. كتبت ايجيريا رسائل مفصلة لأخواتها ذكرت فيها تفاصيل رحلاتها. بعد ذلك وصلتنا روايات عدة حجاج مسيحيين إلى الأردن مثل بطرس الأيبيري في القرن الخامس، وحاج غير معروف اسمه من بياشينزا في القرن السادس الميلادي، وتحتوي هذه الكتابات معلومات هامة تتعلق بآثار وتاريخ الأراضي المقدسة.

المسجد على أرض معركة مؤته، قرب الكرك.



يوجد في الأردن أيضاً العديد من المواقع الهامة من تاريخ صدر الإسلام، ووقعت على أرضه ثلاث معارك فاصلة بين قوات المسلمين والبيزنطيين في مؤتة وفحل واليرموك، وتوجد أضرحة 14 صحابياً في الأردن حارب عدد منهم في المعارك على أرض الأردن التي كانت بوابة الفتوحات الإسلامية. وتنتشر هذه الأضرحة في مواقع عدة يزورها المسلمون من أرجاء العالم الإسلامي المختلفة.

وقعت **معركة مؤتة** بالقرب من الكرك عام 629/7. أرسل الرسول محمد عليه السلام 300 رجل عيّن على رأسهم ابنه بالتبني زيد بن حارثه، تلاه جعفر بن أبي طالب، ابن عم الرسول وأخو علي، تلاه عبد الله بن رواحة الذي كان مسيحياً اعتنق الإسلام ووثق به الرسول أشد ثقة. هُزم المسلمون واستشهد القادة الثلاث في المعركة، وتوجد أضرحتهم في قرية المزار بالقرب من مؤتة حيث بني أيضاً مجمعاً دينياً حديثاً.

كانت **معركة فحل** في غور الأردن بالقرب من موقع طبقة فحل الأثري أول انتصار للمسلمين على البيزنطيين عام 14 /635 تبعتها مباشرة **معركة اليرموك** في 15/636، بعد وفاة الرسول بأربع سنوات. سميت المعركة باسم نهر اليرموك في أقصى شمال الأردن. قاد خالد بن الوليد قوات المسلمين هناك، وكان قد حارب



مقام عبد الله بن رواحة، المزار، قرب الكرك.

في مؤتة إذ نجح في سحب من تبقى من جنود المسلمين بسلامة إلى المدينة بعد استشهاد القادة الثلاث. ورغم أن عدد الجنود البيزنطيين كان ضعف عدد المسلمين في اليرموك، إلا أن المسلمين انتصروا هناك، وكانت تلك المعركة هي الفاصلة في فتح بلاد الشام.

سكن الأردن عدد من الصحابة الذين حاربوا في معركة اليرموك والمعارك الأخرى في بلاد الشام ضد جيوش البيزنطيين. من أشهرهم أبو عبيدة الجراح وهو من أوائل من اعتنقوا الإسلام وسماه الرسول بـ"الأمين". عينه الخليفة عمر بن الخطاب قائداً لجيوش المسلمين في بلاد الشام خلفاً لخالد بن الوليد، وكان أول والٍ على الشام. ذكر البعض أن عمر كان ينوي تنسيبه خلفاً له إلا أن أبو عبيده توفي قبل عمر على إثر طاعون عمواس عام 18 / 639، ودفن في غور الأردن في الموقع المسمى باسمه، "أبو عبيدة".

دروب الحج الشامي إلى الديار الإسلامية المقدسة

فوزي زيادين

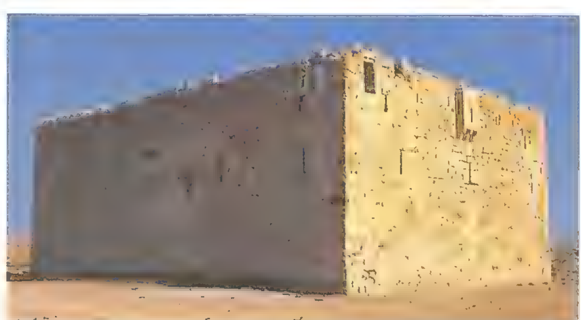


قلعة ضبعة.

الحج هو إحدى الفرائض الخمسة في الإسلام، فعلى كل مسلم أن يحج إلى مكة المكرمة مرة واحدة على الأقل في حياته. وفي الحقيقة فإن هذه الفريضة ترجع إلى ما قبل الإسلام، لأن الكعبة كانت مقدسة عند قبيلة قريش كما كانت عند القبائل العربية الأخرى. إلاّ أن الكعبة لم تكن وحدها المقدسة في الجزيرة العربية إذ كانت في الحجاز عدة كعبات في الجاهلية. فقد كانت توجد كعبة في وادي حرر بالقرب من مكة المكرمة كانت تعبد فيها العزى وأخرى بالقرب من الطائف تعبد فيها اللات.

لكن كعبة مكة كانت الأكثر قدسية من هذه المعابد لأن سيدنا إبراهيم أقامها هو وإسماعيل

قلعة القطرانة.



قبل ظهور اليهودية والمسيحية. ولما فتح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مكة في عام 8هـ / 630م، حطم الأصنام وأقام العمرة وجعل من الكعبة قبلة المسلمين. وعندما اختار معاوية بن أبي سفيان دمشق عاصمة للدولة الأموية في عام 41/661، أصبحت درب الحج الشامي أول درب تقام رسمياً.

عندما كانت القافلة تنطلق من دمشق، كان الخليفة يعين عليها أميراً للحج فتنطلق إلى الجنوب يرافقها الأهل والأصدقاء لتوديع الحجاج. أما المحمل الذي كان يقل كسوة الكعبة ثم يطوف في شوارع مدينة دمشق ليلة انطلاق القافلة فكان تقليداً متأخراً. وكانت المحطة الأولى هي الكسوة جنوب دمشق، وسميت كذلك لأن الرسل الذين بعث بهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الأمير البيزنطي قتلوا في هذه المحطة ونهبت ثيابهم. ومن الكسوة تسير القافلة إلى خان ذنون وغباغب ومنها إلى الصنمين والمزيريب حيث تكثر الينابيع الغزيرة، وفي هذه المحطة كانت تقام سوق كي يحصل الحجاج على ما يحتاجون إليه من لوازم السفر. وكانت آخر محطة في سوريا هي درعا التي تقع على الحدود السورية الأردنية الحالية. أما في الأردن فإن درب الحج تتبعت طريق الخط الحديدي الحجازي فتصل إلى الفدين / المفرق ، ومن الفدين إلى خربة السمرا حيث كشف التنقيب عن عدة معالم أثرية وحيث توجد محطة للقطار، ومنها إلى الزرقاء ثم إلى عمان، وكانت المحطة في هذه المدينة قرب الجامع الحسيني وسبيل الحوريات حيث يجري سيل عمان الغزير.

في الفترة العثمانية أنشأت سلسلة من القلاع على درب الحج. تقع زيزياء / الجيزة على بعد 30كم جنوب عمان (قرب المطار الدولي الحالي) ثم الضبعة على بعد 50كم وفيها بركة لجمع مياه السيول. أما القطرانة فكانت محطة رئيسية لأنها تقع على ملتقى طريق الكرك والخط الصحراوي على بعد 85كم عن عمان، وتم ترميم القلعة العثمانية هناك في السبعينات من القرن العشرين بدعم من الحكومة التركية. وفيها بركة ضخمة تجمع مياه الوادي. فلما كانت القافلة تعود إلى القطرانة، كان أمير الحج يبعث رسولاً إلى دمشق ليخبر بوصول القافلة. وبعد القطرانة تقع الحسا وفيها قلعة ترجع إلى عهد المماليك، ولقد تم رصف الطريق التي تعبر الوادي إليها، وعند الجسر الضخم الذي مازال قائما، كانت تستوفى الضرائب على القوافل في الفترة المملوكية.

في معان، كان يتم تجمع الحجاج وكانت المدينة تقسم إلى قسمين: معان الشامية إلى الشمال ومعان الحجازية في الجنوب، وكانت تقام فيها سوق ليشتري الحجاج احتياجاتهم. ومن معان تتجه القافلة إلى الشيدية (29كم) ومنها إلى قلعة فصوعة (قلعة صلاح الدين) ثم إلى بطن الغول، في منتصف الطريق بين معان والمدورة التي هي المحطة الأخيرة في الأردن حيث أنشأت قلعة مربعة الشكل (19م على كل جانب) وفيها بركة الماء من عهد العثمانيين. من المدورة تغادر القافلة الأردن وتصل إلى حالة عمار في المملكة العربية السعودية.

توجد ثلاثة دروب من الحدود الأردنية- السعودية الحالية نحو الديار المقدسة: الأولى



مزرعة نخيل، معان.

وتدعى التبوكية التي كانت تمر في طرق القوافل القديمة من تبوك إلى مدائن صالح / الحجر والعلا ومنها إلى وادي القرى. وهذه هي الطريق الأقدم لأن قوافل الأنباط كانت تسير فيها مارة بالحجر حيث توجد المدافن البديعة المنحوتة في الجبال الرملية.

أما الطريق الثانية فكانت تتبع ساحل البحر الأحمر من عينونة ثم تلتقي مع الطريق القادمة من تبوك. وكانت الطريق الثالثة تنطلق مباشرة من إيلة / العقبة إلى جدة ثم إلى المدينة المنورة. أنشأ العثمانيون الخط الحديدي الحجازي لكي يستغني الحجاج عن معاناة السفر على الرواحل وذلك من عام 1901 حتى 1908، عندما وصل أول قطار إلى المدينة المنورة فأقيم احتفال عظيم بهذه المناسبة، اضيأت فيه المصابيح الكهربائية لأول مرة. ولكن هذا الخط لم يستمر طويلا إذ تم تدميره في الحرب العالمية الأولى ليمنع وصول الإمدادات العثمانية، وهو لا يزال معطلا إلاّ بين عمان ودمشق لنقل البضائع. والخط الحديدي الحجازي عبر الأراضي الأردنية هو وقف إسلامي تشرف عليه وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية.



فترات حكم الخلفاء

الخلفاء الراشدون

أبو بكر (11 / 623 - 13 / 634)

عمر بن الخطاب (13 / 634 - 23 / 644)

عثمان بن عفان (24 / 644 - 35 / 656)

علي بن أبي طالب (35 / 656 - 40 [illegible]

الخلفاء الأمويون

معاوية الأول بن أبي [illegible] / [illegible] - [illegible] 680)

يزيد الأول (60 / 680 - [illegible] / 683)

معاوية الثاني (64 / 683 - 84)

مروان الأول بن الحكم (64 / 684 - 65 / 685)

عبد الملك (65 / 685 - 86 / 705)

الوليد الأول (86 / 705 - 96 / 715)

سليمان (96 / 715 - 99 / 717)

عمر بن عبد العزيز (99 / 717 - 101 / 720)

يزيد الثاني (101 / 720 - 105 / 724)

هشام (105 / 724 - 125 / 743)

الوليد الثاني (125 / 743 - 126 / 744)

يزيد الثالث (126 / 744)

إبراهيم (126 / 744)

مروان الثاني (127 / 745 - 132 / 750)

إبراهيم بن محمد الإمام
من بني العباس، خطط من الحميمة للإطاحة بحكم الأمويين. اعتقل وأعدم في حران عام 132 / 749 - 50.

ابن عبد ربه (246 / 860 - 328 / 940)
مؤرخ، مؤلف "العقد الفريد".

أبو الفرج الاصفهاني (284 / 897 - 356 / 967)
مؤرخ، مؤلف "كتاب الأغاني".

أبو عبيده الجراح (581 - 18 / 639)
قائد عسكري مسلم، حارب في معركة اليرموك. توفي بطاعون عمواس وله مقام في غور الأردن.

الاسكندر جانيوس (103 - 76 ق.م)
أمير حشموني هاجم مدن الديكابوليس في الأردن، لكن الملك النبطي عباده الأول هزمه في النقب.

الاسكندر الكبير (356 - 323 ق.م)
تولى العرش بعد والده الملك فيليب المقدوني، هزم الفرس واحتل سوريا وفلسطين في 332 - 331 ق.م. أدخل الحضارة اليونانية إلى الشرق وأسس مدينة الإسكندرية في مصر. توفي في بابل.

أرابيوس
شاعر من جدارا (أم قيس) في القرن الرابع الميلادي.

آشوربانيبال (حكم من 668 - 630 ق.م)
ملك آشوري، احتل مصر وسوريا وفلسطين.

أغسطس (كايوس أوكتافيوس، 63 ق.م - 14م)
ابن أخ يوليوس قيصر. أول إمبراطور روماني، حكم من 27 ق.م - 14 م.

أمرؤ القيس
أمير عربي احتل إحدى الجزر الاستراتيجية في خليج العقبة (جزيرة فرعون أو تيران) وطرد منها ضباط الضرائب البيزنطيين. زار القسطنطينية وأعلنه الإمبراطور ليو الأول أميراً على "بلاد العرب الصخرية".

أناستازيوس (حكم من 491 - 518 م)
إمبراطور بيزنطي. أصدر مرسوماً لإعادة تنظيم الإمبراطورية البيزنطية.

أنطيوخوس الثالث الكبير (223 - 187 ق.م)
ملك سلوقي حكم من 223-287ق.م. استولى على سوريا وفلسطين من البطالمة عام 198ق.م.

أنطيوخوس الرابع إبيفانوس (215 - 163 ق.م)
ملك سلوقي حكم من 175 - 163 ق.م. احتل مصر والقدس عام 168 ق.م. أدخل عبادة زيوس أولمبيوس إلى مدن الشرق.

ايجيريا
حاجة رومانية كتبت عن المواقع المقدسة في الشرق الأوسط من فلسطين إلى الأردن وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى من 381 - 384 م.

بطرس الأيبيري (النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي)
أسقف غزه.

بطليموس الثاني فيلادلفوس (306 - 246 ق.م)
ملك مصر من 283 - 246 ق.م.

بومبي (106 - 48 ق.م)
قائد روماني احتل الشرق عام 63 ق.م وأسس الولاية السورية. اغتيل في مصر عام 48 ق.م.

تراجان (53 - 117 م)
إمبراطور روماني حكم من 98 - 117 م. أخمد الثورة اليهودية الثانية واحتل مملكة الأنباط عام 106 م. دعم الديكابوليس ورصف وعمّر "طريق تراجان الجديدة".

تيبريوس (42 ق.م - 37 م)
إمبراطور روماني حكم من 14 - 37 م. ابن أغسطس بالتبني.

ثيودوسوس فيلادلفي (نهاية القرن الثاني قبل الميلاد)
حاكم عمان الهلنستي سيئ السمعة، هرب إلى جدارا وجراسا.

ثيوفان
أسقف مأدبا في الفترة البيزنطية المتأخرة حتى الأموية المبكرة (القرن السابع الميلادي).

جستنيان (حكم من 527 - 565 م)
إمبراطور روماني.

جعفر بن أبي طالب (توفي 8 / 629)
ابن عم الرسول محمد وأخو علي بن أبي طالب. قائد عسكري مسلم استشهد في مؤته ومقامه في المزار بالقرب من الكرك.

الحارث الثالث (حكم من 87 - 62 ق.م)
ملك نبطي، لقب بـ "محب الهيلينية". أسس عدة مواقع نبطية منها حورا (الحميمة).

الحارث بن جبله
ملك غساني عاش في زمن جستنيان، ينسب إليه بناء أذرح والقسطل والقناطر.

الحجاج بن يوسف الثقفي (41 / 661 - 95 / 714)
والي أموي على العراق.

الحسن بن إبراهيم
أحد حكام عمان، ربما كان في الفترة الفاطمية.

الحسن بن علي (حوالي 3 / 624 - 49 / 669)
أكبر ابناء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

الحسين (4/ 626 - 60/ 680)
ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

خالد بن الوليد (توفي 21/ 642)
قائد عسكري مسلم فذ، قاد معركة اليرموك.

خالد بن يزيد بن معاوية
ابن الخليفة الأموي الثاني يزيد (60/ 680 - 64/ 683). ابتاع ضيعة الفدين لقاء قصر الخضراء في دمشق.

خسرو الثاني بارويز (حكم 591 - 628 م)
ملك ساساني.

ديوقلسيان (245 - 313 م)
إمبراطور روماني حكم من 284 - 305. أعاد تنظيم الإمبراطورية الرومانية في الشرق باستحداث ثلاث ولايات فلسطينية: الأولى والثانية والثالثة.

رودريك (حكم 710 - 711)
ملك مملكة الغوط الغربية في إسبانيا.

ريتوريوس
راهب بنى كنيسة النبي إيليا في غور الأردن خلال القرن السادس الميلادي.

زرياب (توفي 236/ 850)
موسيقار وضع أسس الموشحات الأندلسية.

زنوبيا (حكمت من 266 - 272 م)
ملكة تدمر. ثارت ضد الرومان واحتلت مصر لكن الإمبراطور أورليانوس تمكن من هزيمتها.

زيد بن حارثه (574 - 8/ 629)
قائد عسكري مسلم استشهد في مؤته ومقامه في المزار بالقرب من الكرك.

سعدى
ابنة سعيد بن خالد صاحب الفدين وزوجة الوليد الثاني.

سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان
سليل الخليفة عثمان بن عفان وصاحب الفدين. زوج إحدى بناته للخليفة الأموي هشام وبنت أخرى للخليفة الوليد الثاني.

سفيان بن يزيد السعدي
حاكم البلقاء في نهاية الخلافة الأموية، ألقى القبض على إبراهيم الإمام في الحميمة.

سلمى
ابنة سعيد بن خالد صاحب الفدين، خطبت للوليد الثاني لكنها توفت قبل مقتله عام 131/ 749.

سليمان
النبي وملك إسرائيل من 970 – 928 ق.م. بنى الهيكل في القدس.

سوزيموس
رئيس دير النبي لوط في غور الصافي.

طوبيا
حاكم عمون في القرن الخامس قبل الميلاد، ومن ثم تحت الحكم الفارسي.

العباس بن عبد المطلب (565 – 32/ 653)
عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

عبد الرحمن الثاني (حكم من 206/ 822 – 238/ 852)
حاكم أموي أندلسي.

عبد الله بن رواحه (توفي 8/ 629)
قائد عسكري استشهد في معركة مؤته. له مقام في المزار بالقرب من الكرك.

عبد الله بن الزبير (2/ 624 – 73/ 692)
قائد ثورة ضد الأمويين.

علي بن عبد الله بن العباس (40/ 661 – 117/ 635 – 36)
سلف الخلفاء العباسيين.

فلافيوس جوزيفوس (حوالي 37 – 100 م)
مؤرخ روماني يهودي، أشهر أعماله "تاريخ الحروب اليهودية" (75 – 79).

قسطنطين الكبير (285 – 337 م)
إمبراطور روماني حكم من 306 – 337. أصبح الإمبراطور الأوحد للدولة الرومانية عام 306 وأعلن المسيحية كدين للدولة عام 324م.

كابيتولينوس
ربما كان حاكم الولاية العربية في منتصف القرن الثالث الميلادي.

ليو الأول (حكم من 457 – 474 م)
إمبراطور بيزنطي.

مالخوس/ مالك
مؤرخ بيزنطي من فيلادلفيا/ عمان، كتب تاريخ بيزنطة في حوالي عام 500.

المأمون (حكم من 197/ 813 – 218/ 833)
خليفة عباسي.

مثاثياس
كبير كهنة الهيكل في القدس، أعلن الثورة اليهودية ضد أنطيوخوس الرابع في 167 ق.م.

معبد بن وهب (توفي 125 / 743 - 44)
موسيقار ومغني.

المقدسي (توفي عام 375 / 985)
ولد في القدس، من الجغرافيين والمستكشفين المسلمين الأوائل. مؤلف كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".

هرقل (حكم 610 640 م)
إمبراطور بيزنطي.

هيركانوس (209 - 168 ق.م)
ابن يوسف الطوبي، خلف والده كجامع ضرائب في الأردن وبنى لنفسه قصراً في عراق الأمير.

هيرودوس الكبير (حوالي 73 - 4ق.م)
أصله إيدومي أي نبطي-يهودي، هرب إلى روما. أعلن ملكاً على اليهود واحتل جنوب فلسطين وأعلن سبسطيه عاصمة له.

ياسون
كبير كهنة القدس حيث أدخل الحضارة اليونانية في 168 ق.م إلا أن ثورة الحشمونيين أنهت مركز الكهنوتي عام 167 ق.م.

ياقوت الحموي (توفي 626 / 1229)
جغرافي عربي. يعتبر كتابه "معجم البلدان" مرجعاً متكاملاً للمواقع التاريخية القديمة.

يحيى بن صالح
قائد الجيش الذي أرسل إلى البلقاء لإخماد ثورة سعيد الفديني أثناء خلافة المأمون.

يعقوب
أسقف دير النبي لوط في غور الصافي (القرن السادس-السابع الميلادي).

يوسيبيوس القيصري (حوالي 260-340 م)
أسقف، ومفسر للإنجيل، ومجادل في أمور الدين، ومؤرخ. كتاباته عن القرون الأربع الأول للمسيحية ذات أهمية كبيرة للمؤرخين.

مراجع مختارة

البخيت، محمد عدنان (محرر)، **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في العهد الأموي**، عمّان، 1989.

الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، بيروت، 1957.

عباس، إحسان، **تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي**، 600 – 661، عمّان، 1990.

المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، الطبعة الثانية، ليدن، 1967.

Almagro, M. *et al.*, *Qusayr 'Amra*, Madrid, 1975.

Almagro Gorbea, A., *El Palacio, Omeya de Amman*, vol. I, *La Arquitectura*, Madrid, 1983.

BAGATTI, B., *The Church of the Gentiles in Palestine*, Jerusalem, 1971.

BOSWORTH, C.E., *The Islamic Dynasties*, Edinburgh, 1980.

BOWERSOCK, G.W., *Roman Arabia*, Cambridge, Massachusetts, 1983.

BROWNING, I., *Jerash and the Decapolis*, London, 1982.

BUJARD, J. and SCHWEIZER, F., *Entre Byzance et l'Islam: Umm er-Rasas et Um el-Walid. Fouilles Genevoises en Jordanie*, Musée d'art et d'histoire, Geneva, 1992.

BUTLER, H.C., *Ancient Architecture in Syria.* Princeton University Archaeological Expedition to Syria, II, Brill, Leiden, 1907.

CHARBONNEAUX, J., *"Sculpture", Grèce Hellénistique*, Paris, 1970.

CONDER, C.R., *The Survey of Eastern Palestine*, London, 1889.

CRESWELL, K.A.C., *Early Muslim Architecture*, 2 vols., 2nd ed., Oxford, 1969.

creswell, K.A.C. and ALLAN, J.W., *A Short Account of Early Muslim Architecture*, Cairo, 1989.

DJAIT, H., *Al-Kufa: Naissance de la ville islamique*, Paris, 1986.

Encyclopaedia of Islam, Brill, Leiden, from 1954.

ESTABLET, C. and PASCAL, J.P., *Ultime voyage per al-Mecque*, Damas, 1998.

ETTINGHAUSEN, R., *Arab Painting*, Geneva, 1962.

ETTINGHAUSEN, R. and grabar, O., *The Art and Architecture of Islam: 650-1250*, New Haven, 1992.

EUSEBIUS, Das *Onomastikon der biblischen Ortsnamen*, transl. G. Olms, Hildesheim, 1966.

GRABAR, O., *The Formation of Islamic Art*, New Haven, 1988.

HARDING, G.L., *The Antiquities of Jordan*, London, 1967.

HARRISON, T. *et al., Madaba: Cultural Heritage*, Amman, 1996.

HAYES, J.R., (ed.), *The Genius of Arab Civilization: Source*

1982.

McNICOLL, A.W. *et al., Pella in Jordan 2: an Interim Report of the Joint University of Sydney and College of Wooster Excavations at Pella 1982-1985*, Sydney, 1992.

NORTHEDGE, A., *Studies on Roman and Islamic Amman*, Oxford, 1992.

OLAVARRI-GOICOECHEA, E., *El Palacio Omeya de Amman*, vol. II, La Arqueologia,Valencia, 1985.

PICCIRILLO, M., *The Mosaics of Jordan, Amman*, 1993.

PICCIRILLO, M. (ed.), *The Madaba Mosaic Map Centenary 1897-1997*,. Jerusalem, 1999.

PICCIRILLO, M. and Alliata, E., Umm al-Rasas-Mayfa'a I: Gli Scavi del Complesso di Santo Stefano, Jerusalem, 1994.

PICCIRILLO, M. and Saqaf, H., *The Holy Sites Christian Art and Architecture*, London, 1996.

KRAELING, C.H. (ed.) *et. al., Gerasa. City of the Decapolis*, New Haven, 1938.

LAPIDUS, I., *Muslim Cities in the Later Middle Ages*, Cambridge, 1967.

LE STRANGE, G., *Palestine under the Moslems: a Description of Syria and the Holy Land from A. D. 650 to 1500*, Beirut, 1965.

LEWIS, N. (ed.), *The Documents from the Bar Kokhba Period in the Cave of Letters*, Jerusalem, 1989.

MANNS, F. and alliata, E., (eds.), *Early Christianity in Context: Monuments and Documents*, Jerusalem, 1993.

McNICOLL, A.W. *et. al., Pella in Jordan 1: an Interim Report of the Joint University of Sydney and College of Wooster Excavations at Pella 1979-1981*, Sydney, *of Renaissance*, 2nd ed., Cambridge, Massachusetts, 1983.

HILLENBRAND, R., *Islamic Art and Architecture*, London, 1999.

HITTI, P.K., *History of the Arabs*, 10th ed., New York, 1970.

HOURANI, A. and Stern, M., (eds.), *The Islamic City*, Oxford, 1970.

JAUSSEN, A. and SAVIGNAC, R., *Mission archéologique en Arabie*, 3 vols, Geuthner, Paris, 1909 and 1914.

Jerash Archaeological Project, vol.1, 1981-1983, Amman, 1986; vol. II, 1984-1988, Amman-Paris, 1989.

KHOURI, R.G., *The Desert Castles. A Brief Guide to the Antiquities*, Amman, 1992.

KING G.R.D. and cameron, A., (eds.), *The Byzantine and Early Islamic Near East*, Princeton, 1994.

KOCH, G., *Early*

ZAYADINE, F., "Amman-Philadelphie", in *Le Monde de la Bible* 22, 1982.

TALBOT RICE, D., *Byzantine Art, Penguin Books*, 1968.

The Decapolis, ARAM Third International Conference, September 1992, ARAM 4:1 & 2, Oxford, 1992.

De VAUX, R., *Histoire ancienne d'Israel*, Paris, 1971.

De VRIES, B., *Umm el-Jimal: A Frontier Town and its Landscape in Northern Jordan*, Portsmouth, Rhode Island, 1998.

WALKER, J., *A Catalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform Umayyad Coins*, London, 1956.

WHITCOMB, D., *Ayla, Art and Industry in the Islamic Port of Aqaba*, Chicago, 1994.

WHITCOMB, D. and KHOURI, R., *Aqaba: Port of Palestine on the China Sea*, Amman, 1988.

ZAYADINE, F., *The Frescoes of Quseir Amra*, Amman, 1977.

of Jordan, Amman, 1996.

SALLER, S. J., *The Memorial of Moses on Mount Nebo*, 2 vols., Jerusalem, 1941.

SARTRE, M., *Trois Études sur la Syrie Romaine et Byzantine*, Bruxelles, 1982.

Al-Sayyad, N., *Cities and Caliphs: On the Genesis of Arab Muslim Urbanism*, New York, 1996.

SCHICK, R., *The Christian Communities of Palestine from Byzantine to Islamic Rule: A Historical and Archaeological Study*, Princeton, 1995.

SMITH, R., *Pella of the Decapolis, vol. I, The College of Wooster Expedition to Pella*, London, 1973.

SMITH, R. and Preston DAY, L., *Pella of the Decapolis, vol. II, Final Report of Wooster Excavations in Area IX, the Civic Complex 1979-1985*, London,1989.

المؤلفون

محمد الأسد

معمار ومؤرخ معماري، والمدير المؤسس لمركز دراسات البيئة المبنية في عمان (www.csbe.org). درس العمارة (بكالوريوس وماجستير) في جامعة إلينوي في أربانا–شامبين / الولايات المتحدة الأميركية، وتاريخ العمارة (ماجستير ودكتوراه) في جامعة هارفارد. عمل باحثاً ما بعد الدكتوراه في جامعة هارفارد وفي معهد الدراسات العليا في برينستون. درّس في الجامعة الأردنية (أستاذ مساعد) وجامعة برينستون (محاضر زائر)، ومعهد مساشوستس للتكنولوجيا (محاضر زائر؛ أستاذ مشارك زائر)، وجامعة إلينوي في أربانا–شامبين (أستاذ زائر). كذلك عمل مقيماً لجائزة الآغا خان للعمارة منذ عام 1989. ونشر أبحاثاً بالعربية والإنجليزية شملت عمارة العالم الإسلامي وتعليم التصميم المعماري واستخدام تقنيات التصميم بمساعدة الكمبيوتر في إعادة تصور المعالم التاريخية. كما ويكتب مقالات عن العمارة والتخطيط الحضري في صحيفة الـ"جوردن تايمز" الأردنية التي تصدر باللغة الإنجليزية.
وهو عضو في مجالس أمناء الجمعية الملكية للفنون الجميلة – المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة ومتحف الأردن والمعهد الملكي للدراسات الدينية وهيئة عمان.

غازي بيشه

ولد في عمّان عام 1944، وحصل على درجة البكالوريوس في الآثار من الجامعة الأردنية عام 1967. عمل مفتشاً للآثار من 1967–1969، وفي عام 1970 أكمل دراسته في الفن والعمارة الإسلامية في جامعة ميتشغان (آن آربور). عاد إلى دائرة الآثار العامة الأردنية حيث عمل في مركز التسجيل من 1970–1974. وبعد حصوله على درجة الدكتوراة في الفن الإسلامي عام 1979 من آن آربور، عين مديراً للمشاريع الآثارية في دائرة الآثار حتى عام 1981. اشترك خلال تلك الفترة بالعديد من التنقيبات الأثرية كما كان مديراً لمشروع الحلابات. في عام 1982، التحق بدورة متقدمة في صيانة المباني التاريخية في المعهد العالي لدراسات العمارة، جامعة يورك في بريطانيا، وحصل على الدبلوم عاد بعدها إلى عمله كمدير للمشاريع في دائرة الآثار حيث عين نائباً للمدير العام سنة 1985 وحتى 1988 عندما عين مديراً عاماً للآثار. تحرر من الإدارة عام 1992 وأصبح أستاذ مشارك في جامعة اليرموك، إربد، وعمل في نفس الوقت مديراً لمشروع تنقيبات متنزه مأدبا الأثري. أعيد تعيينه مديراً عاماً للآثار عام 1995 وحتى سبتمبر 1999. حصل على التكريم من العديد من المؤسسات العالمية وهو عضو في العديد منها. يعتبر غازي بيشه

مرجعاً للحضارة والعمارة الأموية وهو معروف عالمياً عبر كتاباته ومشاركاته في المؤتمرات العالمية.

إينا كيربرج

ولدت عام 1945 وتخرجت من جامعة سيدني الأسترالية. تحمل شهادة البكالوريوس في آثار الشرق الأدنى القديمة والكلاسيكية، بما فيها الفنون الجميلة واللغات القديمة والتاريخ. كما حصلت على الماجستير في الآثار الكلاسيكية والدكتوراه في موضوع "فخاريات العصر البرونزي المبكر والوسيط في قبرص" (عام 1987) ونشرت رسالتها عام 1995. تتقن اللغتين الإنجليزية والألمانية إضافة إلى الفرنسية. من عام 1975-1979 كانت مساعدة بحث ثم محاضرة في قسم الآثار في جامعة سيدني. من 1980-1982 كانت محررة وباحثة في المعهد الألماني للآثار في برلين. ابتدأت عملها في الأردن مطلع العام 1983 في "مشروع جرش الأثري"، ومن 1995-1998 شاركت في تحرير منشورات دائرة الآثار العامة. التحقت منذ عام 1997 بالمعهد الفرنسي للشرق الأدنى في عمان حيث عملت بالأبحاث، وهي تعمل حالياً على نشر نتائج الأبحاث الأثرية في هيبودروم جرش، إضافة إلى التنقيبات في منطقة سور جرش. شاركت في العديد من مشاريع التنقيبات العالمية ومؤتمرات الآثار، ونشرت عدداً من الكتب والمقالات عن صناعة وتأريخ الفخار والزجاج.

لارا طعمه

درست تاريخ الفن وتخصصت بالفن المسيحي المبكر وفن القرون الوسطى. تعمل حالياً على إكمال الدكتوراه في تاريخ العمارة الإسلامية المبكرة وحصلت على منحة الأغا خان في العمارة الإسلامية في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأميركية، كما حصلت على منح دراسية في المعهد الأميركي للدراسات الشرقية في عمان.

فوزي زيادين

من مواليد السماكية — الكرك في الأردن عام 1938. أتم الدراسة الابتدائية والثانوية في الكرك ولبنان، وحصل على بكالوريا لبنانية وفرنسية عام 1958. أتم الدراسة الجامعية في باريس: في معهد اللوفر لآثار الشرق القديم والآثار الإسلامية والنقوش العربية حيث حصل على شهادة

معهد اللوفر عام 1965، وبكالوريوس في السوربون في اللغات السامية القديمة وتاريخ الديانات عام 1965، تبعها دكتوراة في الفن والآثار من السوربون عام 1971.
التحق بدائرة الآثار العامة كمفتش آثار وأشرف على العديد من المشاريع الأثرية من ضمنها حفريات سبسطية في الأعوام 1965-1967، وحفريات جبل القلعة – عمان 2005- 1968 و مسح النقوش الثمودية في وادي رم 1993-2004. وعمل كرئيس قسم التسجيل ورئيس قسم النشر خلال الأعوام 1971-1975 واستمر بعدها في المشاركة بتحرير منشورات الدائرة.
نشر حوالي ثمانين مقالاً بالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية حول البترا وجبل القلعة في عمان ووادي رم، وعدة كتب من ضمنها: "عراق الأمير- قصر العبد" مع أرنست فيل- فرانسوا لارشيه وآخرين (1991)؛ "قصر البنت في البترا" مع فرانسوا لارشيه (باريس 2003)؛ "قصير عمرة الأموي" (عمان 1977). وهو عضو الموسوعة المصورة للمثولوجيا اليونانية والرومانية- مقالات العزى- الكتبى مناه بالأنكليزية والفرنسية، وعضو رابطة الكتاب في الأردن. أحيل على المعاش عام 2000 عمل بعدها بعقد خبير في الآثار 2000-2005 .

بيل ليونز

عمل كمصور محترف لأكثر من 30 عاماً. ابتدأ العمل في بداية السبعينات كمساعد للمصور ويليام كروس-دانينغ في فيلادلفيا في الولايات المتحدة الأميركية، ثم عمل بمفرده في تصوير الأعمال الفنية المعروضة في ولاية فلوريدا. ذهب بعدها إلى بيروت حيث عمل كمصور صحفي، وانتقل إلى عمان منذ 1975 حيث يعمل كمصور محترف نشرت صوره في العديد من المجلات العالمية، ومن الكتب التي صورها بالكامل دليل عن البتراء وكتاب "البيوت التقليدية في الأردن" الصادر عن مؤسسة تراب عام 1997. كما عمل في التصوير لحساب العديد من الشركات العالمية والمنظمات الحكومية والدولية.

الفن الإسلامي في حوض البحر المتوسط

تفتح سلسلة معارض "متحف بلا حدود" العالمية هذه الأبواب لاكتشاف أسرار الفن الإسلامي وتاريخه وطرق بناء عمارته والوحي الديني المتمثل فيه.

البرتغال

في أراضي الفتاة المغربية المسحورة. الفن الإسلامي في البرتغال.

بعد ثمانية قرون من اندحار المسلمين وعودة الحكم المسيحي إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، ما زالت مدن غرب الأندلس القديمة محتفظة بأسطورة الفتاة المغربية الجميلة التي فك أمير مسيحي سحراً كانت تحت وطأته. ويعبر مسار التواجد الفني الإسلامي في البرتغال عن طبيعة العمارة الشعبية في تلك المناطق، عبر التناغم ما بين أساليب البناء والمعالم الزخرفية. يعطي هذا المعرض الزائر صورة واضحة عن خمسة قرون من الحضارة الإسلامية بدءاً بعصر الخلافة، وتؤكد القصور والمساجد التي حولت إلى كنائس والقلاع والمدن عظمة الماضي في منطقة كويمبرا في "الغرب".

تركيا

الفن العثماني المبكر. إرث الأمراء.

تبرز في هذا المعرض الأعمال الفنية والمعالم العمرانية التي تمثل أرقى مراحل غرب الأناضول، وهي الجسر الثقافي والفني ما بين الحضارات الأوروبية والآسيوية. خلال القرنين الرابع والخامس عشر، حفز التحول نحو مجتمع تركي إسلامي إبداعات فناني الإمارة التركية، الذين طوروا وحدة فنية رائعة بلغت ذروتها في الفن العثماني.

المغرب

المغرب الأندلسية. اكتشاف الفن الحيّ.

منذ بداية القرن الثامن الميلادي، تطلعت المغرب إلى ما بعد جبل طارق وسكنت شبه الجزيرة الأيبيرية؛ وتشارك شاطئي المضيق بذات المصير. ومن التبادل الثقافي والاجتماعي والتجاري المستمر الذي حرك أقصى المغرب طيلة أكثر من سبعة قرون، أتت إحدى أبهى مظاهر الحضارة الإسلامية. لم يترك الفن الإسباني-المغربي الحقيقي بصمته على المعالم العمرانية الرائعة فحسب، بل تعداها إلى خواص المدن وطبيعة التقاليد النقية الخالصة. يعكس هذا المعرض ثراء تاريخ الحضارة الأندلسية في المغرب.

تونس

إفريقيا. ثلاثة عشر قرناً من الفن والعمارة في تونس.

منذ القرن التاسع الميلادي، وبدون الانفصال عن التقاليد المتوارثة عن البربر والقرطاجيين والرومان والبيزنطيين، استطاعت إفريقيا دمج وإعادة تفسير التأثيرات من بلاد الرافدين عبر الشام ومصر، ومن الأندلس. هذا الشكل التوافقي الفريد والذي تبدو مظاهر عدة منه اليوم في تونس – من فخامة قصور الحكام المسلمين في العاصمة إلى ضراوة العمائر الإباضية في جربا – يمكن رؤيتها في منشآت الرباط والمساجد والمدن والزوايا وحتى الغرف، التي تركت بصمتها على أرض تزخر بالتاريخ.

إسبانيا – الأندلس. أراغون، كاستيلا لا مانشا، كاستيل وليون، إكستريمادورا، مدريد.

الفن المدجن. آثار الجماليات الإسلامية في الفن المسيحي.

يحتل فن المدجنين (Mudejar، وهم السكان المسلمون الذين بقوا في الأندلس بعد عودة الحكم الإسباني) مكانة فريدة بين أنماط الفن الإسلامي. يتعامل هذا الفن مع التجسيد المرئي لتعايش مرهف ما بين حضارتين عاشتا علاقة فنية مثمرة رغم الخلاف السياسي والديني بينهما. اشتهر هؤلاء الحرفيون والفنانون بمعرفتهم الفائقة بفن العمار، وقاموا ببناء العديد من القصور والأديرة والكنائس للقادمين المسيحيين الجدد، زخرفوها بأنماط الفن الإسلامي الأندلسي. تم اختيار الأعمال الفنية في هذا المعرض لتنوعها وكثرتها، وهي شاهد على حيوية هذا الفن.

الأردن

الأمويون. نشأة الفن الإسلامي.

بعد الفتح العربي الإسلامي للشرق الأوسط، انتقل مركز الخلافة الأموية (661-750) إلى دمشق، حيث ورثت العاصمة الجديدة تقاليد حضارية وفنية ترجع بأصولها إلى الفترتين الآرامية والهلنستية. استفادت الحضارة الأموية بهذا الانتقال من الحد ما بين بلاد فارس والرافدين في الشرق، وبلدان حوض المتوسط في الغرب. كان المركز الجديد موائماً لبزوغ لغة فنية جديدة، مزجت ما بين التأثيرات الهلنستية والرومانية والبيزنطية والفارسية، وأنتجت فناً مبتكراً من العمارة والزخرف. يظهر المعرض أعمالاً فنية ومعمارية متنوعة، ويعطي الزائر المجال للتفكير في ظاهرة "مناهضة الأيقونات".

مصر

الفن المملوكي. عظمة وسحر السلاطين.

تحت حكم المماليك (1249 - 1517)، أصبحت مصر مركزاً مزدهراً لالتقاء الطرق التجارية، واكتسب بالتالي ثراءً عظيماً. كانت القاهرة إحدى أعظم مدن حوض المتوسط وأكثرها أمناً واستقراراً، فأمها العلماء من كافة أصقاع الدنيا للعيش فيها، وجذبوا معهم أتباعهم وتلاميذهم. تعكس عمارة المماليك وفنونهم الزخرفية حيوية التجارة والطاقة الذهنية، إضافة للقوة العسكرية والدينية التي برزت جميعها في تلك الفترة، وتتميز الفنون ببساطتها الراقية وحيويتها، وتشبه خطوطها النقية خطوط الأعمال الفنية الحديثة. تمثل الأعمال الفنية المنتقاة من القاهرة والرشيد والإسكندرية وفوكة قمة ما توصل إليه الفن المملوكي.

السلطة الفلسطينية

الحج والعلوم الصوفية. الفن الإسلامي في الضفة الغربية وغزة.

توجه العديد من الحجاج من كافة أنحاء العالم الإسلامي إلى فلسطين خلال فترات حكم الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وأعطى هذا المد الديني دفعة قوية لتطور الفكر الصوفي عبر الزوايا والرباط التي تكاثرت وانتشرت منشآتها في كافة أنحاء فلسطين. ورحبت مراكز الأبحاث المختلفة بالعلماء الكبار، الذين اكتسبوا بذلك مكانة رفيعة، وأصبحت الظروف موائمة لتطور فن راق ما زال محتفظاً بقوة بريقه حتى يومنا هذا. تعكس المعالم العمرانية الإسلامية في هذا المعرض بوضوح الأبعاد العظيمة للحج والعلوم والتصوف.

إيطاليا – صقلية

الفن الصقلي النورماني. الثقافة الإسلامية في صقلية في القرون الوسطى.

في وسط البحر المتوسط، توجد صقلية "أرض اللقاءات" حيث اجتمعت عدة حضارات وتلاقت لتصل إلى تناسق جديد ومبتكر. تعتبر العمارة العربية–النورمانية فريدة في المشهد الأوروبي، كما أنها تختلف عن العمارة الموجودة في العالم الإسلامي، ويقدمها هذا المعرض من وجهة نظر تفرّدها كما يعطي بعض المفاتيح لتفسيرها ويسمح بالتالي بتعريفها. وسيتمكن الزائر المتنبه من فهم تمازج عناصرها بشكل أفضل، تلك العناصر التي بدأت من محيط الحضارات البيزنطية والعربية والنورمانية، واستخدمت في هذا الفن المبتكر والراقي.

الجزائر

فن وعمارة الضوء. بصمات الإسلام في الجزائر.

سوريا

الحقبة الأيوبية. الفن والعمارة السورية في العصور الوسطى.